الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر. باتنة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

السِّيَاسَــةُ اللُّغَوِيّــةُ لِجَمْعِيَّةِ العُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ الجَزَائِرِيِينَ

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالب:
دربال بلال

إشراف الأستاذ الدكتور:
فرحات عياش

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ. د/ **بلقاسم ليبارير**	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ. د/ **فرحات عياش**	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا و مقررا
أ. د/ **رابح بومعزة**	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
د/ **السعيد بن إبراهيم**	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر. باتنة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

السِّيَاسَةُ اللُّغَوِيّةُ
لِجَمْعِيَّةِ العُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ الجَزَائِرِيينَ

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالب:
دربال بلال

إشراف الأستاذ الدكتور:
فرحات عياش

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ. د/ **بلقاسم ليبارير**	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ. د/ **فرحات عياش**	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا و مقررا
أ. د/ **رابح بومعزة**	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
د/ **السعيد بن إبراهيم**	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم

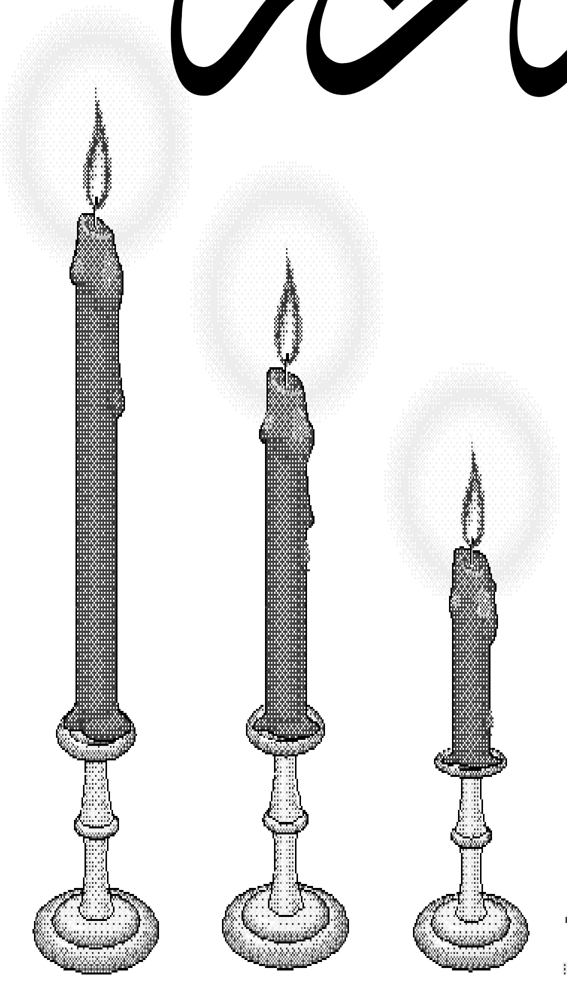

الإسلام ديننا

و

العربية لغتنا

و

الجزائر وطننا

عبد الحميد بن باديس

إهداء:

إلى الذي توسد الثرى،

إلى من كان لا يعرف الفُتور،

إلى روح أستاذِي الدكتور :

عبد الحميد دبّاش

شُكْرٌ وَ عِرْفَان

نتقدم بكل آيات الشكر و التقدير و العرفان لكل
من له يد في انجاز هذا العمل المتواضع و خاصة
فضيلة الأستاذ الدكتور

"فرحات عياش"

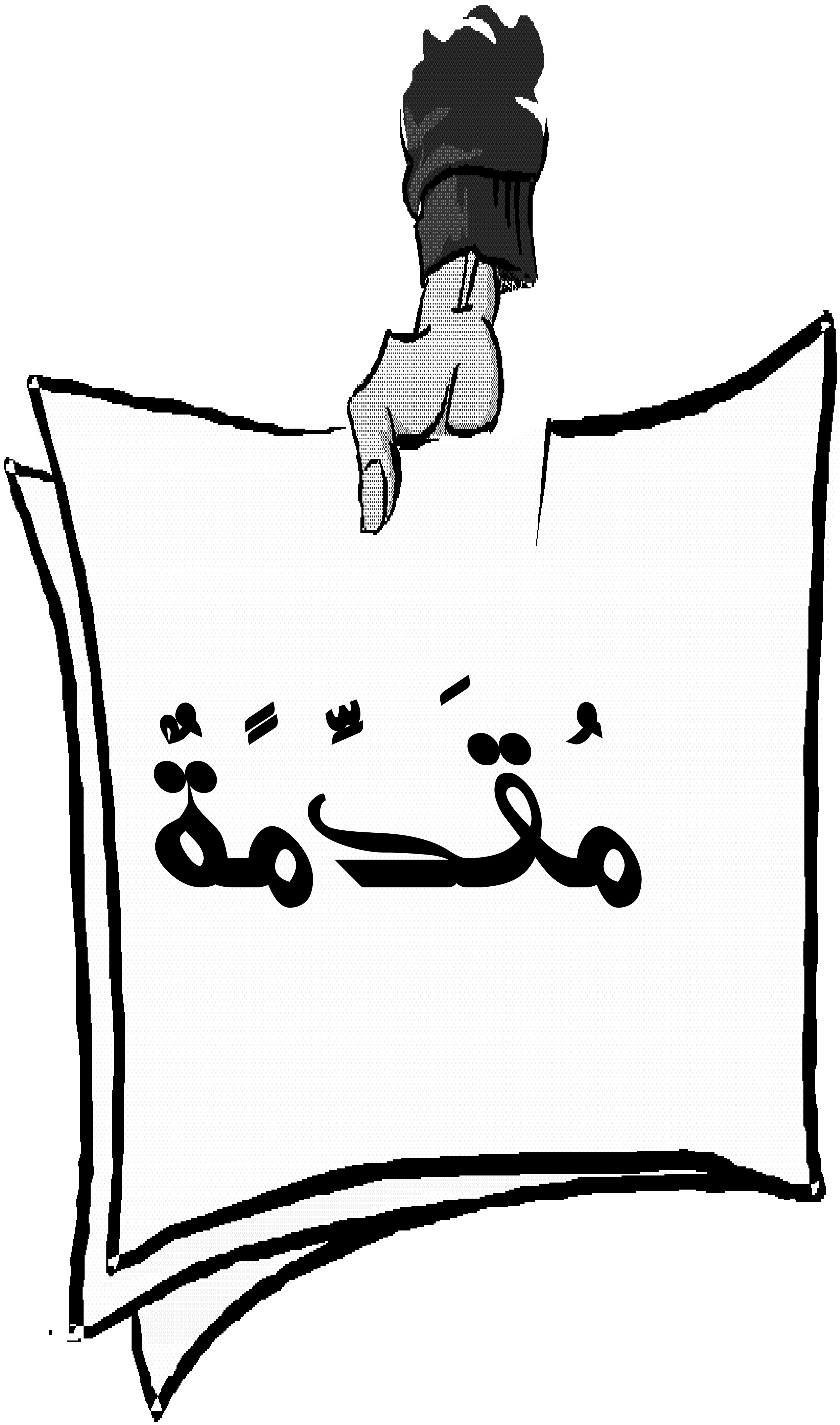
مُقَدَّمَةٌ

مقدمة:

البسملة و الصلاة على النبيﷺ.

الحمد لله رب العاملين و الصلاة و السلام على النبي المصطفى الهادي الأمين.

وبعد:

إن تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية في ميدان التربية و التعليم تجربة ناجحة. اعتنى بدراستها ثلة من المفكرين، وكانت مصدر الهام كثير من المنظِّرين. ورغم ذلك لا تزال هذه التجربة تغري الباحثين على مختلف مشاربهم نظرا لثرائها. فجمعية العلماء أنجزت مشروعا رائدا، لاسيما في جانبيْه التربوي و التعليمي، الذي أسال حبرا كثيرا ولا يزال، و رغم ذلك سيكون موضوع بحث هذه الرسالة. لأن بعض منجزات جمعية العلماء، قد تناولها كثير من الدارسين بسطحية شديدة، صوَّرت أعمال الجمعية كأنما يحكمها قانون الفعل ورد الفعل. أما النظرة اللسانية الاجتماعية للجهود اللغوية خاصةً؛ فتعطي انطباعا مغايرا تماما.

لذا جاءت هذه الرسالة لتخدم هدفا عاما، و هو تغيير الصورة الكلاسيكية التي رُسمت لجمعية علماء المسلمين الجزائريين التاريخية. أما الأهداف الخاصة فأهمها:

- الخروج من دائرة كيْل المدائح لجمعية العلماء- وهي تستحق ذلك- ومن إغداقها بمقالات الإطراء التي غصت بها الصحف، إلى البحوث الأكاديمية العلمية التي تكشف جوانب الإبداع، و تثري نظريات المنظِّرين. خاصة و أن الريع اللساني الاجتماعي الذي يتقاسم الغرب مغانمه الآن، فيه قفز فوق كثير من الإسهامات و التجارب العربية الرائدة، و تجربة جمعية العلماء واحدة منها.
- لفت الانتباه إلى جوانب لم تلق العناية الكافية من الدارسين لتراث الجمعية، إما لسيطرة عواطف الحب و الحنين و الإكبار على الباحثين، و إما بحكم عدم الاختصاص فيما يخوضون فيه من قضايا جمعية العلماء. فدراسة المشروع اللغوي لجمعية العلماء من منظور لساني اجتماعي أحسبُه مقاربة جديدة، خاصة من زاوية رسم السياسة اللغوية. فكثير من

الدراسات ركزت على المشروع التربوي عموما. كدراسة 'تركي رابح' في كتابه'التعليم القومي و الشخصية الجزائرية' و كتاب 'عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية' لـ'مصطفى محمد حميداتو'..فالملاحظ تركيز هذه الدراسات على التربية عامة، أو على الجهود الشخصية للشيخ ابن باديس أو الإمام الإبراهيمي. و هذا إهمال لجانب العمل الجماعي الذي ضَمِن سيرورة المشروع حتى بعد وفاة الشيخ ابن باديس. و تقصيرٌ أيضا في حق المسألة اللغوية عند جمعية العلماء، فيجب إفرادها ببحث مستقل لا تشكل التعليمية فيه إلا أحد جوانب البحث.

- البرهنة على أن جمعية العلماء ليست تجمعا دينيا لصفوة من علماء الجزائر، بقدر ما هي تنظيمٌ محكمٌ؛ تحكمه إدارة صارمة و قوانيين نافذة، و له مشاريع مدروسة على أسس علمية. فالجمعية حقيقةً ترأسها ابن باديس و بعده الإمام الإبراهيمي، و لكن الجمعية لا يمكن اختزالها في جهود العلّامة ابن باديس و لا الإبراهيمي- طيب الله ثراهما- فكلما ذُكرتْ الجمعية ذكرًا معها بالضرورة، بل الجمعية رئيس و إداريون و غلاف مالي و منخرطون ومتعاطفون و قوانين تحْكمُ و تُحَّكم، و فوق كل هذا؛ شَعْبٌ يحتضنها و ينتظم بنظامها و يأْتَمر بأمرها و يمدها بعيون ماله.. فالجمعية بهذا مشروع حضاري ينبغي ألا يزول بزوال الرجال.

إلى جانب هذه الأهداف العلمية الموضوعية، فإن لي هدفا شخصيا ذاتيا و هو رغبتي في التخصص في اللسانيات الاجتماعية.

من الزوايا التي لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث في التجربة اللغوية لجمعية العلماء؛ ذلك الصراع اللغوي من الوُجهة اللسانيات الاجتماعية، و هل يرقى إلى مستوى السياسات اللغوية؟ لأن الثابت أن رسم سياسة لغوية يتطلب آليات منهجية دقيقة لتحظى السياسة اللغوية بالقبول و النجاح. فما مدى التزام جمعية العلماء بهذه الآليات و كيف طبقتها؟ ثم إن السياسات اللغوية ترسم لحل كثير من المشاكل اللغوية، فما المشكلة أو المشكلات التي خططت الجمعية لحلها؟ وهل كانت المشكلة هي تعليمية اللغة العربية؟ فجاءت السياسة اللغوية للجمعية سياسة تعليمية؟ أم أن وصف جمعية العلماء للمشكلة تجاوز التعليمية إلى مشاكل لغوية أخرى؟ فهل كان في السياسة اللغوية للجمعية نية التدخل لمعالجة ظاهرة الثنائية اللغوية و حتى الازدواجية اللغوية؟ و هل خططت للتحكم في كل مظاهر الاحتكاك اللغوي؟ و هل شملت سياستها اللغوية إعادة توزيع الوظائف اللغوية لمختلف اللغات التي تتعايش أو تتصارع في الفضاء اللغوي الجزائري؟ وهل كانت الجمعية تقيم سياستها اللغوي دوريا أم أن ظروف البلاد و الاستعمار هي

من يغير أهداف و استراتيجيات جمعية العلماء؟ و أخيرا هل يمكن الحكم على المشروع اللغوي لجمعية العلماء على أنه رسم لسياسة لغوية بالمعايير العلمية للسانيات الاجتماعية؟ هذه الأسئلة و غيرها شكلت محور بحث هذه الرسالة المتواضعة.

إن عنوان هذه الرسالة هو "السياسة اللغوية لجمعية علماء المسلمين" التاريخية. وقد كانت خطة البحث تقتضي تقسيمه إلى مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة. الفصل الأول منها محوره التعريف بالسياسة اللغوية، و تحديدُها تطلَّب أربعة مطالب، هي مطلب تعريفها في اللغة و في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية، ثم مطلب نشأة مصطلح السياسة اللغوية، و بعده مطلب موضوع السياسة اللغوية، أما المطلب الأخير فكان حول العناصر التي لا بد منها لرسم سياسة لغوية متكاملة.

الفصل الثاني جاء ملبيا لمنهجية البحث في السياسات اللغوية، التي تقتضي من الباحث أن يصف الوضعية اللغوية المراد دراستها كما يراها هو بعين الباحث المحايد، وصفا علميا بعيدا عن كل ذاتية. وهو ما تحقق في المبحث الأول من هذا الفصل، حيث تم وصف الفضاءات اللغوية الموزعة على الجغرافيا الجزائرية قبل ظهور جمعية العلماء. ثم في المبحث الثاني تمت دارسة هذه الفضاءات دراسة لسانية اجتماعية، ركزت على دراسة أهم الظواهر اللسانية الاجتماعية، كالثنائية اللغوية ومظاهر الاحتكاك اللغوي، و أخيرا الوظائف اللغوية التي اضطلعت بها اللغات قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين.

أما الفصل الثالث هو الفصل التطبيقي الذي كانت بدايته مبحث التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، و الترجمة لأبرز علمائها. ثم يليه المبحث الثاني الذي يبحث في مدى توفر عناصر رسم السياسة اللغوية في المشروع اللغوي لجمعية العلماء، أي مَن رسم هذه السياسة؟ ومن المستهدف بها؟ و ما الهدف من رسمها؟ ثم كيف تم تقييم الجمعية للوضعية اللغوية الجزائرية في زمنها؟ و هل يتطابق مع التوصيف الوارد في الفصل الثاني من الرسالة؟ مع التركيز على كيفية وضع جمعية العلماء لأهدافها و الاستراتيجيات التي ستعتمد عليها. أما آخر مطلب فكان حول تقييم الجمعية لسياستها اللغوية.

إن خاتمة الرسالة تضمنت مجمل النتائج التي تم التَّوصل إليها حول السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين التاريخية.

التمس هذا البحث – المتواضع- لنفسه منهجا وصفيا تحليليا، و هو المنهج الملائم للكشف على الوضعية اللغوية التي كانت قبل جمعية العلماء، و بأي أهداف و استراتيجيات فكر العلماء في التعامل معها. فالحديث عن منهج دراسة السياسات اللغوية هو حديث عن منهج الوصف والتحليل الذي يسيطر على دراسات اللسانيات الاجتماعية عامة.

تنوعت مراجع هذه الرسالة بين مراجع لسانية اجتماعية و مراجع تاريخية، باللغة العربية و باللغات الأجنبية. فالمراجع التاريخية تبحر بالباحث في أعماق التاريخ الجزائري من القديم إلى الحديث، ومنها مؤلفات المؤرخ الجزائري 'أبو القاسم سعد الله'، خاصة كتابه 'الحركة الوطنية' بأجزائه، و كتابه 'أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر' بجزأيه الأول والثاني. كما تعرفنا على تراث جمعية العلماء من خلال ما جمعه 'عمار طالبي' تحث عنوان 'ابن باديس حياته وآثاره'، و كتاب 'آثار محمد البشير الإبراهيمي' جمع و تقديم 'أحمد طالب الإبراهيمي'، وأيضا كتاب 'التعليم القومي و الشخصية الجزائرية' لـ'تركي رابح'، 'إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس' لـ'عبد القادر فضيل' و 'محمد الصالح رمضان'.

أما المراجع اللسانيات الاجتماعية فكان أهمها، كتب 'لويس جان كالفي' وهي 'السياسات اللغوية' ترجمة 'محمد يحياتن'، و 'علم الاجتماع اللغوي' ترجمة 'محمد يحياتن' أيضا، و'حرب اللغات و السياسات اللغوية'، و كذلك كتاب 'التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي' لـ'روبرت كوبر' ترجمة 'خليفة أبو بكر الأسود'، و كتاب'قضايا ألسنية تطبيقية' لـ'ميشال زكريا'، و 'علم اللغة الاجتماعي عند العرب' لـ'هادي نهر'،'التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي' لـ'محمد الأوراغي'.

يعلم الله أني قد بذلت في هذا البحث فوق الطاقة و وراء الفاقة، و لكن رغم ذلك لم أستطع أن أوفيه حقه من المدارسة و التنقيب، فشموخ الجمعية و زعيميْها ظل مُتَمنّعا متدثِّرا بإهمال تلاميذ الجمعية تدوين تراثها، و لعل ظروف الاستدمار و حرب التحرير تشفع لهم بعض الشفاعة، و لكنها لا تشفع لهذا البحث، لأن شعور الباحث بالتقصير، هو ما ينهك كاهله ويضني ضميره. وهي صعوبة معنوية تلازم كل باحث. أما الصعوبات الأخرى فأولها اتساع البحث أفقيا ليشمل حقبة زمنية تاريخية تناهز القرن من الاحتلال و الصراع، واتساعه عموديا ليشمل

فكر و فلسفة ثلاثة عقود من عمر الجمعية. أما الصعوبة الثانية فهي كثرة الدراسات حول الجمعية و زعمائها، حتى لا يكاد الباحث يميز فيها بين الأصيل و المنقول.

هذه الدراسة مثل غيرها من الدراسات، ظلت في حاجة ماسة إلى مَنْ يحتضنها بالتوجيه و التصويب، و قد كان لها حضُّها - بفضل الله- مع الأستاذ الدكتور "فرحات عياش" فكان لها الأب الحاني و المشرف القدير، فاستدرك بحكمته نقائصها و سد بعلمه خللها. فله مني خالص الشكر و التقدير. كما أشكر و أحيي كل من كانت له يد في انجاز هذه الرسالة.

و في الختام أسأل الله أن يختم لنا بختام الصالحين.

الفصل الأول:

السّياسة اللّغويّة:

- التعريف و النشأة و الموضوع و عناصر رسمها-

المبحث الأول: تعريف السياسة اللغوية.

المبحث الثاني: نشأة السياسة اللغوية.

المبحث الثالث: موضوع السياسة اللغوية.

المبحث الرابع: عناصر رسم السياسة اللغوية.

المبحث الأول:

تعريف السياسة اللغوية.

المطلب الأول : التعريف اللغوي لمادتي :"السياسة" و "اللغة".

المطلب الثاني: تعريفها في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية.

اهتمام الدارسين باللغة كظاهرة كان مبكرا؛ إذ كثرت دراسات اللغويين والفلاسفة ورجال الدين، وظهرت بحوث حول اللغة عند علماء الطبيعة و الفيزياء وغيرهما.

و ظلت إسهامات العلماء في البحوث اللغوية متواصلة حتى زامننا هذا، وخاصة ما كان منها يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ومن جديد هذه الدراسات ما عرف بـ' السياسة اللغوية''Politique linguistique'.

فما علاقة السياسة باللغة ؟ وهل في اللغة سياسة؟ ما مفهوم السياسة اللغوية؟ و ما طبيعتها ؟ وما هي الآليات التي تتحرك بها ؟

لمعرفة مفهوم السياسة اللغوية؛ لا بد من الالتفات إلى الجانب اللغوي لمصطلحي 'السياسة' و' اللغة'، في المعاجم العربية و الغربية، ثم اعتماد ذلك المدخل اللغوي منطلقا للتعريف الاصطلاحي.

المطلب الأول : التعريف اللغوي لمادتي :'السياسة' و'اللغة'.

أ-'السياسة': في المعاجم العربية مصدر ساس يسوس سياسة، ومادته في لسان العرب 'سَوَسَ'، والسياسةُ فعل السائس يقال هو يَسُوسُ الدوابَّ إذا قام عليها وراضَها، والسِّياسةُ القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه، والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه، وسَوَّسَ له أَمرًا أَي رَوَّضَه وذلَّلـه[1]. قال 'الزبيدي':"ومن المجاز(سُسْتُ الرعية سياسة) بالكسر (أمرتها ونهيتها)"[2]. وقال صاحب القاموس المحيط:"وفلانٌ مُجَرَبٌ قد ساسَ وسِيسَ عليه: أَدَّبَ وأُدِّبَ"[3].

فكأن **الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس**، وقيادتهم في تدبير أمورهم، فكان **المعنى الأول هو الأصل** الذي أُخِذت منه سياسة البشر بالمجاز.

---

[1] – ينظر لسان العرب:ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون،ط1،دار المعارف،مصر،د ت،ج1،ص2149-2150.

[2] – تاج العروس :الزبيدي،ط1، المطبعة الخيرية،مصر،1306هـ ،ج4، ص169.

[3] – القاموس المحيط:الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي،ط8،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،2005،ص551.

أما المعاجم الغربية، فتأصل لمصطلح 'السياسة' بمصطلح 'بوليتيك' المشتقة من الكلمات اليونانية التالية[1]:

1- بوليس: البلدة، المدينة، المقاطعة، أو: أيضاً تجمع السكان الذين يؤلفون المدينة.

2- بوليتايا 'politeia': الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية ، المواطنية (بمعنى حقوق المواطنين).

3- بوليتيكا: جمع بوليتيكوس: الأمور السياسية، الأمور المدنية، كل ما يتعلق بالدولة، وبالدستور، وبالنظام السياسي، وبالسيادة.

4- بوليتيكية 'politike' : العلم السياسي.

ب - 'اللغة' : جاء في لسان العرب :" **لغِي يلغَى إذا هَذَى**«..»و في الحديث"من قال في الجمعة:صه فقد **لغا**"«**أي تكلم**»"[2].

المطلب الثاني: تعريفها في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية.

قبل التعرض لتعريف السياسة اللغوية في اللسانيات الاجتماعية؛ لا بد من التعرف على دلالات كل مصطلح عند أهل اختصاصه. فما تعريف 'السياسة' و 'اللغة' عند أهل الاختصاص؟ وما تعريف 'السياسة اللغوية' في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية؟

1-مصطلح 'السياسة': السياسة عند 'ابن سينا'(980-1037 م) هي حسن التدبير **الذاتي و الجماعي** وإصلاح الفساد الذي هو طريق السعادة[3] ، فهي إذا ليست حكرا على الملوك- وإن كانوا أحق الناس بإتقانها- بل لكل فرد من الرعية سياسة في جميع أموره، وحاجته

[1] – "علم السياسة ومقدّماته اليونانية":خلف الجراد،مجلة الفكر السياسي،العدد 31،السنة العاشرة صيف 2007،اتحاد الكتاب العرب، دمشق،ص24.

[2] – ينظر لسان العرب:ابن منظور،مادة "لغا"،ص4050.و ينظر الخصائص:ابن جني،تحقيق محمد علي النجار،د ط،المكتبة العلمية،دار الكتب المصرية،1957،ج 1 ،ص33.

[3] – ينظر دولة الشريعة – قراءة في جدلية الدين و السياسة عند ابن سينا-:علي عباس مراد،ط1،دار الطليعة،بيروت،لبنان،1999، ص 57.

إلى السياسة لا تقل عن حاجة الملوك للسياسية[1]. و ’السياسة‘ عند ابن باديس:"هي تدبير شؤون المجتمع على قانون العدل والإحسان"[2]. و يعرفها المعجم الفلسفي بـ "فرع من ’العلم المدني‘ يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة"[3].

أما السياسة عند الغربيين فتعاريفها كثيرة، أوْرد كثيرًا منها ’عبد الوهاب الكيالي‘ في موسوعته السياسية. و لعل **اختلاف تعاريفها راجع لاختلاف الاتجاهات و الرؤى**، حتى أن ’ديزرائيلي‘’Disraeli‘ (1804-1881 م) - رئيس وزراء انجلترا آنذاك- يعرفها تعريفا لا تخلو من روح السخرية وملامح الصراحة فيقول:" إن السياسة هي فن حكم البشر عن طريق خداعهم"، وقال آخر إنها فن تأجيل تأزم المشكلات والمعضلات. لذا يبدو – بعد النظر في كثير من التعاريف- أن مفهوم السياسة يدق إلى درجة الغموض عن الإفهام؛ كما يبدو أن **المصطلح واجهة** تختبئ وراءها مصطلحات ومعاني أخرى، أهمها[4]:

1) **الإدارة** ومنها سياسة النقل و سياسة صناعة السيارات.. المراد إدارتهما.
2) **الإستراتيجية** التي هي إجمالا مجموع الخطط و آليات التنفيذ، ومن ذلك سياسة الحزب أو النقابة و المراد إستراتيجيتهما.

---

[1] – ينظر المرجع السابق،ص 54-58.و جاء في صفحة 17 أن أحد رسائله في السياسة عنونها بـ " تدبير المنازل "جاء فيها حديث عن سياسة الرجل نفسه،سياسة الرجل دخله وخَرجه، سياسة الرجل أهله، سياسة الرجل ولده، سياسة الرجل خدمه، أي أن علم السياسة عند ابن سينا هو **علم تقويم**؛ تقويم نفس واحدة وهو ما سماه بالأخلاق، و تقويم نفوس كثيرة و سماه تدبير المنازل،أو تقويم نفوس كثيرة تشتمل عليها مدينة واحدة و سماه تدبير المدينة، والتقويم يكون بالتدبير المدني والصناعة الشارعة[يقصد الشرعية] معا.

[2] – إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، 2007،ص78. نقلا عن حركة ابن باديس التربوية و أهدافها الإصلاحية:علي علواش، رسالة غير منشورة،ص255. نقلا عن الشهاب،ج5،م5،جوان 1929.

[3] – المعجم الفلسفي:مجمع اللغة العربية، د ط،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة،مصر،1983،ص99.

[4] – موسوعة السياسة:عبد الوهاب الكيالي،د ط،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،دار الهدى،بيروت،د ت، ج3ص362-397. من بين ما جاء في تعاريف السياسة أنها فن ممارسة القيادة والحكم، وهي أيضا النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة ويضمن الأمن و يقيم التوازن و الوفاق – من خلال القوة الشرعية والسيادة – بين الأفراد و الجماعات المتنافسة و المتصارعة في وحدة الحكم المستقلة على أساس علاقات القوة و الذي يحدد أوجه المشاركة في السلطة بنسبة الإسهام والأهمية في تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعي و سير المجتمع، و هي في تعريف آخر علم دراسة المصالح المتضاربة و انعكاسها على تكوين السلطة والحفاظ على امتيازات الطبقة الحاكمة.

3) كما يحمل مصطلح السياسة **قيمة تحقيرية** حين يوحي بالعمل المراوغ و المخادع –على حد قول 'ديزرائيلي'- الذي يثير الاشمئزاز؛ فمن عبارات التحسر و الإهانة " فلان سياسي يعاملنا بالسياسة". فكأن ممارستها فئوية خاصة بالموسومين بالدهاء، وأصبحت أداة تنفير من ممارسة بعض حقوق المواطنة. فخلَّف هذا لدى الدهماء من الناس شعورا بكراهيتها.

4) كما يحمل معنى **التفاوض و التوفيق** مثل سياسة المصالحة، سياسة حسن الجوار، سياسة التهدئة، سياسة التشاور بين الدول و السياسة المكوكية..

5) وتعني **الواقعية و الرضا بالواقع** مع استحالة تغييره و من ذلك قولهم سياسة الأمر الواقع و سياسة العد العكسي..

6) المنحى أو المنهج أو الموقف من مسألة معينة ومن ذلك سياسة فرق تسد وسياسة الاستهلاك.

نظريا هذه معاني السياسة؛ أما ميدانيا **فلا تسير السياسة كما يهوى أهل التنظير،** فالسياسة عند كثير من السياسيين يحكمها مبدأ واحد هو «الغاية تبرر الوسيلة» كما يزعم المؤلف و السياسي الإيطالي ' ميكافيلي''Machiavelli'(1469-1527م). لذا أصبحت كلمة السياسة مرادفة للدجل والكذب والتهريج، كما يؤكد 'مالك بن نبي' و يسميها 'بوليتيكا' تمييزا لها عن السياسة المبنية على مبادئ علمية نظرية. يقول 'مالك بن نبي':" الصراع بين السياسة و 'البولوتيك'قديم جدا و إذا أردنا أن نحددهما من الوجهة النفسية قلنا أن الأولى استبطان القيم بينما الثانية قذف مجرد للكلمات. و الأولى محاولة تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب، والثانية صرخات و حركات لمغالطة الشعب و استخدامه"[1].

2- مصطلح ' اللغة': **تعاريفها لا حصر لها عند العرب و الغربيين؛ ولكن الذي أكدته الدراسات أن كل التعاريف اللسانية الحديثة قد جمعها حد 'ابن جني'** (322هـ-392هـ) و هي لا تختلف جوهرا عنه[2]. ففي خصائصه قال:" **أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"**[3]**.** فأكد 'ابن جني' صوتية اللغة ووظيفتها التواصلية في المجتمع، و هو ما تبعه فيه

[1] – بين التيه و الرشاد:مالك بن نبي،د ط، دار الفكر، دمشق،1985،ص85.

[2] – ينظر في اللغة:أحمد شامية، ط 1، دار البلاغ للنشر،2002،ص11.

[3] – الخصائص:ابن جني،ج 1 ،ص33.

معظم علماء اللغة العربية كـ'القاضي عبد الجبار'(ت415هـ). و 'الفيروزبادي'(ت729هـ) و'السيوطي'(ت911هـ) [1]. ويعرفها 'ابن خلدون' (ت808هـ) بأنها "عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[2]. وهو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذ يعتبر اللغة نظاما للتواصل المقصود (سلوكا اجتماعيا) كما يقرر أنه ملكة راسخة واستعداد فطري، كما يشير إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية[3].

هذه هي اللغة كما أُجملت ثم فُصِّلت في اللسانيات العربية؛ فهي ذات طبيعة صوتية، وظيفة تواصلية مقصودة أساسا، آلتها اللسان، أودعها الله في الفطرة و بالتدريب تستقر وتصبح ملَكة، هي متعددة، خاضعة للأوضاع الاجتماعية مؤثرة فيها متأثرة بها.

هذه المحاور وغيرها ، هي التي لا يزال الغرب غالبا ينهكها بحثا فيصيب تارة ويخطئ أخرى. و لذا لا تكاد تعثر على تعريف جامع مانع للغة في علم اللسانيات الاجتماعية، إذ ما زال مفهوم اللغة بين أخذ و رد و بين توسيع وتضييق نظرا لبعدها الاجتماعي.

لقد أوردت كل هذه التفاصيل اللغوية و الاصطلاحية لمصطلحي السياسة واللغة، لأن لها انعكاسات واضحة على مفهوم و رسم السياسة اللغوية عند علماء اللسانيات الاجتماعية.

وخلاصة القول إن **مصطلح 'السياسة' تطور معناه** كما حدث لنظيره اليوناني 'بوليتيكا'. إلا أن **البحوث العربية في المصطلح كانت أكثر دقة و شمولية**؛ إذ بحثت في العلاقة العمودية بين الحاكم و المحكوم بكل دقة لتصل إلى أن أصلها هو التعاون لا الصراع والمصلحة النخبوية، و بحثت في امتداد السياسة أفقيا لتنطلق من سياسة الرجل نفسه ودخله وحيوانه إلى أعلى مستويات السياسة المعروفة اليوم. كما بحثت السياسة الشرعية العربية في بُعد آخر مهم؛

[1] - ينظر اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة:نعمان بوقرة،ط1،عالم الكتب الحديث،الأردن،2009،ص3.

[2] - مقدمة ابن خلدون:عبد الرحمن بن خلدون،د ط،دار الجيل،بيروت،د ت،ص603.

[3] - ينظر اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة:نعمان بوقرة، ص4.

و هو مركز قوة الحكم، فجعلته في الشرع[1] بينما جعله الغرب في الشعب. هذا المنحنى ثلاثي الأبعاد سنجده ينطبق على السياسة اللغوية في المباحث اللاحقة.

كما تطور مفهوم السياسة من مفهوم **إدارة** و رعاية شؤون الدولة الداخلية و الخارجية إلى **دراسة** شؤون الدولة من دستور و نظام، فلا غرو أن تكون السياسة فنًا في شقها التطبيقي وعلما في شقها النظري. ثم **خرج استعمال مصطلح السياسة إلى مجالات أخرى غير الحكم** وشؤون الدولة، و لكنها استعمالات للسياسيين في أغلبها؛ كقولهم سياسة الدفاع، السياسة النفطية، السياسة الثقافية، السياسة اللغوية..و من الطريف أن تعريف'أرسطو'(384-322 ق م) للسياسة يعكس هيمنة السياسة على مجالات الحياة؛ حيث قال عنها:" هي علم السيادة و هي سيِّدة العلوم"[2]؛ فهي سيدة العلوم لأنها تطلق على أي عمل مبني على تخطيط مسبق، فيقال مثلا سياسة التنمية الاقتصادية و يراد تخطيط التنمية الاقتصادية[3]. و مثلها أيضا السياسة اللغوية.

ولا شك أن **علم السياسة في دراساته و تنظيراته يجني منافع جمة من الممارسات السياسية** على مر العصور، وهو ما رصده 'ابن خلدون' باعتباره منظرا و ممارسا للسياسة، وأكد أن **مباحث موضوع السياسة من مواضيع علم الاجتماع**، وهو ديدن السياسة اللغوية في الاستفادة من التجارب اللغوية للجماعات و الدول، كما سيتبين ذلك في فصول هذا البحث.

---

[1] - ينظر نظام الإسلام في العقيدة و الأخلاق و التشريع: مصطفى ديب البغا،ط2،دار الفكر،بيروت ،لبنان،1998،ص274.

[2] – موسوعة السياسة:عبد الوهاب الكيالي،ج3، ص373.

[3] – ينظر "علم السياسة و مقدماته اليونانية":خلف الجراد، ص16.

3- السياسة اللغوية في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية:

إن مصطلح 'السياسة اللغوية' مركب وصفي بسيط* ترجم إلى العربية عن مركب أجنبي بسيط ، فهو يقابل في الفرنسية ' Politique Linguistique '، وفي الإنجليزية بـ ' Language Policy'.

يعرفها 'لويس جان كالفي'' Louis-Jean Calvet 'بقوله: " نحن نعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة و الحياة في الوطن"[1].

و يمكن إجمالُ جملةٍ من الملاحظات على هذا التعريف:

1- السياسة اللغوية من خلال هذا التعريف عبارة عن اتخاذ قرار بشأن جملة من الخيارات المطروحة التي قد تكون قابلة للتنفيذ و قد لا تكون . و تبقى الأسئلة التي لا يجيب عليها التعريف هي: من يتخذ قرار تنفيذ هذه الخيارات الواعية؟ ومن يفصل في قابليتها للتنفيذ من عدمه؟ إذا كانت مؤسسة فما طبيعتها؟ و إذا كانوا أفرادا فما هويتهم؟

2- تتخذ القرارات بصورة واعية مقصودة لا عفوية و لا ارتجالية - إذْ هذا ليس من السياسة و التخطيط - و هو ما يوحي بطابع الإعداد المسبق لمسودة مشروع مدروس بطريقة علمية، و تبقى الأسئلة المطوحة حول هوية معد هذا المشروع أو ما سماه التعريف بالخيار؟ فهل من يعد هو من ينفذ؟ ثم ما هي الأسس العلمية التي نحكم بها على مسودة المشروع أنها أعدت بطريقة علمية؟ وهو ما لا يجيب عليه التعريف أيضا.

---

* هو وصفي لأنه غير إضافي مثل "علم السياسة" وهو بسيط لأنه غير موسع مثل" علم السياسة اللغوية". ينظر نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين:سلطان ناصر المجيول،"رسالة ماجستير" ،معهد اللغة العربية،الجامعة الملك سعود،إشراف محي الدين عثمان محسب ،نوقشت سنة1427هـ، عدد الصفحات392، نشرت سنة2006، ص251-255.

[1]-La Guerre des Langues et les politiques linguistiques:Louis-Jean Calvet,Hachette Littératures, France,1999,p 155-154.

و ينظر علم الاجتماع اللغوي:لويس جان كالفي،ترجمة محمد يحياتن،د ط،دار القصبة للنشر، الجزائر،2006، ص111.

3- يحصر التعريف موضوع السياسة اللغوية الأساس في علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية و على وجه الخصوص علاقتها بالوطن. و يَبقى التعريف هنا مجملا دون تفصيل ولا تدقيق في طبيعة هذه العلاقة بين اللغة أو اللغات من جهة و بين الحياة الاجتماعية، هل هي علاقة تعايش أم صراع و تنافس ؟ كما يُبقي التعريف العلاقة غامضة بين اللغة و السياسة.

4- السياسة اللغوية تقتضي توفر جملة من المنطلقات؛ أهمها:

أ- الجماعة اللغوية أو جماعات.

بـ- اللغة أو اللغات.

جـ- إرادة تنظيم علاقة -لافتة للانتباه- بين اللغة و الحياة الاجتماعية ؛ كإرادة إحياء لغة ما مثلا أو الرغبة في اعتماد أو تحييد أو عصرنة لغة أو لغات ما.

د- خيارات مدروسة دراسة علمية تهدف إلى تنظيم العلاقة بين اللغة أو اللغات والمجتمع.

هـ- وجود سلطة ما تنظم الحياة داخل الوطن بما فيها تنظيم الوضعية اللغوية.

هذه الملاحظات و غيرها شكلت فعلا موضوع دراسات واسعة و معمقة، ودارت حولها استبيانات و استقصاءات و إحصاءات عديدة، بغية التأصيل أكثر لهذا الوليد الجديد 'السياسة اللغوية'. لأن "هذا التصور لا يقدم أي استبصار فيما يخص الأساس الإيديولوجي أو البنوي لسياسة التخطيط اللغوي، و لا لعلاقتها بالسلطة و الهيمنة، أو بدورها في الاستغلال والصراع"[1].

و لعل الضبابية التي يغرق فيها تعريف 'كالفي' للسياسة اللغوية؛ تعود إلى حداثة هذا الفرع من اللسانيات الاجتماعية حديثة النشأة هي أيضا.

---

[1] - السياسة اللغوية خلفياتها و مقاصدها:جيمس و. طوليفصون، ترجمة محمد الخطابي،ط1، مؤسسة العنى،الرباط، المغرب،2007، ص 25.

المبحث الثاني:

نشأة السياسة اللغوية.

المطلب الأول : نشأة مصطلح السياسة اللغوية.

المطلب الثاني: علاقة السياسة اللغوية بعلم اللسانيات الاجتماعية.

المطلب الأول : نـشأة مصطلح السياسة اللغوية.

لقد واكبت ظهور مصطلح السياسة اللغوية مصطلحات أخرى يشوش بعضها على بعض؛ على رأسها مصطلح ' التخطيط اللغوي'' Planifiquation Linguistique ' الأكثر استعمالا اليوم، و إن لم يكن هذا المصطلح متداولا في الكتابات الأولى التي تناولت هذا النشاط، إذ كان مصطلح 'الهندسة اللغوية '' L'ingénierie Linguistique ' أول مصطلح ورد في أدبيات الدراسات اللغوية الاجتماعية، عند لحديث على أنشطة المخططين اللغويين، حيث كان أكثر تكرارا من مصطلح 'السياسة اللغوية' و من مصطلحات 'التطور اللغوي' أو'التنمية اللغوية' 'Développement Linguistique ' و من ' التنظيم اللغوي '' Organisation Linguistuque''[1]. كما كان استخدام مصطلح السياسة اللغوية أحيانا مرادفا لمصطلح التخطيط اللغوي و'التهيئة اللغوية '' Aménagement Linguistique 'في الكبيك و'التقييس ' Normalisation' ' في كاتالونيا [2].

المطلب الثاني:علاقة السياسة اللغوية بعلم اللسانيات الاجتماعية.

تدخل الإنسان في الأوضاع اللغوية ليس بالسلوك الجديد؛ فمحاولات الناس قديما تقنين قوانين لاستعمالاتهم اللغوية محاولات لا تنكر. كما أن اختيار السلطة الحاكمة للغةٍ من بين لغات لتسيير دواليب الدولة أمر متكرر عبر التاريخ.

غير أن كل هذه التدخلات في حركة اللغة لم تكن مبنية على أسس نظرية وبحوث ميدانية تدرس و تُجِل علاقة اللغة بالمجتمع، خاصة إذا جاءت عبر قرارات سياسية. والسَّاسَة على قدر كبير من الذاتية. كما لم يقم بهذه التدخلات أهل اختصاص من اللسانيين الاجتماعيين[3].

---

1 – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:روبرت ل كوبر، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود،د ط، إصدار مجلس الثقافة العام، ليبيا،2006،ص 67.

2 – ينظر السياسات اللغوية:لويس جان كالفي، ترجمة محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف،الجزائر، 2009، ص11.

3 – ينظر السياسات اللغوية:كالفي، ص26.

فإرهاصات مثل هذه الدراسات التي تهتم برسم مناهج علمية للتدخل في إدارة تعدد لغوي ما، ما ظهرت إلا حديثا؛ ولعل 'حلقة براغ' بدراستها لتقييس اللغة التشيكية بجدية و علمية، كانت من الرواد في مجال السياسة اللغوية و تخطيطها. كما نجد' أنطوان ميي'' Antoine Meillet' يدرس بجدية القوانين التي تحكم وضع اللغة في المجتمع متعدد اللغات، ووجَّه اللغويين نحو استكشاف هذه القوانين، ففي سنة 1906 رسم لهم المنهج قائلا:" إنه من الواجب أن نحدد مع أي بنية اجتماعية تتفق بنية لغوية معينة، كما أنه من الواجب أن نحدد كيف تتمثل تغيرات البنية الاجتماعية ، بطريقة عامة ، في تغيرات في البنية اللغوية"[1]، ولذا ليس غريبا أن نجد' ميي ' يتحدث عن أوربا اللغوية[2].

أما مصطلح التخطيط اللغوي فلم يظهر إلا على لسان 'فانرش ''Uriel Weinreich'. و لكن الذي أدخله أدبيات علم الاجتماع اللغوي من خلال كتاباته؛ هو الأمريكي 'هوجن' 'Haugen '- المتخصص في اللسانيات الاجتماعية- سنة 1959 في مقالة خصصها للوضع اللغوي النرويجي، كما أضاف 'فيشمان' عبارة 'السياسة اللغوية' في كتيب نشره سنة 1970. فازداد بذلك الثنائي ' السياسة / التخطيط ' شيوعا دون أن يعرَّفا بدقة. لأن ظهور المصطلحين كان في إطار عِلميْن كانا في طور النشأة، ولم يتفق العلماء حول تسميتهما آنذاك هما 'علم اللغة التطبيقي'• 'Linguistique Appliqué ' و'اللغويات الاجتماعية'•• ' la

---

[1] - اللغة و المجتمع:محمود السعران، ط2، دار المعارف،مصر،1963،ص62.

[2] - ينظر السياسات اللغوية: كالفي،ص 13.

• يسمى أيضا اللسانيات التطبيقية ، ظهر المصطلح سنة 1946، و أصبح فرعا من فروع اللسانيات العامة إلى أن انشق عنها وأصبح قسيما لها منذ حوالي ثلاثين عاما، فهو في حقيقته علم يستثمر نتائج علوم أخرى ذات صلة ما باللغة..ويستغل هذه العلوم في **حل مشكلات اللغة** التي تواجهها **في ميادين غير لغوية** كميدان تعلُّم اللغة الأولى و الثانية وتعليمها و إدارة التعدد اللغوي والتخطيط اللغوي وعلاج اضطرابات الكلام و الترجمة و إعداد المعاجم و أنظمة الكتابة..فتفرع هذا العلم إلى عديدة علوم(علم اللغة التعليمي، علم اللغة الاجتماعي،علم اللغة النفسي..).ينظر في علم اللغة التطبيقي:محمد فتيح،ط1،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،1989، ص12-15. و ينظر علم اللغة التطبيقي و تعليم العربية:عبده الراجحي،د ط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،مصر، 1995، ص2-9.و ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية:صالح لعيد،ط3، دار هومه،الجزائر،د ت،ص 11-19.

•• **أغلب المصادر اتفقت على أن المقابل العربي لمصطلح " Sociolinguistique "هو" علم اللغة الاجتماعي"**، يرى 'فيشمان' أن اللسانيات الاجتماعية تختبر التفاعل بين مظهرين من مظاهر السلوك الإنساني هما:**استعمال اللغة و الترتيب الاجتماعي للسلوك**..فهدف اللسانيات الاجتماعية إذا هو البحث عن التنوع التلازمي للظاهرة اللغوية الاجتماعية، لأن التنوع تنوعان؛ تنوع لغوي و آخر اجتماعي وبينهما تنوع ملازم قد يمس الشكل أو المحتوى أو هما معا. ينظر نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية:سلطان ناصر المجيول،ص 66. ينظر التخطيط اللغوي:كوبر،ص91.و ينظر

Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage:Jean Dubois et autres ، edition2 ، 1999، Larousse، Paris،P435-436.

SocioLinguistique'[1]. فكانت بهذا بحوث إدارة التعدد اللغوي فرعا من فروع السياسة اللغوية التي انضوت دراستها تحت هذين العلمية الجديدين.

إن البنيوية تشكلت من رفضها لكل ما هو اجتماعي في اللغة في حين يحتفل علم اللغة الاجتماعي بكل ما هو اجتماعي في اللغة. وهذان التياران تطورا بكيفية مستقلة عن بعضهما البعض[2].

فالجديد الذي استحدثته ستينيات القرن الماضي؛ هو الاهتمام الواسع والإدراك العميق بأن علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف الكثير مما كان غامضا من طبيعة اللغة و طبيعة المجتمع[3]. و لما كانت السياسة اللغوية نشاطا صريحا يتجه نحو اللغة فإن دراسة السياسة والتخطيط اللغويين يقع في صميم مجال علم اللغة الاجتماعي كما يرى 'فيشمان'، حتى أنه سمى التخطيطي اللغوي علم الاجتماع اللغوي التطبيقي[4]. بل إن 'لويس جان كالفي' لاحظ أن تطور علم اللغة الاجتماعي ارتبط بتطور السياسة اللغوية، و أن اشتداد هذا العلم كان نتيجة الاهتمامات الأولى بالسياسة اللغوية[5].

---

1 - ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p 154 et 158 .

و ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر، ص68.

2 - ينظر "اللغويات الاجتماعية":عبد الحميد دباش، مجلة الأثر، العدد 3، ماي 2004،مجلة الآداب و اللغات ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة ورقلة، الجزائر،ص14.

3 - ينظر علم اللغة الاجتماعي:هدسون، ترجمة محمود عياد،ط2،عالم الكتب،مصر ،1990،ص12.

4 - ينظر التخطيطي اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص91.

5 - ينظر السياسات اللغوية:كالفي،ص31.

المبحث الثالث:

موضوع السياسة اللغوية.

المطلب الأول: المشكلات اللغوية الاجتماعية التي هي موضوع السياسة اللغوية.

المطلب الثاني: التعريف ببعض المشكلات اللغوية الاجتماعية:

- الثنائية – الاحتكاك اللغوي و مظاهره – الوظائف اللغوية.

المطلب الأول : المشكلات اللغوية الاجتماعية التي هي موضوع السياسة اللغوية.

المشكلات اللغوية التي تحتاج إلى رسم سياسة لغوية، هي في الحقيقة موضوع السياسات اللغوية. و يجملها 'ميشال زكريا' في الآتي :

"1- وضع المقاييس للكتابة الصحيحة و للكلام الجيد.

2- ملاءمة اللغة كوسيلة تعبير للشعب الذي يستعملها.

3- قدرة اللغة على أن تكون أداة الإبداع الفكري و العلمي.

4- عدم القدرة على التفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة ضمن الدولة الواحدة.

5- اختيار لغة التعليم.

6- ترجمة الأعمال الأدبية.

7- اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي.

8- القيود الموضوعة على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات.

9- التنافس بين اللهجات و الارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية.

10- المحافظة على التوازن بين مصلحة الدولة و مصلحة الأفراد في المجال اللغوي"[1].

كما يستفيد 'كالفي' من تجارب لغوية معاصرة في مجال السياسة اللغوية؛ ليوسع من موضوع السياسة اللغوية لتشمل معالجة مشكلات واجهة اللغة من قبيل التدخلات على متن اللغة كالتدخل مثلا في صورة اللغة بابتكار الكتابة، أو بتوليد المعجمي..أو من قبيل التدخل على منزلة اللغة بالتدخلات على **وظائف اللغة و منزلتها الاجتماعية و علاقتها باللغات الأخرى.** فبهذه السياسة اللغوية يمكن تغيير المفردات و توليد الكلمات الجديدة و مكافحة الاقتراض كما يمكن تغيير منزلة اللغة بترقيتها إلى مصاف اللغات الرسمية مثلا[2]. فما حقيقة هذه المواضيع التي يدرجها 'كالفي' ضمن مجال السياسة اللغوية.

---

[1] – قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا، ط1،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1993،ص 11.

[2] – ينظر السياسات اللغوية: كالفي،ص23.

المطلب الثاني:التعريف ببعض المشكلات اللغوية الاجتماعية:

- الثنائية اللغوية – الاحتكاك اللغوي و مظاهره – الوظائف اللغوية.

هذه المشكلات التي تسعى السياسة اللغوية إلى حلها، غالبا ما يتم تحديدها عن طريق جملة من المباحث التي هي من صميم المبحث اللساني الاجتماعي. وسوف نتطرق لبعضها، لما لها من علاقة وطيدة بموضوع هذا البحث. ومن تلك المصطلحات نجد: - الثنائية اللغوية - الاحتكاك اللغوي ومظاهره- وظائف اللغة .

أولا : الثنائية اللغوية:

يخضع تحديد الثنائية إلى المصطلح الذي ترجمت عنه، وهذا موضع خلاف بين المهتمين باللسانيات الاجتماعية. فترجمة 'Bilinguistique' و 'Diglossie' اختلف فيهما الدارسون. فالبعض يترجم الأول إلى الثنائية و البعض إلى الازدواجية و العكس أيضا بالنسبة للثاني. و لا أملك الكلمة الفصل في ذلك، و لكنني أحاول أن أميل إلى ما تميل إليه الدراسات التي اعتمدتها مرجعا للبحث. فأعتمد 'Bilinguistique' ازدواجية لغوية• و أعتمد 'Diglossie' ثنائية لغوية••. فما دلالة كل مصطلح عند الدارسين الغربيين؟

تعريف الازدواجية اللغوية: هي قدرة الفرد على التكلم بأكثر من لغة. لذا فهي ظاهرة فردية، تهتم بها اللسانيات النفسية لا الاجتماعية[1]. و قد تصل قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغتين فنكون بصدد 'تعدد لغوي' ' Multilingue'.

تعريف الثنائية اللغوية: تواجد شكلين لغويين للغة واحدة في نفس المجموعة؛ شكل راقي(تنوع رفيع) 'variété haute' و شكل أدنى(تنوع وضيع)' variété basse' .

• و هو ما يذهب إليه المسدي و إميل يعقوب و محمود عياد و معجم المصطلحات و المعجم الموحد. ينظر نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية:سلطان ناصر المجيول،ص 149-150.

•• و هو ما ذهب إليه المسدي و إميل يعقوب و المعجم الموحد، ينظر المرجع نفسه ، ص148-149.

[1] - ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p45.

يقول 'فرجسون' في تحديد الثنائية اللغوية:" هي وضعية لغوية مستقرة نسبيا، يوجد بها نوع موازي مختلف جدا راقي الترميز، يحمل مجموعة من الآداب المكتوبة الواسعة«...» والتي تدرس خاصة في التعليم الرسمي، و هي مستعملة في اللغة المكتوبة أو في المنطوقة ولكنها لا تستعمل في المحادثة العادية في أي من أجزاء الجماعة. هذا بالإضافة إلى وجود الأشكال اللهجية للغة التي تتضمن نموذجية أو نموذجيات جهوية"[1].

فالتمايز بين الشكلين تمايز وظيفي على ما يذهب إليه 'فرجسون'؛ **فالشكل الراقي له وظيفة رسمية** فيستعمل في دور العبادة و الآداب و الرسائل و الخطب والجامعة..فهو يحظى بصيت اجتماعي و يكتسب من المدرسة لتعقيده و تقعيده، لذا يستخدم في إنتاج الأدب المعترف به. أما الشكل الأدنى(الوضيع) فيستخدم في الأحاديث العائلية و الأدب الشعبي و لا صيت اجتماعي له و يكتسب بطريقة طبيعية على أنه اللغة الأولى الطبيعية[2].

وسع 'فيشمان' 'Fishman' من الثنائية - التي هي ظاهرة اجتماعية - لتشمل أكثر من نظامين أو أنظمة ليست بحاجة إلى أن تكون ذات أرومة واحدة مشتركة أو علاقة قرابة، ومعنى ذلك أن أي وضع استعماري تعايشت فيه لغة أوربية إلى جانب لغة أفريقية هو من قبيل الثنائية عند 'فيشمان'[3]. أي أن الازدواجية اللغوية ظاهرة فردية إذا تحولت إلى جماعية أصبحت ثنائية لغوية، لذا هي من صلب اهتمامات اللسانيات الاجتماعية[4].

---

[1]-Dictionnaire de linguistique :Jean Dubois et autres ،P148.

[2] – ينظر علم الاجتماع اللغوي: كالفي،ص46.

[3] – ينظر المرجع نفسه،ص47.

[4] – ينظر المرجع نفسه،ص46.

ثانيا: الاحتكاك اللغوي و مظاهره.

إن ’الاحتكاك اللغوي‘ ’Contacte des langues‘ يظهر عند وجود التعدد اللغوي، وهو من الناحية اللسانية الاجتماعية عبارة عن التأثير و التأثر الحاصل بين مجموعة بُنى لغوية و مجموعة بُنى اجتماعية، لذا من نتائجه، ظهور ظواهر لغوية تدرس دراسة علمية. و لدراسة هذه الظواهر دراسة علمية يجب التركيز على:

- **المفاهيم الجديدة** الواردة على اللغة أو اللغات كالمفاهيم التكنولوجية الجديدة.

- **مصطلحاتها الجديدة** سواء تم إنشاؤها من داخل اللغة وهو ما يعرف بالإنشاء الداخلي، أو تم إنشاؤها من خارج اللغة و هو ما يسمى بالإنشاء الخارجي.

للاحتكاك اللغوي عدة مظاهر منها: - الاقتراض – النسخ – التداخل اللغوي – الاختلاط اللغوي. و هذه لمحة عن كل مصطلح.

I. ***الاقتراض اللغوي’ Emprunt linguistique:***

هو أول مظهر من مظاهر الاحتكاك اللغوي، " **فبدل أن نبحث في لغتنا عن مقابل صعب العثور عليه لكلمة في لغة أخرى، نستخدم مباشرة هذه الكلمة بتكيفها مع نطقنا**"[1]، أي "استعمال لفظة موجودة في لغة ثانية"[2]. فهو عبارة عن إنشاء خارجي.

إن الدراسات اللغوية العربية القديمة كانت تتحاشى مصطلح الاقتراض؛ لدلالته اللغوية على الاستعارة الواجب ردها، و لا رد بين اللغات لما تستعيره. و شاعت بدلا عنه مصطلحات أخرى كالدخيل و المعرب و المولد[3].

و قد يكون الاقتراض بطريقة عفوية أو بآلية مبرمجة؛ فالاقتراض العفوي عبارة عن لفظ يقترضه متكلمو اللغة من لغة أخرى، حين يجدون أنفسهم في مواجهة واقع أو ممارسة ليس

---

[1] – المرجع السابق، ص29.

[2] – La Guerre des Langues:Calvet,p235 .

[3] – ينظر علم اللغة الاجتماعي عند العرب:هادي نهر،ط1،طبعة الجامعة المستنصرية،1988،ص131.

لها اسم في لغتهم، بعد إجراء التكييف الصوتي الذي تفرضه اللغة. و قد يؤدي ذلك إلى ظهور أصوات جديدة في اللغة المقترضة. و مثالها كلمة 'Campaing' (المخيم) التي اقترضتها الفرنسية من الإنجليزية، و مثلها كلمة 'Parking' (المرآب)[1]. أما الاقتراض المبرمج فهو الذي تتعمده جماعة من اللغويين أو لجان مصطلحية، و مثاله كلمة 'زرَّة' الذي اقترضته لغة مالي من العربية للدلالة على الذَّرَة[2]. كما تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الاقتراض ينصرف إلى المقترَض (المصطلح) و إلى عملية الاقتراض نفسها.

شروطه[3]:

1- أن **ينتقل بداله و مدلوله**؛ أي يتم نقل الشكل و المضمون من اللغة 'أ' إلى اللغة'ب'.

2- أن **يدمج في النظام المعجمي** و يتحقق الاستقرار للوحدة المقترضة في الاستعمال الجماعي.

3- أن **يكون الاقتراض إراديا**؛ أي تأخذ الجماعة اللغوية في استعماله بشكل عفوي غير مقصود.

II. ***النسخ اللغوي' Le Calque linguistique'***:

هو أخذ عبارة من اللغة المترجم منها وترجمتها مباشرة إلى اللغة المترجم إليها. مما يستوجب إدخال استعمال جديد يبدو غريبا[4]. أي **يتم بترجمة اللغة 'أ' كلمة - بسيطة أو مركبة - في شكل كلمة بسيطة أو مركبة في اللغة 'ب'؛ فالنقل يكون للمدلول دون الدال،** لأن الترجمة هي عملية نقل المفهوم دون الشكل. ومثاله: 'قاعة العلاج' نسخت عن "sale de soin" أو"وضع النقاط على الحروف" نسخا عن"metre les points sur les is".

قد يكون النسخ هو الدخيل - كما يذهب المسدي- الذي دخل العربية بعد عصور الاحتجاج خلافا للمعرب الذي دخلها في عصور الاحتجاج. و يبدو أن تخصيص الدخيل من

---

1 - ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p236 .

2 - ينظر المرجع نفسه.ص 236.

3 - ينظر محاضرات في مقياس "اللسانيات الاجتماعية": عبد الحميد دباش . ألقاها – مشافهة- على طلبة السنة الأولى تخصص لسانيات تطبيقية.كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الحاج لخضر ،باتنة،السنة الجامعية 2009/2008.

4 - ينظر نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية:سلطان ناصر المجيول، ص215.

العصور المتأخرة بمصطلح النسخ هو الأولى لأنه يخصص عموم الدخيل بالعصرين الحديث والمعاصر، وهو ما يذهب إليه ’عبد الحميد دباش‘[1]- رحمه الله- و الله أعلم.

شروطه[2]: 1- **إدراج هذا المنسوخ في المعجم** و الاستعمال اليومي للجماعة اللغوية.

2- أن **يكون في شكل وحدة معجمية.**

3- إما أن النسخ **يكون لوحدة بسيطة أو مركبة.**

III. ***التداخل اللغوي ’ Interférence linguistique‘:***

عند ’فانرش‘ ’Uriel Weinrich ‘ "يدل لفظ التداخل على ’تحوير‘ ’remaniement‘ للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناءً، مثل مجموع النظام الفونولوجي و جزء كبير من الصرف و التراكيب و بعض مجالات المفردات.."[3]. فهو **انتقال السمات – الدلالية أو الصوتية أوالصرفية أو التركيبية - من اللغة ’أ‘ على اللغة ’ب‘. أي دون انتقال الوحدة الدلالية.** على اعتبار أن ’السِّمة‘ ’Tré‘ هي أصغر وحدة دلالية مميزة؛ كالسمة الصوتية ’الهمس‘ و ’الجهر‘ المميزة بين حرفي ’P‘ و’B ‘.

يقول’جون ديبوا‘’Jean Dubois‘:"تقول أن هناك تداخلا إذا استعمل شخص - لا مجموعة- ’مزدوج اللغة‘ ’ Bilinge‘ (له القدرة على التكلم بأكثر من لغة) في اللغة’أ‘ سمة صوتية صيغية (صرفية) معجمية أو تركيبية تخص اللغة ’ب‘ التي هي اللغة الأم له"[4]. فالتداخل من تأثير اللغة الأم على اللغة الثانية أو الثالثة.

و مثال التداخل الذي يقع في المعجم استخدام الانجليزي لفظ ’phrase‘ بدل ’syntex‘ عند تسميته للجملة الفعلية فيقول: ’verbel phrase‘ ولا يقول: ’verbel syntex‘ و هذا من باب التداخل المعجمي بين اللغتين.

---

[1] – ينظر محاضرات مقياس "اللسانيات الاجتماعية":عبد الحميد دباش.

[2] – ينظر المرجع نفسه.

[3] – علم الاجتماع اللغوي: كالفي، ص27.

[4]- ينظر Dictionnaire de linguistique: Jean Dubois et autres،P252-253.

شروطه[1]:1-**هو فردي** لا جماعيا و إلا أصبح اقتراضا أو نسخا.

2-**لا إرادي**؛ يحدث دون شعور من المستعمل، لذا لا يحدث له استقرار في اللغة الأم.

3- **قد يمس جميع مستويات اللغة**.

IV. ***الاختلاط اللغوي*** ***'Le Melange linguistique'***:

يقول'لويس جان كالفي': " عندما يكون الفرد إزاء لغتين يستعملهما بالتناوب، فيحصل أن تتمازجا في خطابه و أن ينتج ملفوظات 'مزدوجة'. و لا يتعلق الأمر هنا بالتداخل، بل يمكننا القول بأن الأمر يتعلق بعملية تلصيق'collage'، و انتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى، وهو ما يدعى بـ'مزج اللغات''code mixing' أو'التعاقب اللغوي' ' code switching' وهذا حسب حصول التغيّر اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو من جملة إلى أخرى"[2].

فهو إذن **استعمال وحدة لغوية كما هي من اللغة 'ب' إلى اللغة 'أ'، و يكون على مستوى الفرد و قد يتعدى الوحدة اللغوية الواحدة إلى عدة وحدات**. فهو يشبه التداخل ولكنه لا يكون بانتقال السمة. و يحدث عند الفرد المزدوج اللغة في مجتمع أحادي اللغة؛ إذ يستعمل الفرد وحدة لغوية أو أكثر من غير اللغة الأولى دون تغيير عليها مطلقا في أثناء كلامه. مثاله ما تشهده الجزائر في أيامنا من استعمال المواطنين لكلمات و جمل فرنسية أثناء الحديث بالعربية.

شروطه[3]:1- **غير قابل للدمج في المعجم** الجماعي.

2- **لا يخضع لنظام اللغة الأولى** و لا يغير نظامها الصرفي، لأنه إلصاق لملفوظات أو أجزاء مفوظات بلغة 'أ'.

3- **يكون على مستوى الفرد** لا الجماعة.

---

[1] – ينظر محاضرات مقياس "اللسانيات الاجتماعية":عبد الحميد دباش.

[2] – علم الاجتماع اللغوي: كالفي،ص 32.

[3] – ينظر محاضرات مقياس "اللسانيات الاجتماعية":عبد الحميد دباش.

يبدو أن للاحتكاك اللغوي دلالات لسانية اجتماعية يمكن أن نجملها في التالي:

1- الاحتكاك اللغوي ظاهرة لسانية اجتماعية؛ **يظهر من خلال تفاعل البُنى اللغوية مع البُنى الاجتماعية**.

2- في كل الحالات يُنتج الاحتكاك اللغوي وضعيات يكون المرور فيها من لغة إلى لغة أخرى له **دلالة اجتماعية**.

3- في كل احتكاك لغوي **يتم التواصل رغم التعدد اللغوي**، و ذلك كمظهر من مظاهر تسيير التعدد اللغوي.

4- التعدد اللغوي ليس دائما متناغما، بل **قد يكون تنازعيا**.

ثالثا:الوظائف اللغوية.

عند ظهور اللغويات المعاصرة ذات السمة البنيوية التي تركز على شكل اللغة[1]، ظهر خطاب آخر لا يركز على شكل اللغة بل على وظائفها الاجتماعية. فما تعريف الوظيفة؟ و ما هي هذه الوظائف من منظور اللسانيات الاجتماعية؟

وظائف اللغة حسب تعريف 'قورمان''Gorman' هي " القرارات الصادرة من سلطات مختصة بقصد المحافظة على لغة أو توسيع مجالات الاستعمال للغة ما في مجتمع معين"[2]. و في الحقيقة **تحديد الوظيفة اللغوية لا يكون بإسناد 'منزلة' 'Statu' بعينها لكل لغة**؛ بل لا بد من بُعد هام جادا؛ و هو تصورات الناطقين بتلك اللغة أو اللغات و مواقفهم منها[3]. لذا **تحديد الوظائف اللغوية ليس حكرا على الدستور**، لأن الوظائف التي تقوم بها اللغة داخل المجتمع تتغير تلقائيا و دون تخطيط في أغلب الأحيان، و ذلك لأن اللغة ذاتها تتغير بمرور الزمن. ومثال ذلك تغير اللغة الأم بتبني اللغة العربية في كثير من أجزاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد الفتح الإسلامي، حيث أصبحت للغة العربية وظيفة اللغة الأم و اللغة الرسمية للدولة[4]. فلا غرابة في وجود وظائف غير التي يحددها الدستور؛ كوظيفة التثقيف أو وظيفة الانسجام الاجتماعي أو وظيفة الاندماج النطاقي.. و هي وظائف سأقف على تعاريفها في ثنايا هذه الرسالة.

من حيث المبدأ يمكن- نظريا- عند رسم السياسة اللغوية تركيز على أي وظيفة تواصلية، أما عمليا فنجد السلطة و النخبة المضادة تستهدف وظائف أخرى للغة تمكنها من توسيع سلطتها أو الحفاظ عليها[5]. فما هي وظائف اللغة هذه؟

---

[1]- ينظر cours de linguistique generale:De Saussure , edition Talantikit,Bijaïa , Algerie, 2002 .p351. يقول دي سوسير:"إن هدف اللسانيات الوحيد و الحقيقي إنما هو اللغة منظورا إليها في ذاتها و من أجل ذاتها ".

[2] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر، ص72.

[3] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة طالب الإبراهيمي،ترجمة محمد يحياتن،د ط،دار الحكمة،الجزائر،2007، ص10.

[4] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر، ص185.

[5] – ينظر المرجع نفسه ،ص219.

وفقا لتعريف 'قورمان' القاضي بأن الوظائف يحددها الدستور؛ فإن 'ستيوارت' 'Stewart' حدد وظائف اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية فيما يلي:

1- الوظيفة الرسمية[1]: و يرمز لها بالرمز (O) من الأبجدية الانجليزية. و هي تعني أن اللغة الرسمية هي معتمدة لأداء كافة الأنشطة الممثلة للدولة، سياسيا وثقافيا. يحددها الدستور. ولها ثلاثة أنواع (مظاهر):

أ- اللغة **الدستورية** الرسمية (القانونية) وهي التي يصفها الدستور بذلك.

ب- اللغة **العملية** الرسمية (الإدارية) و التي بها يتم التعامل الإداري و على لافتات الطرقات و على العملة و طوابع البريد.

جـ- اللغة **الرمزية** الرسمية التي تستعملها الدولة كرمز لها و لقوميتها.

ففي فلسطين المحتلة تعتبر إسرائيل اللغة العبرية هي اللغة الرسمية بالمفاهيم الثلاثة، أما العربية فيها فهي اللغة الرسمية من الناحيتين العملية و القانونية، أما الإنجليزية فهي لغة رسمية من الناحية العملية فقط.

2- الوظيفة الإقليمية[2]: أي وظيفة الاستعمال الإقليمي و في حدود الإقليم، يرمز لها بالرمز(P) من الأبجدية الإنجليزية. هي لغة تؤدي دور اللغة الرسمية في حدود جغرافية محددة، فلا وظيفة قومية لها. و يمكن أن تنسحب عليها الأنواع الثلاثة للغة الرسمية.

3- الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع[3]: يرمز له بالرمز(W) من الأبجدية الإنجليزية. و هي تعني أن اللغة تستعمل للتفاهم عبر الحدود اللغوية بين الأقليات في الأمة الواحدة، و لا يمكن أن تؤدي الوظيفة العمودية (بين الحاكم و الرعية) لا الرسمية و لا الإقليمية، لأنها للتواصل الأفقي (بين أفراد الرعية). و مثالها لغة 'ماندينجو•' 'Mandingo' التي استخدمتها فرنسا الاستعمارية للتواصل مع السكان المحليين.

---

1 - ينظر المرجع السابق ،ص186-187.

2 - ينظر المرجع نفسه ، ص192.

3 - ينظر المرجع نفسه ،ص193-194.

• مجموعة من اللغات الأفريقية المستخدمة في كل من مالي و غينيا و سيراليون.

4- الاستعمال الدولي[1]:يرمز له بالرمز (i) في الأبجدية الإنجليزية. و تعني هذه الوظيفة أن للغة استعمالا في الأغراض الدبلوماسية و التجارة الدولية و السياحة..لذا تُراعَى مثل هذه اللغات في السياسة التعليمية للدول، باختيار أوسع اللغات انتشارا لتعليمها في المدارس. ومثالها اللغة الإنجليزية في إسرائيل؛ إذ هي لغة تعامل تجاري مع غير إسرائيليين، و مع السُّواح و مواطني الدول الأخرى..

5- الاستعمال اللغوي في العاصمة و ما حولها[2]: رمزه بالأبجدية الانجليزية (C). و لها مهمة التواصل في حدود عاصمة الدولة و ما حولها، خاصة إذا كانت هذه العاصمة السياسية هي العاصمة الاقتصادية و لها نفوذ اجتماعي كبير، مما يجعل اللغة أو اللغات العاصمة تنتشر في أطراف الدولة. و لا تشكل هذه اللغة و لا وظيفتها محور اهتمام السياسات اللغوية.

6- الاستعمال الخاص بالمجموعات[3]: يرمز له بالرمز(G) من الأبجدية الإنجليزية. حيث توكل للغة مهمة التفاهم الطبيعية بين أفراد مجموعة عرقية و ثقافية واحدة؛ مثل القبيلة أومجموعة مهاجرين مستقرين. و قد ترتقي هذه الوظيفة - بشكل غير رسمي- لتشكل معيار الانتساب و العضوية للمجموعة، فتصبح هذه اللغة عامل تحديد للهوية. و يمكن أن تكون هذه اللغة محور رسم سياسة لغوية، كما حدث مع محاولات إسرائيل جعل العبرية لغة التواصل بين كل الإسرائيليين و محاولة الايرلنديين جعل الايرلندية لغة التفاهم بين الشعب الايرلندي.

7- استعمال اللغة أداة للتعليم[4]: و يرمز لها باللغة الإنجليزية بالرمز(E). و تعني جعل اللغة أداة للتدريس في المؤسسات التعليمية على المستوى الإقليمي والقومي. و لعل هذه الوظيفة من أهم المحاور التي تثور حولها نقاشات واسعة عند رسم السياسات اللغوية، لأن رسمها يشترك فيه السياسيون و رجال الأسرة التعليمية، دون أن نستثني الضغوط التي يمارسها أصحاب المصالح و النفوذ السياسي و الاقتصادي في اختيار اللغات التي تكون وسيلة للتعليم.

---

[1] - ينظر المرجع السابق ،ص196-197.

[2] - ينظر علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،د ط،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،1995،ص174.

[3] - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص198.

[4] - ينظر المرجع نفسه ،ص201-203.

8- استعمال اللغة مقررا دراسيا(تعلم لغة ما)[1]: و يرمز له بالرمز(S) في الأبجدية الإنجليزية. و تعني تدريس اللغات التي ليست لغات رسمية و لا إقليمية، و يتم تدريسها في مراحل عليا كمرحلة الثانوي و الجامعي، على اعتبار أن اللغة الثانية أدرجت للتدريس في المراحل الابتدائية. و قد يخضع اختيار اللغات موضوعا للتدريس لضغوط سياسية و اقتصادية و تجارية..

9- استعمال اللغة لأغراض أدبية[2]: و تأخذ رمز(L) في الأبجدية الإنجليزية. و هي تعني استخدام اللغة للكتابات الأدبية و الأكاديمية.

10- استعمال اللغة لأغراض دينية[3]: رمزه بالأبجدية الإنجليزية هو (R)•. ويقصد بهذه الوظيفة استعمال اللغة عند أداء الطقوس الدينية و الفرائض التعبدية. ويلحق بها أيضا استعمال اللغة في التعليم الديني و تصحيح العقائد و الوعظ والإرشاد و قراءة النصوص المقدسة.

هناك **وظائف أخرى للغة تستهدفها السياسات اللغوية عند رسمها، منها تحديد لغة وسائل الإعلام الجماهيري، و لغة ميادين العمل**[4]. أي تحديد جدوى استعمال لغة معينة في وسائل الإعلام و مدى تكريسها للوحدة الوطنية للدول، و تلبية حاجات الأقليات العرقية، فضلا عن مدى وفرة الأطقم والبرامج بهذه اللغة، و الجدوى من الإنتاج الإذاعي لبرامج بهذه اللغة. أما وظائف اللغة التي تستهدفها السياسات اللغوية في ميادين العمل، فتعني تحديد لغة ميادين العمل و إحداث نوع من التكيف اللغوي وفقا لما تتطلبه فرص العمل المتاحة.

---

[1] – ينظر علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص176.

[2] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص211.

[3] – ينظر المرجع نفسه ،ص212.

• يبدو أن الرمز سقط سهوا في المرجع الذي اعتمدناه، و الأرجح أنه حرف R من كلمة Religieuse.

[4] – ينظر المرجع نفسه،ص216.

المبحث الرابع:

عناصر رسم السياسة اللغوية.

المطلب الأول : من يرسم السياسة اللغوية؟

المطلب الثاني:لمن ترسم السياسة اللغوية؟

المطلب الثالث: لماذا ترسم السياسة اللغوية؟

المطلب الرابع: كيف ترسم السياسة اللغوية (الآليات)؟

من المهم معرفة العناصر التي يقوم عليها مشروع سياسة لغوية، ويمكن تحديدها عند الإجابة على أربعة أسئلة أساسية حول السياسة اللغوية وهي:

1- من يضع مسودة السياسة اللغوية؟ ومن يحولها إلى مشروع؟
2- لمن أعدت هذه السياسة؟ ومن هم الذين تستهدفهم هذه السياسة؟
3- لماذا أعدت هذه السياسة اللغوية؟ وما المطلوب منها؟
4- كيف سيتم إعداد مشروع سياسة لغوية؟ وما هي الخطوات و الآليات ؟

المطلب الأول : من يرسم السياسة اللغوية؟

لا تنحصر السياسة اللغوية في عمل السلطة فقط لإيجاد الحلول المناسبة لقضايا اللغة في المجتمع، بل يمكن لمؤسسات "و أجهزة أخرى القيام بذات العمل. فسلطة الكنيسة قد تدفع السياسة الألسنية باتجاه معين، نذكر هنا تأثير 'لوثر' بالنسبة إلى اللغة الألمانية. و تلعب المدارس الأدبية دورا أساسيا في هذا المجال، و نشير هنا إلى تأثير 'براماتا شواد هوري' وآخرين في ارتقاء اللغة البنغالية، كما تساهم المجامع العلمية و الأدبية.."[1] في رسم السياسة اللغوية. فكما يبدو أن السياسة اللغوية مرتبطة بالدولة، و ليس هذا خيار نظريا فقط بل هو تقرير عن الواقع أيضا. لكن هذا لا ينفي وجود سياسات لغوية خارج إطار الدولة؛ فيمكن وجود سياسة لغوية عابرة للحدود كما يمكن أن تكون لجماعة محدودة أصغر من الدولة. فمن السياسات اللغوية العابرة للحدود مثلا السياسة اللغوية للشتات 'diaspora' كالصم البكم التي يمكنها أن تعقد مؤتمرات عالمية، و مثلها جماعة الأسبرنتو و الغجر..أما نموذج السياسة اللغوية لجماعة محدودة أصغر من الدولة فيمكن أن نجده في السياسة اللغوية العائلية، أو كما حدث مع سكان منطقة بريطانيا الفرنسية أو سكان منطقة التبت في الصين[2].

فإذا كانت سلطة الدولة لم تتمكن من تحييد غيرها من رسم السياسة اللغوية، و أصبح بإمكان كيانات أكبر أو أصغر من الدولة أن ترسم لنفسها سياسة لغوية، فإن السؤال الذي يطرح

[1] – قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا، ص11.

[2] – ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p155 .

نفسه بإلحاح هو ما مكانة الجهود الفردية من رسم السياسات اللغوي؟ و هنا يجيب ’كوبر‘ بأن لا مجال لاستبعاد الجهود الفردية من ذلك، و إلا كان ذلك تضييقا لمفهوم السياسة اللغوية و قفزا فوق نماذج عديدة مثل جهود ’ابن يهودا‘ من أجل إحياء العبرية، وجهود ’صامويل جونسون‘ في إنجلترا..[1]

لا شك أن الدولة طرف مهم من الأطراف التي يمكن أن تساهم في إنشاء سياسة لغوية، فهل لها سلطة عليها أيضا؟ يجيب ’كالفي‘ قائلا:" في السياسة اللغوية هناك سياسة كذلك، و أن التدخلات في اللغة و اللغات لها طابع اجتماعي و سياسي جم"[2]. لذا احتمال استغلال السياسة والتخطيط اللغويين لأغراض غير لغوية احتمال قائم، إذ نماذج تلاعب النخب و النخب المضادة وحسن استغلالها لكل ما يمكن استغلاله استغلالا أمثلا كثيرة جدا[3]. ولعل هذا مما تسرب من مفاهيم السياسة السياسية للسياسة اللغوية.

لا تظهر المغانم على الانتهازيين عند رسم السياسة اللغوية، بقدر ما تظهر في مرحلة التخطيط. وقد تمس المغانم القيم أساسا، كقيمة الدخل و الاحترام والأمان كما حصرها ’لاسويل‘’Lasswell‘و حتى قيم السلطة و سلامة الرأي و المودة والرفاهية و الثروة والمهارة و الوعي كما يضيف ’فري‘’Fery‘، و كلها امتداد لسلطات أخرى أخطر[4]. فهذا الريع السياسي و الاجتماعي، الذي تجنيه النخب السياسية هو في حقيقته استغلال لجهود لغوية لأهداف غير لغوية، مما يجنح بالأعمال العلمية عن حياديتها إلى أن تصبح سلاحا له وجهين في يد المتنفذين، خاصة إذا سلمنا أن رسم سياسة لغوية هي المهمة الجليلة لعالم اللسانيات الاجتماعية. لذا يذهب ’كالفي‘ إلى أن اللساني الذي يعمل في مشروع سياسة لغوية و تخطيطها يعمل في خدمة السلطة دون أن يدري؛ فالصراعات اللغوية وجه من وجوه الصراعات السياسية، وخلف كل حرب لغوية حرب من نوع آخر:اقتصادية أو ثقافية أو غيرهما[5].

[1] - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص70-71.

[2] - السياسات اللغوية: كالفي،ص29.

[3] - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر، ص155.

[4] - ينظر المرجع نفسه، ص155.

[5] - ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p.282-283.

المطلب الثاني: لمن ترسم السياسة اللغوية؟

تستهدف السياسات اللغوية المستويات الكبرى :كالمستوى القومي للدولة و كالأنشطة التي تتجاوز حدود الدولة. كما تستهدف المستويات الدنيا: كالتجمعات الصغيرة مثل الأقليات العرقية والدينية أو أصحاب المهن أو الحرفة الواحدة..[1].

المطلب الثالث: لماذا ترسم السياسة اللغوية؟

تهدف السياسات اللغوية إلى العمل على أحد محورين هما:التأثير على اللغة أو التأثير على اللغات.

والتأثر على اللغة قد يمس الخط أو المعجم أو الأشكال اللهجية؛ فقد تلح الحاجة إلى ابتداع خط للغة غير مكتوبة أو تبسطه أبجديتها أو حتى تغييرها كلية. كما قد تلح الحاجة إلى ابتداع وحدات معجمية جديدة لسد الثغرات المفرداتية في مواجهة تطور مناحي الحياة السياسية و العلمية .. في ذات الحين قد ترتقي لهجة من بين اللهجات إلى مستوى اللغة الوطنية فتحتاج إلى تهذيب وتوحيد للاستعمال في كل التراب الوطني[2].

أما التأثير على اللغات فيكون بتنظيم التعدد اللغوي، و اختيار لغة منه لأداء وظائف معينة[3]. فمثلا إذا هددت التغيرات الاجتماعية طبقة النخبة فهذا نذير بضرورة إيجاد سياسة لغوية، والحال نفسه إذا طالبت النخبة المضادة بهذه التغيرات. فطالما عملية رسم سياسة لغوية تسعى لإحداث تغيرات اجتماعية خاصة، فإن الحاجة إليها تصبح ملحة عندما يرغب المجتمع في تغيير وظائف اللغة. لذا على راسمي السياسة اللغوية أن يكونوا قادرين على تغيير تقييمهم للغة ‘أ’ إلى اللغة ‘ب’ قبل أن يقوموا بتغيير المجتمع[4].

---

[1] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر، ص78.

[2] – ينظر علم الاجتماع اللغوي:كالفي ،ص112-117.

[3] –ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p157-156 .

[4] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص 219-220.

رغم اختلاف الوضعيات اللغوية من بلد إلى آخر إلا أن العلماء حاولوا حصر أهداف رسم السياسات اللغوية، فوجدوها أحد ثلاثة أهداف رئيسة. يجملها 'ميشال زكريا' في التالي[1]:

1- إزالة التعددية اللغوية و الإبقاء على لغة واحدة تصبح هي اللغة القومية الرسمية. وهذا لا يتم إلا بالخطوات التالية:

أ- اختيار النموذج القياسي من هذه اللغات (مرحلة الاختيار والنمْذجة).

ب- صياغة شكل اللغة المراد ترقيتها.

جـ- النص على وظيفة اللغة بنصوص تشريعية (مرحلة التقنين و توسيع الوظائف).

د- تقبل المجتمع لهذه اللغة (مرحلة المواضعة على النوعية)[2].

فكما يظهر فإن هذا الاتجاه هدفه هو دمج الأقليات الإثْنية في أتون ثقافة• وطنية واحدة.

2- تبني التعددية اللغوية و الاعتراف بها، وذلك بالمحافظة على اللغات الأساسية داخل الدولة و انتخاب لغة واحدة أو أكثر كلغة رسمية. فهذا الاتجاه يسعى لتحقيق تعايش الثقافات داخل الدولة الواحدة، و تكريس التنوع بدل التجانس و التغير بدل الثبات.

3- تبني لغتين رسميتين و الاعتراف بهما، لأنهما تتوافقان مع التركيبة اللغوية الوطنية. فإقامة العدل في التعامل مع المجموعتين اللغويتين اللتين تتكون منهما الدولة هو هدف هذا الاتجاه.

فأهداف السياسات اللغوية كما يبدو ظاهريا هي حل المشاكل اللغوية البحتة، وهو ما يؤكد عليه 'هوجن' بقوله:" تظهر الحاجة إلى التخطيط اللغوي كلما ظهرت مشاكل في اللغة. وعندما نلاحظ أن لغة ما لسبب ما صارت غير وافية بالغرض المطلوب، عندها يتفسح المجال

---

[1] – ينظر قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا،ص16.

[2] – ينظر المرجع نفسه،ص16.و ينظر علم اللغة الاجتماعي:هدسون، ص55-57.

• الثقافة في آخر تعريفاتها العلمية الشاملة المقرة في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1982 هي:"..جماع السمات الروحية و المادية و الفكرية و العاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، و فئة اجتماعية بعينها، و هي تشمل الفنون و الآداب و طرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، و نظم القيم و التقاليد و المعتقدات، و أن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، و التي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية و القدرة على النقد والالتزام الأخلاقي..". ينظر فرنسا والأطروحة البربرية:أحمد بن نعمان،ط2،دار الأمة، الجزائر،1997، ص136.

أمام برنامج تخطيط لغوي"[1]. إلا أن الأمر ليس كذلك؛ فهو غير محصور في حل مشاكل قصور اللغة أو اللغات فقط، لأن هدف السياسة اللغوية ليس اللغة فحسب بل التأثر على السلوك اللغوي للأفراد، و من هنا قد يوجَّه التخطيط اللغوي لتحقيق أهداف لا تتعلق باللغة[2]، فـ" **العلاقات بين اللغة (اللغات) و الحياة الاجتماعية هي في ذات الوقت مشاكل هويات و ثقافة واقتصاد وتنمية** «..»وهكذا سيتم الوقوف على وجود سياسة لغوية للفرانكفونية و الأنجلوفونية إلخ"[3].

ولعل أهداف السياسة اللغوية المعلنة و الخفية تعبر عن قفزة نوعية للدراسات اللغوية؛ إذ تخطت معالجة قضايا الصيغة اللغوية(البنية) إلى معالجة قضايا 'المنزلة' 'statut'، وهذا التطور للدراسات اللغوية الاجتماعية هو تطور مواز لتطور الدراسات اللسانية عامة التي بدأت تميل إلى إعادة الاعتبار للجانب الاجتماعي للغة[4].

المطلب الرابع: كيف ترسم السياسة اللغوية(الآليات)؟

إن منهجية رسم سياسة لغوية لا تبتعد عن منهجية علم اللغة الاجتماعي، طالما أنها سليلة هذا العلم. يقول 'ميشال زكريا':" إن التخطيط الألسني ككل تخطيط يتطلب دراسة الاحتياجات والأهداف و الوسائل و وضع خطط العمل و تقييمها«..» لذا على المسؤول على التخطيط أن يُلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله، و أن يتحرى عن المشاكل الألسنية، و أن يدرس العوامل الاجتماعية و الثقافية والسياسية و الاقتصادية و التربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع"[5].

فآلية رسم سياسة لغوية تكون بثلاث مراحل أساسية هي:

---

[1] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص 75.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص77.

[3] - السياسات اللغوية: كالفي، ص14.

[4] - المرجع نفسه ،ص22.

[5] - قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا،ص13، و ينظر الأمازيغية و السياسة اللغوية و الثقافية بالمغرب:أحمد بوكوس، ص20.

أولا: وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل في تسييرها وصفا علميا دقيقا، حتى تتحقق كفاية الوصف و التحليل. و لا يكون ذلك إلا بجرد المشاكل المطروحة المعاشة وتحليلها تحليلا لساني اجتماعي.

وبتأمل طريقة 'كالفي' في رصد الظواهر اللغوية و الآثار السياسية الاجتماعية المترتبة عليها، تجده يركز على عنصرين هما[1]:

أ- دراسة ميدانية يقوم بها تلاميذه، وتقوم هذه الدراسة على الملاحظة المباشرة و على الجمع و الاستقصاء و الاستبيان و إظهار النتائج في جداول وإحصائيات. كما تعتمد هذه الدراسة على انتقاء ميادين الدراسة، فركز 'كالفي' على الأسواق لأنها أكثر الأماكن ملاءمة لدراسة التبادل اللغوي. و لقد كان يسمي هذه الدراسة بالدراسة في الجسم الحي.

فأدوات البحوث الميدانية تعتمد الملاحظة بأنواعها المختلفة، ودراسة الحالات، وعمليات المسح بالعينة أو المسح الشامل، و إجراء المقابلات و تحرير التقارير والاستعانة بأجهزة التسجيل المختلفة و أجهزة التصوير..[2].

يقترح 'ميشال زكريا' خطوات لكيفية قياس حجم استعمال اللغة الفرنسية في لبنان، وهو خُطاطة يمكن اعتمادها. فيقول:

"أ- نتكلم اللغة الفرنسية(المدرسة، البيئة الاجتماعية، السياق، المستمعون، مواضيع المحادثة، مكان العمل..).

بـ- نستمع إلى اللغة الفرنسية(دروس، راديو، تلفزيون، مسرح، سينيما، محاضرات، تسجيلات..).

جـ- نقرأ باللغة الفرنسية (روايات، مجلات، صحف، دوريات..).

---

[1] ينظر- La Guerre des Langues:Calvet,2eme Partie « Le champ de bataille »,3eme Partie « Dans les etas-majors ».P79. et P153.

[2] - ينظر علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص 184.

د- نكتب باللغة الفرنسية(تقارير، مقالات، مؤلفات، مذكرات، مرسلات شخصية، مراسلات عمل..)

هـ- نختار اللغة الفرنسية كلغة ثانية(وظيفة اللغة الفرنسية، الانجذاب نحوها، الفرز الاقتصادي و المهني، طبيعة التعامل معها و درجته، ردَّات فعل البيئة، الموقف منها، العوامل الأيديولوجية..).

و- نعمل في سبيل الإبقاء على وضع اللغة الفرنسية في لبنان(وهم الثنائية اللغوية و درجتها، معرفة اللغة الثانية، التشجيع لتعلمها، المواد التربوية و التعليمية، البرامج المنظورة..)"[1].

ب- دراسة في مراكز صنع القرار و قيادة الأركان، أي دراسة مكتبية خارج الميدان لما تم جمعه من الميدان.

ثانيا: تحديد الأهداف الكبرى و المرحلية و التوجهات العامة، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة النتائج المراد الوصول إليها.

ثالثا: وضع الاستراتيجيات* و تحديد الوسائل التي ستمكن من أجرأتها و تكفل تحقيق الأهداف و تنفيذ السياسة اللغوية.

تسمى المرحلة الأولى عند 'روبيير' بمستوى تقييم الوضعية، أما المرحلتين الأخيرتين فتمثلان مستوى السياسة اللغوية[2]. أما السياسة اللغوية فهي الوجه المدني لحرب اللغات كما يقول 'كالفي'[3].

[1] – قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا، ص45.

* جمع إستراتيجية، وهي "علم و فن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية و المصممة بشكل متلاحق و متفاعل و منسق لاستخدام الموارد(مختلف أشكال الثروة و القوة) لتحقيق الأهداف الكبرى.شاع استخدام المصطلح في العقود الأخيرة وهو من أصل يوناني و يعني فن الأشياء أو الخطط العامة"، عن موسوعة السياسة:عبد الوهاب الكيالي، ج1،ص169.

[2] – ينظر محاضرات مقياس "التهيئة اللغوية": عبد الحميد دباش.

[3] – ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p283.

هذه نهاية الفصل الأول، الذي كان محوره التعريف بالسياسة اللغوية. و هذه أهم نتائجه:

1- السياسة اللغوية فرع من علم حديث هو علم اللسانيات الاجتماعية. فلها موضوعها ومنهجها.

2- لرسم السياسة اللغوية لا بد من المراحل التالية: وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية المراد التدخل فيها. ثم تحديد أهداف هذه السياسة اللغوية. و أخيرا وضع الآليات والاستراتيجيات التي ستنفذ بها هذه السياسة اللغوية.

3- السياسة اللغوية هي الوجه المدني المتحضر لحرب اللغات، و هذه الأخير ما هي إلا غطاء يخفي الحرب الثقافية و الاقتصادية و السياسية التي تدار خلف الستار في الكواليس.

الفصل الثاني:

الوضعية اللغوية الاجتماعية

في الجزائر

قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائرين التاريخية:

-الوصف التاريخي و التحليل اللساني الاجتماعي-

المبحث الأول: الوضعية اللغوية من الناحية التاريخية.

المبحث الثاني: الوضعية اللغوية من الناحية اللسانية الاجتماعية.

المبحث الأول:

الوضعية اللغوية

من

الناحية التاريخية .

المطلب الأول : فضاء اللغة العربية.

المطلب الثاني: فضاء اللغة الأمازيغية.

المطلب الثالث: فضاء اللغات الأجنبية.

إن معالجة أي مشكلة لغوية معالجة علمية تقتضي رسم سياسة لغوية لها. و أُولى الخطوات الواجب اتباعها في ذلك، هي ضرورة تحديد حجم المشكلة بوصفها وصفا لساني ساكروني، ثم تحليلها تحليلا لسانيا اجتماعيا من طرف الباحث. إذْ " تدل كفاية الوصف والتحليل على النجاح في فهم و تمثيل ما يحدث عند القيام بدراسة ظاهرة ما «..» إن أي دراسة وصفية تحليلية لظاهرة ما من ظواهر التخطيط اللغوي يجب أن تعطي القارئ فكرة كافية، على الأقل عن من هم الفاعلون أو من هم الأفراد الذين حاولوا التأثير على أي من الأنماط السلوكية اللغوية، و على مَن مِن مستخدمي اللغة و لأي غرض و بأي وسيلة و عن النتائج التي تم الوصول إليها"[1] كما يقول ‘كوبر‘.

فمن وجهة نظر محايدة؛ كيف كانت الوضعية اللغوية قبل ظهور جمعية العلماء الجزائريين التاريخية سنة 1931م؟ و ما تحليليها اللساني الاجتماعي؟

لقد اتسم الكيان اللغوي الجزائري في تلك الفترة، بوجود عدة لغات بعضها أصيل متعايش، وضْعه مستقر منذ قرون، و بعضها دخيل طارئ على البلاد و العباد. فالفضاء العربي و فضاء الأمازيغي أصيلان، أما فضاء اللغات الأجنبية فهو دخيل. فما العلاقات التي كانت تحكم و تحْتَكم إليها هذه الفضاءات؟ و ما موقف الناطقين من ذلك؟

---

[1] – التخطيط اللغوية و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص95-96.

المطلب الأول : فضاء اللغة العربية.

اللغة العربية منذ ما قبل فتح المغرب العربي إلى 1830:

تملك العربية اليوم الامتداد الجغرافي الأكبر، كما أنها الأكثر استعمالا، لذا تعتبر اللغة العربية السمة الأساسية للجزائر خاصة و للمغرب العربي عامة، و ذلك منذ غابر العصور، وعلى أقل تقدير منذ القرن التاسع قبل الميلاد، أي مع دخول الفينيقيين، ثم توسعت بعد دخول الإسلام[1]. أما النصرانية فدخلت الجزائر "محمولة بلغتها الأصلية، لغة المسيح الآرامية، و هي لغة قريبة كل القرب من العربية"[2].

فانْقاد سكان المغرب العربي للمسلمين و لغتهم تم دون صراع داخلي و لا أزمة ضمير كما يؤكد 'ماركي''W.Marcais'. و من حينها انقطعت صلة المغرب العربي بالغرب بلا رجعة و توثقت صلته بالشرق[3].

لم يكن للتعليم في الجزائر- خلال العهد العثماني – أي وصاية رسمية أو هيئة مركزية تسيره. وإنما الذي كان يضمن ذلك هو ما يشبه مؤسسات تعليمية محلية أو جهوية أو بعض الزوايا. **فالحياة الدينية و التعليمية والاجتماعية لم تكن مبرمجة في السياسة العثمانية لذا حل محلها 'الوقف'**[4].

---

[1] – ينظر "مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها":صالح بن القبي، اللغة العربية، عدد ممتاز،(العربية من المحنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية). 2005. المجلس الأعلى للغة العربية، ص205.و ينظر"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر في القرن 19 و أوائل القرن 20":مصطفى الهشماوي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص278-279.

[2] – الجزائر في أبعادها الروحية و الحضارية:صالح بن قبي،دفاتر المجلس الأعلى للغة العربية،35، الجزائر،2009،ص18-19.

[3] – ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص225.و ينظر في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى...:صالح لبعيد ، د ط ، دار هومه ، الجزائر، 2008.ص47.و أيضا ص51.

[4] – ينظر" مأساة اللغة العربية بالجزائر":أحمد قادري، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص157.

و لكن رغم ذلك فإن غياب الدولة و هيئاتها التربوية لم يكن بالغياب السلبي[1]. إذْ ينقل 'فرحات عباس'ملاحظة أبداها الجنرال الفرنسي 'أفيلا''Avila' و ذلك في 1834 /01/20 بـأن "العرب يتقنون كلهم القراءة و الكتابة وفي كل قرية كانت توجد مدرسان"[2].

لقد كان يغلب على هذا التعليم طابع العصور الوسطى، و إن كان يساعد على تخريج كبار الموظفين في المجال الديني و الكتابة و المستشارين عند الأمراء. يقول أحد المسؤولين الفرنسيين في مجلس الشيوخ متحدثا عن المتخرجين:" بعد تخرجهم من المدرسة يحظون بالتقدير العام و أسمى الشهادات يطلبها كبار الرؤساء"[3]. و لكن تقليدية هذا التعليم لا تساعد على إخراج المنتجين في ميادين الفكر و الأدب[4].

<u>العربية من 1830 إلى1931 (مسيرة قرن من مصارعة الاحتلال)</u>: إن تاريخ 1830 يعني دخول الجزائر في أخطر منعطف من حياتها في مواجهة الغزاة؛ فاحتلال الجزائر بالنسبة إلى فرنسا لا يعني إحلال الأرض؛ بل الهدف كان بسط الهيمنة الكاملة على المجتمع بكامل مكوناته، و مؤسساته بما فيها الأسرة و المدرسة و المسجد، و اللغة و الثقافة والإدارة.. فبدأت **الإبادة الثقافية باستهداف العقول بعد الحقول، و استهداف جوهر الإنسان لتدميره من الداخل** بتغيير لسانه وغزو قلبه و **حقنه بأمصال (ثقافية و لغوية و دينية) من غير فصيلته الأصلية النقية**. فظهر التناقض ثم الصراع[5]. فكيف دارت كل هذه الأحداث المأساوية ؟ وكيف كان وضع اللغة العربية في الجزائر و إلى أين صار؟!

---

[1] – ينظر" محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية":محمد لحسن زغيدي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص407.

[2] – ليل الاستعمار:فرحات عباس، ترجمة أبو بكر رحال،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2006،ص58. و ينظر الحركة الوطنية 1900– 1930:أبو القاسم سعد الله ،ط4،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، 1992، ج2،ص60.

[3] – "حالة العربية أثناء فترة الاحتلال البائد نظام المدرسة"MEDRSA"(1850-1962)":طاهر زرهوني، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص109– 110.

[4] – ينظر محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال):أبو القاسم سعد الله،ط3،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، 1982،ص161-167.

[5] – ينظر" محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية، عدد ممتاز، ص252. و ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص223.

ليست هناك إحصاءات محددة عن عدد السكان الناطقين بالعربية و حتى بالأمازيغية ساعة الإحتلال. فـ'حمدان عصمان خوجة'• قدره بعشرة ملايين نسمة. أما 'فرحات عباس' فقدره بين ستة و سبعة ملايين نسمة، أما 'بيجو''Bugeaud' فقد قدره سنة 1845 بأربعة ملايين، على أن الإحصاءات المتأخرة (1852) تقدر عدد السكان بـ:2.500.000 نسمة[1].

هذه الملايين من الجزائريين أمَّنها الغزاة على لغتها ومقدساتها و ممتلكاتها غداة الاحتلال. و قد جاء ذلك في بيان• فرنسا للجزائريين. ولكن لما احتج 'حمدان خوجة' لدى القائد الفرنسي العام 'كلوزيل''Clozel'على خرق اتفاق 1830 رد عليه هذا بقوله:" إن فرنسا غير ملزمة باحترام هذا الاتفاق لأنه لم يكن في نظرها سوى لعبة حرب"[2].

إنها الحرب التي يلخص مراحلها 'ألفريد رامبو'' A. Rimbaud'- الذي كان وزيرا للتعليم عام 1897 - بقوله :"كان الغزو الأول قد تم بالسلاح، و انتهى مع عام 1871 بانتزاع السلاح من بلاد القبائل(يشير إلى ثورة الشيخ الحداد). و يتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على أن يقبلوا بإدارتنا و بعدالتنا. و سوف **يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة: إذ يجب أن نضمن السيطرة للغتنا.."[3]. فحشدت فرنسا خبراء لها من الفلاسفة و المستشرقين و الضباط ورجال القانون و علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا (الآثار)، و رجال التاريخ و رجال الإعلام،**

• الذي كان عارفا بشؤون بلاده من خلال إطلاعه على سجلات الضرائب للحكومة الجزائرية فقد تقلد وزارة المالية.

[1]– ينظر ليل الاستعمار:فرحات عباس،ص110. و ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص58.و ينظر الحركة الوطنية 1830-1900:أبو القاسم سعد الله ،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1992،ج1،ص26.(الهامش).و ينظر محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث:أبو القاسم سعد الله،ص139.

• "..إننا نضمن لكم أيضا، معطينكم وعدا شريفا و صريحا لا يقبل التغيير و لا التفسير، بأن **جوامعكم و مساجدكم ستكون محترمة،** فهي لن تبقى مفتوحة فقط للعابدين كما هي الآن و لكن ستصلح أيضا. و **نضمن بأن لا أحد منا سيتدخل في شؤونكم الدينية،** لأن هدف وجودنا في بلادكم ليس لشن الحرب عليكم و لكن على مسؤولكم، الداي..".ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2، ص421.و ينظر أيضا ركاكة لغة النص في أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،القسم الأول، 1981،ص277-280.

[2] – أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ج1،ص275.(الهامش).نقلا عن مذكرات حمدان خوجة التي نشرها السيد جورج افيري في "المجلة الأفريقية"،المجلد 57،عام 1913، ص138.

[3]– " وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص48.

و رجال الدين و الإستراتيجيين..إلخ، ممن لهم معرفة و لو سطحية بثقافة الإسلام و لغته، لدراسة مميزات الشعب الجزائري و معرفة مداخل التأثير فيه[1].

فهل يا ترى فعلا وجد الفرنسيون الجزائريين بدوًا- كما يشاع عنهم - أم وجدوهم نصف متحضرين أم في المستوى الذي كان عليه الأوربيون؟

اتفقت الأقلام الاستعمارية المزوِّرة على أن الجزائر بلاد البدو، و أن حثالات الأحياء الباريسية و نفايات سجون المدن الفرنسية الجنوبية، هي التي حملت إليها جمال الحضارة ورونق الثقافة! و لا نجد سوى القليل ممن حدثونا عن أن **مدارس الجزائريين كانت تفوق مدارس الفرنسيين عددا، و أن الأمية كانت أكثر رواجا في فرنسا منها في الجزائر**. إن 'بول رينال'' P.Raynal' -أحد الفرنسيين- يفاجئنا بقول:**"إنك لا تستغرب أن تجد في مدينة الجزائر و تحت العمامة و البرنس أناسا يتحدثون الفرنسية مثل أهل باريس"[2]**. إن شهادات المعاصرين للحملة وعلى رأسهم 'إسماعيل أوربان' و'ويلسون استرهازي'، تؤكد أن جنود الحملة الفرنسية كانوا من الفلاحين، وأنهم كانوا جهلة تماما. كما أثبتوا أن **عدد المتعلمين في الجزائر يفوق عدد المتعلمين في فرنسا عندئذ، و هي التي بلغت فيها الأمية نسبة 45%[3].**

إن **الثقافة الجزائرية عامة عانت من الاحتلال؛** فكما حُوّلت المساجد إلى كنائس أو مستشفيات أو متاحف، أو إسطبلات، كذلك التاريخ و اللغة والمواسم الوطنية؛ إما اختفت و إما اضطهدت. و بدأ **المثقفون الجزائريون يفقدون تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب و المدارس بلغتهم،** أما الفلاحون فتركوا للخرافات والجهل. والبلاء الأكبر أن **كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة،** و بالتالي فإن التربية عموما قد انضرت[4].

وهكذا بدأت تتبدّى ملامح حلبة الصراع عن بكرة أبيها، فلم يكن غزو التلال والحقول إلا مقدمة لغزو المبادئ و العقول. فرغم الفوضى العارمة التي رافقت الاحتلال، إلا أنه إداريا ظل

---

[1] -ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز، ص253.
[2] – الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص94-95.
[3] – ينظر المرجع نفسه،ج1،ص26.(الهامش)
[4] – ينظر المرجع نفسه،ج2،ص60.

يستصدر القرارات ليوجد نوعا من الواقع اللغوي الذي لا رجعة فيه، فجاءت **قرارات وتعليمات فرض التعامل بالفرنسية و إقصاء العربية. كان أهمها**[1] :

1- **"قرار صدر عام 1848** حول اللغة ورد فيه: « إن لغتنا هي اللغة الحاكمة، إن قضاءنا المدني و العقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته... بهذه اللغة، وبهذه اللغة وحدها، يجب أن تكتب جميع العقود، و ليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا... و أن أهم ما ينبغي أن نعتني به هو **السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة و عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم، و إدماجهم فينا و جعلهم فرنسيين**»..

2- تعليمة موجهة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال جاء فيها: «إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، و العمل الجبار الذي يتوجب علينا إنجازه **هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية» ..**

3- في عام **1904 صدر قانون يحرم على الجزائريين أن يفتحوا مدرسة عربية أو كتابا لتعلم القرآن ما لم يحصلوا على ترخيص..**

4- ثم جاء **قرار'شودان'**'Chaudain' وزير داخلية فرنسا في عام 1938 ليؤكد تطبيق القانون السابق الخاص بمنع فتح مدرسة لتعليم العربية.."

إن هذه الترسانة من القوانين، تشر إلى أن الصراع اللغوي طال و احتدم. فكيف كانت انعكاساته على الساحة التربوية الجزائرية عامة و اللغوية خاصة؟

1- <u>تقليص عدد مؤسسات خدمة اللغة العربية-مؤسسات التربية، المكتبات..:</u> لقد بلغت المدارس عند الاحتلال الفرنسي ألفي مدرسة ابتدائية و عليا في جميع القطر الجزائري[2]. ولكن أول ما لاحظه المؤرخون هو **تناقص عدد مؤسسات تدريس اللغة العربية بشكل كبير جدا،**

---

[1] –" محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص257. وينظر للاستزادة " محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية":محمد لحسن زغيدي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص386- 387.نقلا عن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر:عبد القادر حلوش، ص198-199-143-144-150-159-163.

[2] – ينظر"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال البائد نظام المدرسة":طاهر زرهوني، اللغة العربية،عدد ممتاز،ص110.

ومس ذلك المساجد والمدارس و المكتبات و الزوايا و الكتاتيب.. و تم ذلك **نتيجة الهدم والتحويل و النهب و عدم الترخيص بالترميم و التجديد**. فمساجد العاصمة كان عددها وقت الاحتلال 176. و يذكر 'دابر' الهولندي في القرن السابع عشر أن عددها كان 700 فما بقي منها لا يتجاوز الخمسة(إحصاء سنة1899)[1].

يقول 'ميشال هابارت''Michel Habart' في كتابه ' تاريخ لمزور': "في سنة 1830 جميع الجزائريين يعرفون القراءة و الكتابة و الحساب، فهم أكثر ثقافة مما كنا نظن، وعند وصولنا وجدنا أكثر من 100 مدرسة ابتدائية في مدينة الجزائر(و البعض يقول 300)"[2]. و في عام 1840 أصبح بمدينة الجزائر نحو 24 مسيدا، و بعد ست سنوات فقط انخفض عددها إلى أربعة عشر[3]. بل يذكر المؤرخ 'شارل أندري جوليان' 'Charles André Julien' أنه في سنة 1830 كانت في الجزائر 36 مدرسة ابتدائية تدرس بالغتين العربية و الفرنسية بها (1300 تلميذا مسلما)، ومدرستان للتعليم المتوسط تقدمان التعليم باللغة العربية و الفرنسية وثلاث مدارس عربية، غير أن سلطات الاحتلال الفرنسي أغلقت المدارس الابتدائية والمتوسطات العربية و أهملت المدارس، و في سنة 1882 لم يبق سوى(16)مدرسة ابتدائية[4].

وكان في مدينة قسنطينة قبل دخول الاحتلال 387 مؤسسة تعليمية، لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط. وكان يوجد في مدينة عنابة 39 مدرسة و 37 مسجدا وزاويتان قبل الاحتلال لم يبق منها بعد الاحتلال سوى 3 مدارس فقط و 15 مسجدا، فانخفض عدد الطلبة في قسنطينة من ستمائة إلى ستين[5]. وتؤكدها المؤرخة الفرنسية 'إيفون توران''TURIN Yvonne' بقولها:"أن'بون''عنابة' تبدو الكارثة أكبر بكثير، فقبل وصول

---

[1] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص82.و ينظر للاستزادة ما بعدها.

[2] –" اللغة العربية بين العزة و الكرامة و الخذلان و المهانة":عمر برامه، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص410.

[3] – ينظر" وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص48.

[4] – ينظر" محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية":محمد لحسن زغيدي، اللغة العربية،عدد ممتاز، ص288.

[5] – ينظر" اللغة العربية و الإستراتيجية الاستعمارية":مصطفى شريك، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص364.

الفرنسيين كانت توجد39 مؤسسة التعليم العمومي، و زاويتان اثنتان و 37 مسجدا. و لم يبق في هذه المدينة إلا ثلاث مدارس فقط من 39 مدرسة"[1].

أما اغتصاب المكتبات وما تزخر به من كتب و مخطوطات ووثائق رسمية، فقد شهد به معظم المؤرخين، لأن إتلاف العديد منها كان أمام القائد 'برومون'. فإذا كان القادة 'كلوزيل' و'فاليه''valée' و'بيجو' يكتسحون المدن، فقد كان 'بربروجر' و'ديسلان'و'بريسنييه' وأمثالهم يكتسحون المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد بدعوى الإنقاذ، وإنشاء المكتبة العامة، و الحقيقة أن كثيرا من هذه الوثائق و الكتب قد تسربت كهدايا إلى خارج الجزائر[2].

و ذرًا للرماد في العيون قدَّمت فرنسا برنامجا تعليميا بدأت مسيرته منذ 1833. فما خلاصة هذه المسيرة التعليمية الفرنسية في الجزائر؟

منذ 1833 بدأ فرنسا في فتح ما سمته بالمدارس المشتركة وكان الإقبال عليها محتشما (50 تلميذا جزائريا من أبناء الخواص). ثم جاء **الطور الثاني الذي أنشئت فيه المدارس الإسلامية الفرنسية** و التابعة لوزارة الحربية، و كان المنتسبون إليها كلهم من طبقة خاصة من الجزائريين. و **في سنة 1886 ظهرت الثانويات**، فكان بها أبناء المعمرين يتجاوز ثلاثة آلاف بينما عدد الجزائريين لا يزيد عن 115 طالبا. و**بعد عشرين سنة من احتلال الجزائر ظهر نوع جديد من التعليم تحت اسم'المدرسة الفرنسية الإسلامية'**، و كانت أربع مدارس(الجزائر، قسنطينة،المدية،تلمسان). و تلامذتها من الجزائريين فقط، و برامجها عربية إسلامية كما كانت يظهر من تسميتها. و **يبدو أن هذه الالتفاتة الفرنسية جاءت لتنسي الجزائريين ما حدث لمدارسهم ومساجدهم**. كما **أطلق على تلك المدارس اسم المدارس الشرعية أو الفقهية ثم أصبح اسمها الرسمي'المدرسة'، و بعد عشر سنوات أصبحت مزدوجة**. و لما كانت محل نقد من هيئة المستشرقين و رجال الكنيسة، صدر قرار في **15 أوت 1875 و ألغى المدارس الفرنسية الإسلامية و إخراجها في نسخة جديدة هي المدارس الشرعية الفرنسية**. حيث

---

[1] -" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز، ص228.

[2] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص89-90.

قلصت ساعات تعليم العربية إلى النصف بقرار1884، ثم مرسوم في 13 جويلية 1895 يمدد الدراسة فيها إلى أربع سنوات تليها سنتان من التعليم العالي[1].

رغم ذلك **كانت النتائج ضعيفة جدا في كل القطر الجزائري**؛ فنسبة التمدرس في التعليم في المرحلة الابتدائية في سنة 1890 : 1.73 % من مجموع الأطفال الجزائريين الذين هم في سن التمدرس أي 10.000 تلميذا، و ارتفع هذا العدد سنة 1900 إلى 4.3 % أي33.397 تلميذا. و في سنتي 1917-1918 مس التعليم49000 طفلا مِن مَن هم في سن التمدرس من مجموع 850.000؛ أي بنسبة 5.7 %. و عشية الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال كان هناك 66.644 طفلا متمدرسا من بين 900000 من هم في سن التمدرس أي بنسبة 6 % [2].

ثم إن حذف كلمة 'العربية' من تسمية هذه المدارس المزدوجة اللغة، و التي عرفت بنظام المدرسة 'La Médersa'، يؤكد أنها نشأتها لم تكن لخدمة اللغة العربية[3]. و خير دليل على ذلك **عدم الترخيص للأهالي بتأسيس مدارس أو معاهد لتدريس الدين و اللغة العربية و لو بأموالهم الخاصة**، و إن سمحت بذلك فإنها تشترط ألا يدرس فيها إلا القرآن وبعض المبادئ الفقهية مع منع تفسير القرآن، في ذات الحين لم تشترط ذلك على المدارس اليهودية الأهلية•، و لا على المدارس التبشيرية غير الرسمية[4].

فشروط **مرسوم 1904 الذي يمنع فتح مدارس للغة العربية** هي[5]:

1. اقتصار التعليم على حفظ القرآن فقط.
2. عدم التعرض بأي شكل من الأشكال لتفسير آياته.
3. منع تدريس الأدب العربي و المواد العلمية.
4. يمنع إلحاق الجزائريين الذين يتابعون دراستهم في المدارس الفرنسية.

---

[1] – ينظر"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى الهشماوي،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص285- 288.

[2] – ينظر " محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية":محمد لحسن زغيدي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص390.

[3] – ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص261.

• الأقلية اليهودية كانت لها مدارس تدرس العبرية و التوراة و التلمود و لم يشملها المرسوم.

[4] – ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص235-236.

[5] –" حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى الهشماوي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص291.

5. إن للسلطة الفرنسية الحق في سحب الرخصة متى شاءت.
6. إن كل مخالف يعاقب بالسجن أو غرامة مالية أو بهما معا.

2- تجفيف منابع تمويل خدمة اللغة العربية: إن فرنسا سعت إلى تعويض خزينة فرنسا عن كلفة الحرب، و ذلك بمصادرة أموال بيت المال•• و الأوقاف•••، كما سعت لتحويل هذه الموارد لصالح الثقافة الفرنسية[1]. وبدأت ذلك سنة 1830م، حيث كانت فرنسا تعتبر الأملاك إما: ملكية وطنية(دومين)، أو ملكية استعمارية، أو ملكية مصادرة. **فاغتصاب أملاك الوقف وقع قهرا وعدوانا. و كان ذلك سببا في ضمور حركة التعليم و اختفاء المعلمين وغلق المدارس**[2].

3- اضطهاد الأسرة التربوية و الخادمين للغة العربية بالإبادة و التهجير و السجن..: لقد خرج الجزائريون ما بين 1830-1900 أفواجا من بلادهم نحو الأرياف أو المدن التي ما تزال في يد المسلمين، بينما خرج آخرون منفيين أو مختارين إلى المغرب العربي(تونس والمغرب) أو إلى المشرق العربي. بل إن بعضهم توجه إلى فرنسا نفسها. **وكان هؤلاء عادة هم أصحاب الثروة و الجاه، أو أصحاب العلم و الدين**[3]. فتحولت الهجرة الداخلية والخارجية إلى ظاهرة مست كل الفئات و الربوع الناطقة بالعربية.

4- تخلي النخبة عن اللغة العربية: "'بيجو' كان يخطط لدمج الجزائر في فرنسا حضاريا، و من أجل ذلك جند كل الطاقات لفرنسة الجزائر لغويا و دينيا واجتماعيا، بالإضافة

•• تؤكد وثائق الفرنسيين بأن الخزينة التي تقع في القصبة و التي استولوا عليها كانت تحتوي على حوالي 2400000 جنيه إسترليني ذهبا. و يذكر المؤرخين أن الداي "علي خوجة " قد استعمل سنة 1817م 50 بغلا كل ليلة لمدة خمسة عشر ليلة لنقل محتوى الخزانة عند نقل الخزانة و الحكومة من مقرهما العادي إلى القصبة، و قد قدر عندئذ أن الخزينة لم تكن تحتوي على أقل من 50 مليون دولار ذهبا. ينظر أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ج1،ص262-263.

••• أملاك الأوقاف هي أضخم و أخطر الأملاك.و تشمل سبعة أنواع هي :-أوقاف مكة و المدينة (أكثرها و أغناها). - أوقاف المساجد (من أعظمها وقف الجامع الكبير). -أوقاف الزوايا و القباب(الأضرحة). -أوقاف الأندلس. -أوقاف الأشراف. -أوقاف الإنكشارية. -أوقاف الطرق العامة - أوقاف عيون الماء.و يُذكر أن لها دخلا عظيما . ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص73.(عدَّها سبعة و ذكر ثمانية). و ينظر محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث:أبو القاسم سعد الله، ص160-161.

[1] - ينظر أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر: أبو القاسم سعد الله،ب ط،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،الجزء الثاني،1986، ص12.

[2] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج1، ص77، و ص249.

[3] - ينظر المرجع نفسه،ج1،ص187.

إلى فرْنستها اقتصاديا و جغرافيا و سياسيا"[1]. و فعلا بدأت فرنسا تطبق إستراتيجية غاية في المكر و الخداع، و هو جانب مهم سيأتي الحديث فيه لاحقا، عند الحديث عن سياسة فرنسا اللغوية تجاه لغتها، و كيف عمدت إلى تكوين ما عُرف بجماعة النخبة التي تدين لفرنسا بالولاء.

و فعلا بدأت تنطلي هذه الحيلة على البعض، و بدأت تتكون على مهل طوابير من هذا النوع من النخب المفرنسة، والتي أصبحت نقمة على تطور المجتمع الجزائري، لأنها رفضت التاريخ الوطني و تآمرت عليه، و ناصبت العداء كل مقومات الأمة، خاصة اللغة العربية[2].

<u>5- محاصرة اللغة العربية في الحياة العملية بالفرنسية و العامية و الأمازيغية</u>: فعلى مستوى تدريس اللغة العربية، **عمل الاستعمار الفرنسي على تشجيع العاميات المتداولة بدلا عن العربية الفصحى، و ألح بشدة على التباين الثقافي لهذه اللهجات**، و يوجد اليوم ركام من تلك الكتب المدرسية التافهة التي كتبت بالعامية[3]. وصف أحد الكتاب الجزائريين[في جريدة واد ميزاب عدد55 الصادرة بـ03 /11/ 1927] هذه الكتب بقوله: "**رطانة غريبة و خليط من اللغة لا هو عربي و لا بربري و لا فرنسي، و إنما هو مزيج من اللغة العربية و البربرية والفرنسية، و العربية منه أقل الثلاثة مع ما هي عليه من التكسير والاختزال**"[4].

و بعد كل هذا الحصار، تصل الإدارة الفرنسية إلى محاصرة اللغة العربية حتى في المجال الديني المقدس عند الجزائريين، لكنه -هذه المرة- حصار من نوع مختلف؛ من وضع 'رونيه باصيه'- مدير معهد الآداب في الجزائر- و ذلك **عن طريق نشر الدارجة في الكتب الدينية**، وهو ما زاد من حماس وزير العدل الفرنسي 'دوكار' وبعده الجنرال 'كاترو' 'Katroux' **فأمر بكتابة القرآن بالدارجة و تحريف ما يراه معاديا للوجود الفرنسي في الجزائر[5].**

1 – المرجع السابق، ج1،ص232.

2 – ينظر" اللغة العربية بين العزة و الكرامة و الخذلان و المهانة":عمر برامه، اللغة العربية،عدد ممتاز،ص416.

3 – ينظر"ملاحظات أولية حول العربية من محنة الكولونيالية إلى هيئتها الاستشارية":محمد العربي ولد خليفة،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص87.

4 – "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية،عدد ممتاز ص238.

5 – ينظر"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى المشماوي،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص290 .

أما **المحور الثاني الموازي للعامية و الفرنسية في مواجهة الفصحى؛ فكان العمل على تقوية اللغة الأمازيغية بكل تنوعاتها**[1].

6- قطع الطريق على الاتصالات بالمشرق: لقد فرضت فرنسا حصارا محكما على المجتمع الجزائري و أغلقت أمامه جميع النوافذ المشرقية التي يمكن أن يتسلل منها إشعاع المعرفة و الوعي القومي و الفكر الإسلامي النقي و اللغة العربية و فنونها، بل تم تقييد حتى حرية التنقل خارج الجزائر بما في ذلك الذهاب إلى البقاع المقدسة. و رغم كل تلك الوقاية الرسمية، كانت الصحف الشرقية تتسلل لداخل الجزائر، و كانت تنكر أفعال الاستعمار في معاملته للإسلام و العربية في الجزائر. أما الكتب والمكتبات التي ترسل من الشرق فمصيرها مجهول. و يؤكد السيد 'طيبال' أن جامعة الأزهر قد أرسلت سنة 1913 بأحد عشر مليون كتاب إلى إفريقيا الشمالية. ولا براهين لدينا الآن تؤكد أن هذه الكتب- المبالغ في حجمها- كانت قد وصلت حقا، و لكن يبدو أن جزء منها على الأقل هو في 'جامع الزيتونة'[2].

7- عدم قدرة حماتها و حامليها على ترقية مستواها إلى لغة للعلوم: لم يكن رجال الدين واللغة سوى صورا لا حراك لها خاصة قبل احتفالات فرنسا في 1930م. سواء منهم القضاة و المفتين أو المدرسيين و أمثالهم، فكثير منهم إما هاجروا و إما انتهى عهدهم بتقدم السن. ولم يتخرج من المدارس الجديدة عناصر مرموقة في شؤون الدين و الدنيا ولا اللغة. **فحصار فرنسا للغة العربية لم يترك في الجزائر علماء يشار إليهم**[3].

---

1 - ينظر المرجع السابق،ص290.

2 - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص115-116.

3- ينظر المرجع نفسه،ج1،ص370.

المطلب الثاني: فضاء اللغة الأمازيغية.

لا أريد أن الخوض في مبحث تاريخي حول أصل الأمازيغية، بل أريد الانطلاق من الواقع اللغوي الذي كان يسود منطقة القبائل إبان فترة الاحتلال، للبحث عن تلك الاختلالات التي أحدثها الاستعمار.

أهم أمازيغيات الجزائر و الأكثر اشتهارا هي:

- القبائلية(منطقة القبائل الكبرى و الصغرى و تشمل منطقة بجاية و تيزي وزو والبويرة..)

- الشاوية(في الشرق و جبال الأوراس)

-الميزابية (واد ميزاب في منطقة غرداية و في القسم الشمالي من الصحراء الكبرى)

- الترقية (في مناطق تحرك توارق الهقار).

و يضيف بعضهم:- الساحلية في غرب الجزائر العاصمة - الشليحية في أقصى غرب الجزائر قريبا من المغرب[1]. و الشناوة (الشنوية)، و الرقيبات[2] والزناتية و الغربية[3].

على أن كل هذه المجموعة تنتسب بأسمائها إلى لهجاتها المحلية كما هو معروف 'ثاشويت' ' ثاقبايليث' 'ثامزابيث' ' ثاتارقيث' ' ثارقيبيث' ' ثاشنويث' الخ..[4].

ثم إن كل هذه الأمازيغيات تتفرع إلى عشرات اللهجات التي ينتفي التواصل بينها، وقد قدرها 'أندريه باسيه '- العالم الفرنسي المتخصص في الدراسات البربرية- بخمسة آلاف لهجة[5].

---

[1] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي،ط1،منشورات كلية الآداب بالرباط،مطبعة الناجح الجديدة،2002،ص81.

[2] – ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية:أحمد بن نعمان،ص9.

[3] – ينظر التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية: عثمان سعدي،ب ط، دار الأمة، الجزائر،د ت،ص196.

[4] – ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية:أحمد بن نعمان،ص9.

[5] – ينظر التعريب في الجزائر:عثمان سعدي،ص195.

إن **استعراب البربر بلغة و ثقافة القرآن كان كاستعراب العرب الإسماعيليين الأوائل في القديم، لذلك هم عرب كغيرهم و ليسوا مفْضولين** كما يرى 'أبو يعلى الزواوي' (الأمازيغي)، فهم أصبحوا عربا بحكم الاستعراب[1]. لأن الفتح الإسلامي فتح مناطق أقرب إلى الجزيرة العربية كبلاد فارس، ولكن الإسلام بقي و العربية اندثرت خلافا للمغرب العربي[2].

كما "علينا أن نشير إلى ظاهرة هامة و جديرة بالدراسة و هي **اعتناق البربر كلهم للإسلام دون استثناء، وهي ظاهرة لم نجدها إلا لدى البربر"[3].**

فأصبح المغرب ممثل المشرق في شمال إفريقيا و خطها هجومها الأول في فتح قارة أوربا، بل حازت من ثقة المشارقة أن أصبحت حارسة الدين واللغة بنفسها وعلى نفسها. فبرز للوجود حينذاك في المغرب رجل جديد و هو العربي الأمازيغي. حتى قال الأستاذ 'محمد الشريف الساحلي' في كتابه 'رسالة يوقورتية':" بلغ امتزاج العنصرين- أي العربي والبربري- مبلغا حتى إننا **نرى اليوم الناطقين بالبربرية أشد حماسا للدفاع عن الثقافة العربية"**[4].

إن منطقة القبائل التي أفرد لها الاستعمار مخططا خاصا، كانت من أغنى المناطق بالزوايا؛ حيث بلغت أكثر من أربعين زاوية سنة 1933م، و كانت تهتم كثيرا بتدريس اللغة العربية، حيث كانت تعتمد في التدريس على 'الأجرومية' و 'ألفية بن مالك' و 'قطر الندى'[5].

لقد نشطت الأبحاث و الدراسات الأنثروبولوجية - بتوجيه من الإدارة الاستعمارية- محاولة إثبات الفوارق العرقية و الثقافية بين الأمازيغ و العرب. حتى لقد أنشأت فرنسا - في السنوات اللاحقة- قناة إذاعية بلهجة بلاد القبائل الكبرى، التي تراهن فرنسا على أنها ستنطلق منها شرارة البعث الفرنسي الموعود لوصل الأحفاد بالأجداد الرومان[6].

---

[1] - ينظر أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص151-152.

[2] - ينظر "حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى الهشماوي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص278.

[3] - دعاة البربرية في مواجهة السلطة:رابح لونيسي،د ط، دار المعرفة، الجزائر،د ت،ص10.

[4] - ليلي الاستعمار:فرحات عباس،ص69.

[5] - ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل1920-1945:يسلي مقران،د ط،دار الأمل،الجزائر،2007،ص70-74.

[6] - ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية،عدد ممتاز،ص230.

كما أطلقت فرنسا العنان لرجال الكنيسة يجوبون منطقة القبائل لفرنستها و نشر المسيحية فيها. يقول الأميرال'ديغيدون':"إن الهدف الذي يرمي إليه المبشرون هو نفس الهدف الذي أريد الوصول إليه، إنه تنصير و فرنسة سكان منطقة القبائل، و إدماجهم في المجتمع الفرنسي"[1].

لذا عمدت فرنسا إلى تغيير الاسم الأصلي للقبائل من 'زواوة' إلى الاسم اخترعته الإدارة الاستعمارية وهو 'القبائل' 'Kabyles'[2]. ثم أكثرت فرنسا من إنشاء المدارس في منطقة القبائل وحضرت الحديث فيها باللغة العربية و قصرته فقط على اللهجات الأمازيغية واللغة الفرنسية، و منعت رجال الدين و التعليم من تعليم العربية[3].

و في 1885 أسست في الجزائر العاصمة كلية الآداب، و خصصت بها فرعا لدراسة اللهجات المحلية و منها الأمازيغية[4].

كما أقام 'لفيجري''Lavigerie' الكنائس و جمع لها ما يقارب 1750 يتيما، ليتم تنشئتهم على الثقافة المسيحية و اللغة الفرنسية، و أخطر ما قام به هو تغيير أسماء الأيتام بأسماء هجينة•. كما قام بعقد قران الشباب الذي بلغ سن الرشد منهم، فتم عقد 102 حالة زاوج على الطريقة المسيحية، فتكونت بهذه الطريقة أول قرية مسيحية في منطقة القبائل[5].

لكن رغم ما يظهر من جهد كبير تبذله الإدارة الفرنسية و المؤسسة التبشيرية؛ إلا أن النتائج كانت هزيلة بشهادة الفرنسيين أنفسهم. يذكر 'غوستاف لوبون''Gustave Le Bon '

---

[1] – الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص114-115.

[2] – ينظر دعاة البربرية في مواجهة السلطة:رابح لونيسي،ص5.

[3] – ينظر"اللغة العربية و الإستراتيجية الاستعمارية":مصطفى شريك،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص377. و ينظر الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل:سلي مقران،ص141.

[4] – ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص119.

• " فرانسوا بن عيسى"، "روبير عبد القادر"، "جوزيف بن عبد الله"، "كلود أرزقي"(أول مبشر من أصل محلي أمازيغي). ينظر المرجع نفسه،ص135،و ص146.

[5] – ينظر المرجع نفسه،ص135-138.

في كتابه 'روح السياسة' أن أربعة آلاف طفل يتيم جزائري قام 'لافيجري' بتمسيحهم طوال 40 سنة، لكن سرعان ما عادوا إلى الإسلام عند بلوغهم سن الرشد[1].

هكذا لما فشلت سياسة اللين و التبشير للإدارة الفرنسية في **عزل منطقة القبائل عن باقي الجزائر، عزلا لغويا و دينيا و أعرافا اجتماعية**، انتقلت إلى الترسانة القانونية، فسن رجال القانون قانون'السيناتوس كنسيلت''Senatus consulte'، و الذي أنشئ بموجبه نظام الدوار، و الذي كان له دور كبير في تشتيت منطقة القبائل و وضعها تحت رقابة الدائمة[2]. فهذا القانون ينص على أن الجزائري لا يمكن له التمتع بحقوقه السياسية إلا إذا تخلى عن الشريعة الإسلامية[3].

ثم أخضعت فرنسا سكان منطقة القبائل إلى القوانين الفرنسية، و بعدها إلى مايسمى بـ'القانون البربري' •• المعتمد على العرف و التقاليد؛ فأصبحت القبائل الكبرى غير معنية بالشريعة الإسلامية[4]. فهدف فرنسا من ذلك هو إنشاء تناقض ديني حاد بين الجزائريين إلى جانب التناقض اللغوي الموهوم مما يسهل أكثر تطبيق سياسة " فرق تسد " الاستعمارية.

إن التيار الجزائري الوحيد الذي أظهر تعاطفه مع الظهير البربري، هو التيار الذي تمثله عناصر قليلة من النخبة تجنست بالجنسية الفرنسية، فحاول أنصار النزعة البربرية التجنيد في الأوساط الطلابية بمدينة الجزائر و منطقة القبائل، أما على المستوى القاعدي فلم يشرعوا في نشر أفكارهم[5].

---

[1] – ينظر المرجع السابق،ص152-153.

[2] – ينظر " اللغة العربية بين العزة و الكرامة و الخذلان و المهانة":عمر برامه، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص414.

[3] – ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص20.

•• وهو قانون استصدرته الإدارة الاستعمارية بالمغرب الأقصى عرف بالظهير البربري، إلا أن الصدور الرسمي له كان في 16 مايو 1930، و هو يعطي صلاحيات قضائية عرفية و ينشئ محاكم تستند في أحكامها إلى العادات و التقاليد البربرية لا إلى الشريعة الإسلامية. ينظر "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص60. و ينظر دعاة البربرية في مواجهة السلطة:رابح لونيسي،ص31.

[4] – ينظر " مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها":صالح بن القبي،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص213-214.

[5] – ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية : أحمد بن نعمان ص29-30. ينظر " وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص65.

و لكن رغم ذلك يواصل سكان بلاد القبائل نضالهم اللغوي و الثقافي، الفردي والجماعي ضد الاستعمار. حتى أنهم يمتنعون عن صلاة الجنازة على الأموات المتجنسين، والذين كانوا ينبزونهم بلقب 'المطورنين'[1]. كما ظهرت عند البربر حركة أمازيغية - تقف ندًا للحركة البربرية التي أنشأتها فرنسا- ذات توجه إسلامي محافظ. تهتم **بترسيخ معنى العروبة على أنها الانتماء اللغوي و الثقافي و الحضاري و التاريخي، و ليست الانتماء العرقي الذي يريد الاستعمار أن يغالط به الأمازيغيين[2].**

لذا كان كل من يسمح بإرسال أبنائه للتمدرس في مدارس المسيحيين يطرد من مجلس القرية 'تجميعث'، و يحرم من كل الحقوق التي يتمتع بها. و الأهالي كانوا يقيمون المآتم على إثر هجوم الشرطة على ديارهم و اقتياد أبنائهم عنوة إلى المدارس الفرنسية في بداية كل موسم دراسي[3].

---

1 - ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص159.

2 - ينظر دعاة البربرية في مواجهة السلطة:رابح لونيسي،ص9-10.

3 - ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص155-157.

المطلب الثالث: فضاء اللغات الأجنبية. التركية-الإسبانية-الإيطالية- العبرية- الفرنسية.

بحكم الموقع الجغرافي و التاريخي المضطرب للمغرب عامة و الجزائر خاصة، كان الاحتكاك اللغوي متفاوتا في فترات مختلفة[1]. فثبت وجود احتكاك بين اللغات الأصيلة فيما بينها، كما ثبت وجوده أيضا بينها و بين اللغات الوافدة الدخيلة الأوربية منا خاصة، و تتمثل في التركية و الإسبانية و الإيطالية واليهودية و الفرنسية التي كانت أكثر تأثيرا من غيرها. و هذا وصف لوضعية هذه اللغات في هذه الرقعة المغاربية كما أجملته 'خولة طالب الإبراهيمي'[2]:

التركية: تغلغل الوجود العثماني في الجزائر حكما و لغة و ممارسات اجتماعية و عادات و تقاليد، فتوسع التأثير اللغوي في الحواضر الجزائرية؛ خاصة الجزائر و المدية و تلمسان وقسنطينة. وكان التأثير في أغلبه اقتراضا من التركية للكلمات المتصلة بالحياة اليومية. و رغم ذلك لم تستطع التركية أن تحدث تغييرا هاما في الوضع اللغوي الجزائري.

الإسبانية: انحسر تأثيرها في الغرب الجزائري؛ خاصة وهران و ضواحيها. ويظهر التأثير من خلال الاقتراض من الإسبانية، عن طريق المعمرين ذوي الأصول الاسبانية والهاربين من الحرب الأهلية الإسبانية.

الإيطالية: أثرت في مدن الساحل الشرقي، عن طريق الاقتراض. و التأثير كان عن طريق المعمرين ذوي الأصول الإيطالية.

العبرية: أما اليهود فقد أظهروا اغتباطا بالاحتلال لأنهم كانوا على صلة منذ القديم باللغات و التجارة و العادات الأوربية[3].

و لكن رغم معارفهم اللغوية و ارتباطاتهم العائلية بأوربا (ليفورنا، مرسيليا..) فهم لم يؤثروا في الحياة اللغوية تأثيرا ذا بال، وإن أثروا بقوة في الحياة السياسية و الاقتصادية

---

[1] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص26.

[2] – ينظر المرجع نفسه،ص26-27.

[3] – ينظر الحركة الوطنية: أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص26-27.

الجزائرية؛ حيث استطاع مثقفوهم أن يدخلوا في جمعيات الفرنسيين المدنية و العلمية فيؤثروا عن طريق الكتابة و المحاضرات في توجيه الحياة الفكرية لصالحهم، و رغم أن الرِّبِيين• في غالبيتهم **يحسنون عدة لغات و منها الإسبانية و الفرنسية، و لكن كانوا يتعاملون بالعربية مع الجزائريين و حتى فيما بينهم، و نادرا ما يستعملون العبيرية، بل كان الرِّبيون يعظون اليهود بالعربية في بعض المناسبات[1]، كما كان يهود الجزائر يُغنُّون و يتغنون باللغة العربية[2].** فاتخاذ اليهود العربية لغة لهم لم يكن خاصا بيهود شمال إفريقيا بل شمل حتى يهود غرب آسيا لأن اللغة العربية كانت لغة عامة اليهود و إن كانت اللغة الوحيدة التي وحدت بينهم هي العبرية[3].

<u>الفرنسية</u>: إن مشروع فرنسا اللغوي رُسم ليمس ثلاث لغات؛ اللغة العربية و الأمازيغية و قد تقدم الحديث عنهما. بقي التعرف على سياسة فرنسا اللغوية تجاه لغتها خارج حدودها، والتي **تريد أن تجعل منها أكثر اللغات تأثيرا و بقاءً في الجزائر**. فهل تم لها ذلك؟ و كيف؟

أولا: تقييم فرنسا الوضعية اللغوية الجزائرية قبل و أثناء الاحتلال :

إن المؤرخين أكدوا أن فرنسا استعانت بجيش من الباحثين المتخصصين في شؤون المستعمرات والعلماء و المستشرقين، تم فتح الجزائر مخبرا لهم، كل في مجال تخصصه، للتعرف على الجزائر ما لها و ما عليها، و كيف يمكن قهر كبريائها التاريخي[4]. بل إن أمثال هؤلاء قد سبقتهم فلول من الجواسيس حتى قبل الاحتلال يقول 'محمد الهادي الحساني':" تعود أطماع فرنسا في الجزائر إلى ما قبل سنة 1830 بوقت طويل؛ فقد بعث الملك الفرنسي 'شارل التاسع' رسالة في 11مايو 1572 إلى سفيره في استنبول 'فرانسوا دو نوا''F. de Noailles' يأمره فيها أن يطلب من السلطان العثماني سليم الثاني أن يتخلّى- مقابل مبلغ مالي سنوي- عن

• الربيون هم المعلمون و الوعاظ اليهود.

[1] – ينظر المرجع السابق، ج1،ص374-375.

[2] – ينظر "اللغة العربية في الجزائر (على عهد الاستعمار الفرنسي)":عبد المالك مرتاض، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص126.

[3] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص32.

[4] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص93.

الجزائر ليعيِّن عليها أخاه 'دوق أنجو' 'le duc d'Anjou' (الملك هنري الثالث فيما بعد)"[1]. فما غزو 1830 إلا بعث لمشروع استعماري قديم. فالوضعية اللغوية الجزائرية كانت مبسوطة على طاولة الإدارة الفرنسية بكل أبعادها الجغرافية و الاجتماعية، ومواطن الوهن فيها كانت متكشفة يمكن التسلل عبرها، وهذا سهّل على فرنسا افتراس الكيان اللغوي الجزائري؛ وترك الجزائر في وحل الصراع اللغوي حتى بعد الاستقلال.

و قد **خلص خبراء فرنسا إلى أن الجزائريَّ فيه صفة لا يمكن تجاهلها** عند التعامل معه؛ وهي تمسكه بدينه و اعتزازه بلغته العربية و حبه لوطنه و غيرته على عرضه وشرفه. ومن هنا انطلقت فرنسا في مسيرة الألف ميل من التخطيط لتدمير مقومات الهوية•. **وكانت اللغة العربية هي المدخل الرئيسي و المجال المحوري و الحيوي لإحداث هذه الهزة القوية**. إنها معركة بدأت بالاحتلال و كانت اللغة منطلقها، واستمرت و لم تتوقف حتى بعد رحيل المحتل[2].

ثانيا: أهداف فرنسا اللغوية في الجزائر:

رغم مناورات فرنسا و إتقانها لعبة التخفي؛ إلا أن أهدافها الحقيقية أظهرها التاريخ من خلال ما خلفته على الساحة اللغوية الجزائرية، ويمكن إيجاز الأهداف اللغوية فيما يلي:

***جعل الجزائر بوابة لإفريقيا يمتد من خلالها الوجود الثقافي و اللغوي الفرنسييْن إلى بقية بلدان إفريقيا••**، و لا يكون ذلك إلا **بتحويل كل الجزائريين إلى رعايا فرنسيين مرتبطين**

---

[1] – آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي:جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1997،ج3، ص23. الكلام لمحمد الهادي الحساني، تحت عنوان السياق التاريخي.

• "مجموعة الخصائص و المميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة،و التي تتوارث عن ماضي ذي تاريخ و تراث،و بما في التراث من لغة و دين، ما للأمة من انتصارات و انتكاسات و طموحات و انتماءات و خصائص؛تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره..".في الهوية الوطنية: صالح بلعيد،د ط،دار الأمل،الجزائر،2007،ص42.نقلا عن "أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي": عبد الهادي بوطالب.مطبوعات أكاديمية الرباط، العدد1991،8،ص107-108.

[2] – ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل.اللغة العربية،عدد ممتاز،ص253. وينظر" اللغة العربية بين العزة و الكرامة و الخذلان و المهانة":عمر برامه، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص411.

•• فقد كانت تسمي جيشها جيش أفريقيا . وقد شاعت كلمة "الإفريقي في عدة استعمالات أخرى، فكان هناك:قناصة إفريقية، واللجنة الإفريقية، و المطبعة الإفريقية، و هلم جرا. فكأن الجزائر كلها أصبحت رمزا لأفريقية أو كأن الفرنسيين كانوا يخططون لاحتلال أفريقيا كلها من الجزائر" ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص37.(الهامش).

عاطفيا و لغويا و فكريا بفرنسا[1]. و هذه النوايا في التوسع الجغرافي و الوظيفي للفرنسية انطلاقا من الجزائر نحو إفريقيا، يؤكدها الجغرافي الفرنسي 'أونيسيم ريكلو'' Onésime Reclus' عندما يقول عن الفرنسية سنة 1880م: "إنها اللغة الأم أو الرسمية لأكثر من **400000 من معمري الجزائر العازمين على الذهاب بعيدا في استيطان هذه القارة"**[2].

* إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية. يقول 'روفيقو'' Rovigo ' سنة1843 معربا عن نوايا التطويع اللغوي:" إني أنظر إلى نشر التعليم و تدريس لغتنا بحسبانها الأداة الناجعة المثلى لبسط نفوذنا في هذا البلد «...» و **المعجزة الحقيقية الواجب القيام بها تكمن في إحلال الفرنسية محل العربية تدريجيا"**[3].

* جعْل التمدرس انتقائيا يسمح بظهور ثلاثة أنواع من المتمدرسين. فالنوع الأول هم أطفال الفلاحين الفقراء و أبناء الزاحفين نحو المدن بحثا عن العمل، وهؤلاء يجب إقصاؤهم كلية من التعليم، أما النوع الثاني فهم أبناء الطبقات الوسطى من البرجوازية الحضرية والريفية، التي سيتم إدماجها لتصبح قوة عاملة ضرورية للرأس المال المحلي و بخاصة أولاء الذين جاؤوا من بلد المستعمر، فيسمح لهم بالتعليم. و أخيرا أطفال الطبقات الحاكمة البرجوازية سواء الأوربية أو الجزائرية، الريفية أو الحضرية،التجارية أو الصناعية. أو حتى البرجوازية الصغيرة من أعيان الإدارة و الأعمال الحرة الذين سيسمح لهم بمزاولة الطورين الثانوي والجامعي لتكوين نخبة مفرنسة منهم، وهو ما ظهر بالفعل على أرض الواقع أيام الاحتلال[4]. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر كتب الجغرافي 'أونيسيم' يقول:"هناك عدة آلاف من العرب والبربر في التل الجزائري، و تونسيون بل و حتى مغاربة يتواصلون معنا بكل طلاقة بواسطة لغتنا" و لعل ما كان يعد قبل مائة عام تقريبا بالآلاف صار الآن يعد بالملايين[5].

[1] – ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص252.

[2] – التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي،ص178.

[3] – الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص28.

[4] – ينظر المرجع نفسه،ص31.

[5] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص178-179.

* جعل الشعب أُميا في لغته و ثقافته. بل **أميا حتى في الفرنسية إلا ما تحتاجه فرنسا منه**؛ و جعل التعليم موجها مسَيَّسًا لا يجب عليه أن يخرج عن حدود الوظائف التي حددتها له.

*دفع الجزائريين إلى الركون إلى الشفوية، حتى غدت فعلا هي وسيلة التعبير الغالبة، وشكلا من أشكال المقاومة[1]. فتراجعت الفصحى إلى خطوطها الخلفية المتمثلة في العربية الدارجة. يقول 'أبو العباس أحمد ابن الهاشمي' في جريدة البصائر موجها كلامه للشباب:" لئن كان منكم من حيل بينه و بين الفصحى فلا أقل من أن ينال حظه من اللغة الدارجة، فإن الرطانة التي تفاحش أمرها في عموم القطر، و تشوهت بها الألسن أيما تشوه تركتنا خائفين على لغتنا العامية ذلك الخيال الباقي من العربية"[2].

* الاستعانة باللغة الأمازيغية على اللغة العربية: **فالنبش في التراث اللغوي الأمازيغي السحيق قد ثبت تاريخيا أن لم يَسبق أحد الفرنسيين إليه**، لأنه يعزز النفوذ اللغوي الفرنسي[3].

* التفكير في تنظيم يجمع متكلمي اللغة الفرنسية: و لقد اختارت الإدارة الفرنسية مصطلح 'الفرانكفونية''La francophonie'، منذ أن استعمله الجغرافي الفرنسي 'أونيسيم ريكلو' سنة 1880 عند تصنيفه لسكان العالم انطلاقا من اللغة التي يستخدمونها، و حينها قال 'أونسيم ريكلو':" نحن نتقبل كفرانكفونيين كل أولائك الذين يتحدثون الفرنسية أو قرروا أن يصبحوا مساهمين في لغتنا"[4]. و هذه بداية التفكير الجدي في هذه المنظمة التي كانت فكرة تخامر العقول و تنتظر الظهور.

---

1 – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي، ص27.

2 – الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص60. نقلا عن جريدة البصائر،العدد 23،السنة1، 12 يونيو1938،ص2.

3 – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص35-36. و ينظر ص112-127.

4 – المرجع نفسه، ص130. و ينظر.La Guerre des Langues: Calvet,p256

ثالثا: استراتيجيات فرنسا لخدمة لغتها :

1. **الترسانة التشريعية و القوانين المُسَيّسة:** إن الجزائر اليوم تعيش توابع القرصنة الأولى[1]. و في سبيل **إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة** لابد لذلك من استراتيجيه لغوية محكمة الحبك، كان منها استصدار قرارات **لمنع استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي منعا مطلقا.** إذ كل الوثائق و المستندات لن تقبل في الإدارة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة الفرنسية. حتى يصير كل شيء و أي شيء باللغة الفرنسية وحدها حتى عناوين الرسائل، أسماء الشوارع، أسماء المحلات، الأماكن العامة، شارات المرور بما فيها التوقيع على الوثائق؛ لن يقبل إلا باللغة الفرنسية، و هذا ما حدث فعلا[2].

2. **إنشاء المؤسسات ـ المُسَيَّسة ـ التربوية و الإعلامية و الترفيهية و الدينية:**

فالمشروع اللغوي الفرنسي كان مشروعا تقويضيا لمقومات الشخصية الجزائرية، بدأ بالمقوِّم اللغوي العربي أساسًا، إذْ عمدت الإدارة الفرنسية إلى تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات لا قيمة لها و يمكن إهمالها جميعا في التعليم و اعتماد الفرنسية كبديل حتمي عنها[3]:

<u>أ)-</u> عربية عامية يستعملها الشعب و هذه لا قيمة لها، و بالتالي ليست مادة صالحة للتعليم في المدارس.

<u>ب)-</u> عربية فصحى'لغة القرآن' و هذه مثلها مثل اللغتين اليونانية و اللاتينية تعتبر لغة ميتة.

<u>ج)-</u> عربية حديثة و هي معروفة بصورة باهتة في الجزائر لأنها نتاج بعض المتعلمين و هي في الحقيقة لغة أجنبية و أداة للقومية العربية و لذلك يجب إبعادها عن برامج التعليم.

و بعد هذه المرحلة الأولى التي تلغي العربية المكتوبة و تدفع الجزائريين نحو الأمية والركون إلى الشفوية. جاءت مرحلة الفرنسة، و هي إحدى مراحل الغزو التي تحدث عنها 'ألفريد رامبو'•. **و الفرنسة تعني:"إحلال اللغة الفرنسية و ثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها**

---

[1] – ينظر ليل الاستعمار:فرحات عباس، ص53.

[2] – ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص235.

[3] – التعليم القومي:تركي رابح،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1981،ص131.

• "ألفريد رامبو" قال: "..يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة :إذ يجب أن نضمن السيطرة للغتنا..". ينظر عنوان العربية من 1830 إلى1931 (مسيرة قرن من مصارعة الاحتلال)، الفصل الثاني، المبحث الأول،ص47.

في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون- بمرور الزمن- لغتهم و ثقافتهم القومية ويستعيضوا عنها باللغة و الثقافة الفرنسية.."[1].

أما على صعيد الإعلام فقررت إنشاء ما أمكن من همزات الوصل الإعلامية لخدمة اللغة الفرنسية بالأساس. وهو ما ستبينه الأمثلة لاحقا. كما ستبين أمثلة أخرى إستراتيجية خدمة اللغة الفرنسية عن طريق المتحمسين المتدينين الذين قبلوا التضحية بكل شيء خدمة للمسيحية. حتى الترفيه لا بد من أن يتحمل بعض من العبء في القضاء على اللغة العربية واستبدالها بالفرنسية.

3. التأثيرات النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية:

- استغلال الإعلام المضاد و الموجه **لتكوين رأي عام ولو بالمغالطة**. فأولى الأكاذيب السمجة التي سوقها الإعلام الفرنسي؛ أن الاحتلال هدفه نقل الحضارة، و 'جول كامبون''Jules Cambon'' اعتبر احتلال فرنسا للجزائر كان في جملته إنسانيا عميقا![2] .
- **تعزيز مركب النقص و الانبهار بالمدنية الفرنسية عند الجزائريين**، من خلال سياسة غسل المِخاخ بتنظيم زيارات إلى فرنسا بالإغراء مرة و الإكراه مرات، فالطرق الملتوية التي انتهجتها فرنسا لإنشاء جماعة النخبة ذات التوجه الفرانكفوني، وتداعيات نشأة هذه الجماعة المارقة لغويا و فكريا عن المجتمع؛ مبحث لاحق.
- **الاستعانة بالمرأة** في نشر الفرنسية بين الجزائريات تحت مظلة الجمعيات الخيرية.

4. ترسانة الموارد المالية:(التمويل الموجه و المسيس): فالإدارة الفرنسية سهرت فعلا على برمجة أغلفة مالية لتمويل سياستها اللغوية في الجزائر، و إن كشفت الأيام أن الأرقام المالية كانت تميل لكفة الكولون على حساب تعليم الجزائريين.

---

[1] – المرجع السابق ،ص106.

[2] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص17. "جول كامبون"حَكَم الجزائر بين (1891-1897).

رابعا: بداية فرنسا تنفيذ مخططها اللغوي:

بدأت فرنسا في فرض اللغة الفرنسية على الجزائريين بالحديد و النار و عنف جم قلما شهد تاريخ البشرية مثالا له[1]. ومن ذلك:

1- استصدار القوانين و المراسيم التي تدعم استعمال اللغة الفرنسية:

تبدأ قضية مراسيم تعليم الفرنسية منذ 24 أكتوبر 1842م، حيث أصدر وزير الحربية أمرا بتعليم اللغة الفرنسية للأطفال العرب في المدارس الأهلية[2]. كما سبقت الإشارة إل مراسيم كثيرة عند الحديث عن اللغة العربية.

2- محاصرة و غلق مؤسسات تعليم العربية و انطلاق مرحلة فرض الفرنسة اللغوية في عدة قطاعات منها:

أ) فرنسة الإدارة: و قد سبق الحديث عن قرار صدر عام 1848م•.

ب) فرنسة التعليم: يقول المؤرخ 'موريس فاهل''Maurice Wahel':" لقد شرعنا بادي ذي بدء في هدم كل المسايد تقريبا (و هي المدارس الابتدائية)، و الزوايا(الريفية)، والمدارس (الثانوية). و بعض المدارس الإسلامية الأخرى الموجودة قبل 1830، و بعدها انهمكنا في إجراء تجارب ارتجالية لم تنجر عنها سوى نتائج هزيلة و أحيانا سلبية"[3].

فأنشأت **أول مدرسة عربية فرنسية سنة 1836، و لم يظهر هذا النوع من المدارس طيلة العشرين سنة التالية،** فهذا 'كوليج الجزائر الفرنسي' 'collège' لم يؤد إلى تمدرس

---

[1] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي، ص27.

[2] – ينظر أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص25.

• جاء في القرار:" إن لغتنا هي اللغة الحاكمة، إن قضاءنا المدني و العقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته...بهذه اللغة، و بهذه اللغة وحدها، يجب أن تكتب جميع العقود..".:" محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال": عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص257.

[3] –" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص228.

الجزائريين و لا الفرنسيين؛ إذ دخله حينئذ 32 تلميذا فرنسيا أو أوربيا ثم انخفض ذلك العدد إلى 19 فقط، لأن **الدراسة فيه كانت باللاتينية بدل الفرنسية و العربية الفصحى**[1].

ثم إن جل المعمرين - حثالات فرنسا و نفايات سجونها- كانوا يعطلون مشروع فرنسة الجزائر لأغراض مالية أساسا. و خوفا من انتشار الوعي بين الجزائريين. هذا الوعي جعل الجزائريين فعلا ينتقلون من مقاطعة المدارس الفرنسية إلى المطالبة بحقهم فيها. و يؤكد 'مصطفى الأشرف' أن المطالبة بالتعليم كانت من جميع الجزائريين[2]. ففرنسا استغلت نزعة حب التعلُّم عند الجزائريين لتحاول تكوين نخبة من المثقفين الجزائريين المتفرنسين. ولكنها لم تنجح[3].

ج) فرنسة المظاهر الاجتماعية: عملت فرنسا على **هدم العالم الاجتماعي و اللغوي الجزائري**، و بناء محيط اجتماعي و ثقافي ولغوي فرنسي يبتلع كل آثار اللغة العربية من المحيط الاجتماعي[4]. و يظهر هذا في تغيير أسماء الشوارع و الأبواب و المؤسسات.. وإعطائها أسماء- لامعة- رومانية و أوربية•، دينية مسيحية و تاريخية.. و قد مر سابقا تغيير حتى أسماء الأشخاص عمدا مع النقل المشوه و الممسوخ لهذه الأسماء من العربية إلى الفرنسية، كتقويض للقواعد الأسرية و القبلية.. ينقل شاهد عيان أن وجه مدينة الجزائر ما بين سنتي 1832-1833 قد أخذ يتحول عن الطابع الشرقي إلى الطابع الغربي[5].

---

[1] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص92-93. وينظر،ص253.

[2] – ينظر المرجع نفسه،ج2،ص174.(الهامش)و يقول مصطفى الأشرف أن هذا"من قبيل«حكم الضرورة» أي أن الشعب الذي عرف تقاليد ثقافية طويلة، يشق عليه قبول الفراغ الفكري و يحس بأنه قادر من أجل الاستجابة إلى هذه الحاجة على تبني لغة أخرى على حساب لغته الخاصة التي حضرت عليه". ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص30.

[3] – ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص262.

[4] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص27.

• لعل وجود تسميات غير فرنسية يعود إلى وجود جنود و معمرين غير فرنسيين. من هذه الأسماء شارع يوبا،شارع شارل الخامس، شارع دوكين، شارع دوريا،شارع كليبر. وكذلك تسمية باب المرسى(باب الجهاد) باسم باب فرنسا، و أسماء فرنسية مثل:شارع أورليان،وترواكولار (الألوان الثلاثة)،و لاشارت.. إلخ.

[5] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص70-71.

لكن أخطر جريمة اجتماعية نفذتها إدارة الإحتلال - بطرق في منتهى الإلتواء و الخبث لتحقيق الفرنسة- كانت بتكريس الانبهار بالمدنية الفرنسية عند فئات اجتماعية معينة. منها:

- فرنسة أطفال الأعيان بنقلهم إلى فرنسا: قال 'كادي فو' فيما يرويه المؤرخ الجزائري 'حمدان بن عثمان خوجة': "**يجب أن نجمع على الأقل 50 طفلا من أبناء الأعيان يبعثون إلى فرنسا ليتعلموا اللغة**"[1]، في مؤسسة معروفة باستقبال المسلمين في باريس، ويُعيَّن لهم خبير في شؤون الإسلام و العرب، يراقبهم ويوجههم و يسافر معهم إلى الجزائر فيما بعد لزيارة أهلهم، و مراقبة مدى تنصل الفتى من تقاليده إلى التقاليد الجديدة الفرنسية.
- فرنسة شخصيات جزائرية مرموقة بإجبارهم على زيارة فرنسا: كان 'بيجو' يجبر بعض الأعيان- أعيان الحكم و العلم، من المدن والأرياف، تم اختيارهم ليمثلوا كل الأقاليم- على زيارات منظمة لباريس لتيْسير عملية غسل المخ المُحكمة، فينقلونهم على بواخر لا قبل لهم بها، و يحاطون بأبهة مقصودة، فتكتب عنهم الصحف لإثارة الفضول نحوهم، ويزورون المتاحف والمسارح و الساحات، كما **يُعلَّمون بعض الكلمات الفرنسية**، و تقام حفلات على شرفهم يختلطون فيها بالنساء اللائي جيء بهن خصيصا لهذا. و أخيرا يحضون بمقابلة الملك والوزير و بعض الشخصيات، و تتهاطل عليهم الهدايا و الأوسمة و الألقاب و عبارات الشكر والإطراء، على أنهم ليسوا كغيرهم ممن ينكرون الجميل و لا يعترفون بالمجهود الحضاري الذي يقوم به جيش 'بيجو'، لذا عليهم أن يكونوا دعاة لفرنسا و الفرنسية في الجزائر[2].
- فرنسة الأطفال المعوزين داخل الجزائر: كالأولاد الصغار من اليتامى و المشردين وأبناء الفقراء، و لتنصيرهم تم جمعهم في ملاجئ• هيئت لهذا الغرض.

---

[1] -" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص227-228.

[2] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص232-240.

• من أهمها:ملجأ"ابن عكنون""القديس ميشال""بيت بوفاريك"التي كانت تضم حوالي 250 طفلا.و في سنة1867شرع الكاردينال "لافيجري""Lavigerie"الذي أسس"بيت بوفاريك"في تنفيذ خطة كبيرة و خطيرة تقضي بتنصير الأطفال ثم يجعل منهم"آباء بيضا" ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين أهليهم. ثم كثفت فرنسا من نشاط الإرساليات المسيحية تحت أسماء هيئات تعليمية،و جمعيات خيرية، وإمعانا في التمويه أطلقوا على أنفسهم اسم"الآباء البيض"،فكانوا يرتدون ثيابا بيضاء و برانيس مثل الأهالي تماما،فبلباسهم هذا كأنهم رجال الدين الإسلامي و مشايخ الزوايا، رغم أن القساوسة في فرنسا يرتدون اللباس التقليدي الأسود.ينظر الحركة الدينية والإصلاحية:يسلي مقران ص129.ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية،عدد ممتاز،ص233.

- فرنسة المهاجرين إلى فرنسا: فبحكم دراستهم للغة الفرنسية و احتكاكهم بثقافتها، فقد ساهموا في ظهور هذه النخبة المفرنسة من العمال و غيرهم[1].
- ظهور جماعة النخبة في الجزائر: يرى'ألود' أن في1907 كان لا يوجد في الجزائر أكثر من 450 مثقفا جزائريا من جماعة النخبة. **فالمتجنسين رسميا يبدو عددهم قليل**، يقول 'ليون فيكس' في هذا الشأن:"منذ عام 1865 حتى عام 1934 تجنس أقل من25000 مسلم جزائري بالجنسية الفرنسية، و هذا يؤلف المعدل المضحك وهو 36 شخصا في العام"[2]. أما **المتجنسون غير الرسميين فيبدوا أن عددهم كبير**، خاصة من دخل أبناؤهم المدارس الفرنسية[3].

د) فرنسة العمل الاجتماعي الخيري: و كان بإنشاء جمعيات خيرية دينية و اجتماعية، تجعل اللغة العربية غير إجرائية ولا فعالة في مجالها الحيوي. فالأب 'برومو''Brumault' أقام عدة ملاجئ في ابن عكنون و بوفاريك ووهران.. وجعلها مراكز لتعليم الفلاحة ونشر مصطلحاتها الفرنسية، و مَنح للأطفال في الملاجئ 21.5 فرنكا شهريا لكل طفل. كما تم غزو دين و لغة المرأة الجزائرية، عن طريق استدراج الفتيات لمشاريع تبدو مغرية و محايدة ومربحة، كتعليمهن الخياطة و الطرز و التطبيب و نحوها[4].

ه) إطلاق العنان للتبشير: فنشطت في مجال نشر اللغة الفرنسية نشاطا لا مثيل له، رغم أن المبشرين كانوا يستعملون لغة الأهالي في معظم المستعمرات بل كان يُترجم الإنجيل حتى إلى اللغات المحلية. لكن رغم ذلك يقول 'كالفي':"..طيلة قرابة قرن، ارتقت الثقافة و اللغة الفرنسيتان بالخارج بفضل تلك القنوات الدينية"[5]. ومن الغريب، الاستعانة بجيش من النساء المتحمسات للدين المسيحي خاصة في المشاريع الخيرية كالتكوين المهني كما مرّ سابقا.

و) إنشاء المطابع و ظهور الصحافة." إن **إنشاء المطبعة ' الأفريقية'[في العاصمة] و ظهور الصحافة في الجزائر كان حدثا رمزيا بارزا في تاريخ الجزائر الحديث**، رغم أن

---

[1] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله، ج2،ص128-129.
[2] -" الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد الفرنسي":عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية،عدد ممتاز،ص453.
[3] - ينظر" نظرة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين":بوعبد الله غلام الله،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص42.
[4] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص372-373.
[5] - السياسات اللغوية: كالفي، ص109.

الصحافة قد استعملها العدو للتخدير لا للتثقيف"[1]. و كانت تتدفق تدفقا عجيبا حتى بلغت بين سنوات 1847-1939 ما يزيد عن مائة و خمسين جريدة ما بين يومية و دورية[2].

ز) تدريس العربية الدارجة للفرنسيين: أسس الفرنسيون معهدا في باريس سنة1839، أطلقوا عليه اسم 'الكوليج العربي'. ومن بين مهامه الترجمة من العربية الدراجة بحيث يتخصص فيها شبان فرنسيون، و هكذا سيصبح المعهد، حسب تعبير مؤسسيه 'مشتلة' للمترجمين المقدر لهم العمل في الجزائر[3]. و هذا سيعمل على إذكاء التأثير اللغوي الفرنسي على الواقع الجزائري بتكريس مظاهر الاحتكاك السلبية كالاقتراض و التداخل اللغوي..

3- تمويل حملة نشر الفرنسية: قد لا يهم كثيرا البحث في مصادر تمويل السياسة اللغوية الفرنسية، لأن الخزينة العامة للجزائر و الأوقاف التي استولى عليها الاستعمار كفيلة بذلك. ولكن الجدول التالي خير دليل على الميزانية (بالفرنك) المقدمة للتعليم العام في الجزائر بين 1902م و 1908م. و هي كما يلي[4]:

السنة	التعليم العام للكولون	التعليم العام للجزائريين
1902	5081823	1389274
1903	5558978	1179165
1904	5732003	1299424
1905	7847368	1314234
1906	8189649	1385064
1907	8955390	1549464
1908	9923368	1617639

وهذه الأرقام كانت في وقت تحسين التعليم للجزائر، و الذي لم يسفر إلا على 450 مثقفا جزائريا من خمسة ملايين نسمة!

[1] – الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج1،ص91.

[2] – ينظر الصحف العربية الجزائرية من1847إلى1954:محمد بن صالح ناصر،ط2،نشر ألفا ديزاينAlpha،الجزائر،2006،ص9.

[3] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص252-253.

[4] – المرجع نفسه ،ج2،ص142-143.

4- إنشاء منظمة الفرانكفونية: **إن الفرانكفونية وجه آخر من السياسة اللغوية الفرنسية** كما يقول 'كالفي'[1]. و يؤكد على حدثين بارزين- كرسا فكرة تنظيم نشر الفرنسية وتأطيرها ماديا و معنويا، بعد شعور فرنسا بأن هناك أزمة في انتشارها- هما: إنشاء مؤسسة 'التحالف الفرنسي لنشر اللغة الفرنسية في المستعمرات و في البلدان الأجنبية' في عام 1883م. و ثانيهما الاهتمام المتعاظم باللغات الاصطناعية• وما يشكله من خطر على الفرنسية خارج حدود فرنسا[2].

خامسا: تقييم جهود فرنسا لنشر اللغة الفرنسية:

لقد **حصدت فرنسا نتائج هزيلة في سياستها اللغوية المتعلقة بفرنسة التعليم**؛ فالمدرسة لم تمس سوى نسبة ضعيفة من السكان: 2% في سنة 1888، و 3.5% في سنة 1902، و 4.5 % في سنة 1912، و 5 % في سنة1914، و8.9% في سنة 1938[3].

إن فرنسا لم تكن تهدف إلى تثقيف الجزائريين، فقد كان من المتوقع أن فرنسا بعد أن اضطهدت العربية ستعوضها بالفرنسية، غير أن ذلك لم يحدثا أيضا. **فالمؤرخ للقرن التاسع عشر للجزائر لا يكاد يعثر فيه على عالم جزائري حقيقي واحد لا بالعربية و لا بالفرنسية**[4].

فالمشروع اللغوي الفرنسي بإمكانياته الهائلة أصاب أهدافه المرسومة بكل دقة و مهارة وفقا لما خططه لها قادة الاحتلال، فقد كادت- لولا حفظ الله- اللغة العربية و ثقافتها تندثران في الجزائر بعد مرور قرن من الاحتلال. حتى أن وزير خارجية فرنسا السابق السيد'كلود شيسون''Claude chaisson' يقول:"..**إنني أتألم اليوم مع الجزائريين، و أخجل من النتائج**

[1] - ينظر السياسات اللغوية: كالفي،ص114-115.

• هي لغات مصطنعة أريد لها أن تقوم بوظيفة العالمية بين الدول،أشهرها:الإسبرنتو "Espéranto " 1887م.

[2] -ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p251-250 .

[3] - ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص30-31.

[4] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج2،ص63.

التي تركها بلدي هناك، حيث لم تقدم فرنسا خلال 132 لاحتلالها و استباحتها للجزائر إلا 82% من الأمية"[1].

و عن طابع العدائية الذي ظل يلازم فرنسا في سياستها الفرونكفونية، فإن ’جان لويس كالفي‘يؤيد’كلاوس بوشمان‘’Bochman‘ اللسانيي الألماني،الذي قارن بين السياسات اللغوية في مختلف الدول الفاشية، فوجد فيها أربع مميزات ملازمة:

- التعصب لأجل نقاء اللغة الوطنية، وكره لغات الآخرين.
- مركزية معادية(مضادة) للهجات.
- مركزية متعصبة للوطن تعادي الأقليات الوطنية.
- نزعة إلى الاستعمار أو إلى التوسع اللغوي خارج الحدود.

هذه النزعات الأربع نجدها في العديد من السياسات اللغوية، و خاصة في السياسة اللغوية الفرنسية في مراحل مختلفة من تاريخها[2].

[1] -" مأساة اللغة العربية بالجزائر":أحمد قادري، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص160. نقلا عن لجريدة "الشرق الأوسط"،و نقلته جريدة "الجمهورية"بتاريخ 1992/07/04. و ينظر التعليم القومي: تركي رابح: ص51.

[2] - ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p262-261 .

المبحث الثاني:

الوضعية اللغوية

من

الناحية اللسانية الاجتماعية.

المطلب الأول: الثنائية اللغوية بين مقاربتي "فرجسون" و"فيشمان".

المطلب الثاني: مظاهر الاحتكاك اللغوي.

المطلب الثالث: الوظائف اللغوية لمختلف اللغات.

قد تم لهذا البحث خطوته الأولى من خطوات وصف الوضعية اللغوية الجزائرية، في الفترة التي سبقت ظهور جمعية العلماء، و قد كان الوصف عبارة عن تقييم لساني تاريخي. ومن الضروري تحليل هذا الوصف اللساني التاريخي تحليل لسانيا اجتماعيا. يتم من خلاله رصد أهم الظواهر الناتجة عن تفاعل البُنى اللغوية بالنسيج الاجتماعي .حتى يتضح مدى استيعاب جمعية العلماء لكل جوانب المشكلة اللغوية.

من أهم الظواهر اللسانية الاجتماعية التي سوف تكون محور تحليل الوصف اللساني التاريخي، قضية الثنائية اللغوية و مظاهر الاحتكاك اللغوي، و أخطرها توزيع الوظائف اللغوية على اللغات آنذاك.

و قبل ذلك لا بد من الإشارة إلى نوع **المقاربة التي طبقتها فرنسا على الوضعية اللغوية الجزائرية. و هي من النوع الذي يسميه 'كالفي' 'تسيير الموضوع''** in vitro '[1]؛ أي في المخابر يتولى اللسانيون تحليل الأوضاع و اللغات و يتولَّوْن وصفها بدقة، ثم اقتراح تصورات لمستقبلها، و فرضيات لحل مشاكلها، ثم يأتي دور السَّاسة في دراسة هذه المسودات التي قدمها اللسانيون، محددين الاختيارات المناسبة لتطبيقها.

فكأن الإدارة الفرنسية تريد القول أن لا مجال للصدفة، ولا رأي للبنى الاجتماعية الجزائرية، و لا ممارساتها في تسيير وضعهم اللغوي بـ'التسيير المستعمل' ' in vivo '، وحلهم لمشاكلهم اللغوية التواصلية وفقا لما ترتضيه بُناهم اللغوية و الاجتماعية. **وفرنسا بهذا التموْقع في صف ' تسيير الموضوع' تقف ندا بل خصما لخيارات ' تسيير المستعمل' الذي هو خيار المجتمع الجزائري، الذي يرفض كل تدخل مقصود غير عفوي و لا برئ في شؤون لغته المقدسة.**

---

1 - ينظر السياسات اللغوية: كالفي،ص112-113.

المطلب الأول: الثنائية اللغوية بين مقاربتي 'فرجسون' و 'فيشمان'.

1 - الثنائية اللغوية الجزائرية وفق مقاربة 'فرجسون':

يقول 'عبد الفتاح عفيفي':" بصفة عامة فإن كل لغة لها جانبان: - جانب رسمي يلتزم باستخدام الفصحى في المجالات السليمة في بناء الجملة و العبارة - و جانب آخر غير رسمي يقوم على أساس لهجات عامية مختلفة يتحدث بها الناس (العامة و الخاصة) في أسواقهم وبيوتهم و حياتهم اليومية"[1]. و هو المعنى الذي أعطاه 'فرجسون' للثنائية اللغوية.

إن اللغة العربية من دون شك ينطبق عليها هذا التقسيم نظريًا، و لكن الإدارة الفرنسية حاولت - نظريا و ميدانيا- أن تخرج وضع اللغة العربية عن الثنائية إلى الثلاثية اللغوية 'triglossie'. أي ظهور اللغة العربية في ثلاثة مستويات سبقت الإشارة إليها. هي:

أ- **المستوى الفصيح:** الذي نجده في الشعر و الفنون الأدبية التي تلتزم البلاغة الراقية و البديع خطا لها، فهي لغة معيارية مقعدة مكتوبة، و أعلى مراتبها لغة القرآن. واعتبرتها فرنسا لغة منقرضة مثل اللاتينية. و الحقيقة أن هذا المستوى من الفصاحة يكاد ينعدم في الأقوال والكتابات منذ حلول عصور الانحطاط الأدبي، فحتى الكتابات الأدبية في عهد الاحتلال لم ترق في فصاحتها إلى فصاحة العهود المزدهرة للآداب العربية. بل عجزت عن التملص من مخلفات عصور الضعف؛ من احتفال بالبديع، و عدم التجديد في الأغراض الأدبية.. يقول 'حنا الفاخوري' عن حالة الأدب العربي في العالم العربي عامة:"لما جاء العهد التركي وشاعت اللغة التركية انحط الأدب العربي إلى أسفل الدركات"[2].

ب- **المستوى العامي:** الذي نجده يشكل النمط الغالب على حديث الناس، فهو غير مكتوب و لا مقعد، وله تنوعات تتقارب و تتباعد حسب الانتشار الجغرافي. و من التناقض الصارخ في السياسة اللغوية الفرنسية أنها تعتبر هذا المستوى غير قابل للتعليم ثم تعمد إلى تأليف الكتب المدرسية به مع مزجه باللغات الأجنبية.

---

[1] - علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص119.

[2] - تاريخ الأدب العربي:حنا الفاخوري،ط10، المكتبة البوليسية، بيروت لبنان،1980،ص859.

ت- **المستوى المتوسط بينهما•:** و هو الذي شاع استعماله على ألسنة الساسة و في لغة الإدارة.. وهي أيضا لغة مكتوبة و لكنها تتساهل في الحركة الإعرابية نطقا، و لا تحتفل بالبلاغة و البديع. و طالما هي لغة نخبوية ترمز للقومية فهي لغة أجنبية من منظور فرنسا.

2 - الثنائية اللغوية الجزائرية وفق مقاربة 'فيشمان':

إن التعايش الوظيفي بين الفصحى و العاميات وحتى مع الأمازيغية كان واضحا. لأن الصراع لم يكن بين العربية وذاتها، بل بين العربية و الفرنسية. لذلك نموذج 'فرجسون' المعتمد على ثنائية المستويين(الرفيع و الوضيع) لا تستوعب طرفي الصراع في الجزائر.

و لتجاوز هذه الخطاطة إلى ما يناسب الوضعية اللغوية الجزائرية، لا بد من الحديث عن الثنائية الموسعة التي عند 'فيشمان'، و التي تتسع لتشمل نظامين ليسا من نفس الأرومة اللغوية.

و الحديث هنا لا يمكن أن يتعدى الثنائية إلى التعدد اللغوي، الذي تكون فيه اللغات المحتكة تتجاوز العربية و الفرنسية إلى الأمازيغية. إذْ هذه الأخيرة لا يمكنها أداء الوظائف اللغوية المسندة للعربية أو الفرنسية، على الأقل من ناحية الحمولة الثقافية التي تدفع إلى تعلُمها.

إن توسع بعض من الجزائريين آنذاك، في استعمال الفرنسية على حساب العربية، ظهر عند جماعة النخبة المتعلمة تعليما فرنسيا. فهل شكل هذا الاستعمال ظاهرة في المجتمع الجزائري؟ و هل كان هذا الاستعمال بريئاً؟

قدمت كتب التاريخ أرقاما لعدد أفراد النخبة، ففي سنة1907 كان عددهم أكثر من 450 مثقفا، و في سنة 1943 ارتفع ليبلغ 1655 شخصا[1]. و الغالب على مثل هذا الإحصاء هو التقدير التخميني الجزافي[2].

• اختلف في تسمية هذا المستوى بين:اللغة العربية الوسطى و الحديثة و المعاصرة، العربية الفصحى المشتركة، العربية النمطية. ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي، ص21-22.

[1] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله، ج2،ص160،مع الهامش.

[2] - ينظر أسس علم اللغة:ماريو باي،ترجمة أحمد مختار عمر،ط8، علم الكتب، مصر،1998،ص220.و ص197.

إن هذا التعداد لا يشكل ظاهرة، لأن جماعة النخبة "لم يستطيعوا أن يشكلوا بديلا مقبولا لبناء الحقل الثقافي الجزائري لضعفهم العددي وصلاتهم بالحكم الاستعماري"[1]. خاصة لما تراجع التعليم الفرنسي تحت وطأة ضربات التعليم القومي. لذا الثنائية انحصرت في المدن الكبرى، يقول الزعيم المصري 'محمد فريد':"..و كادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل:وهران، و الجزائر، و قسنطينة، و عنابة «...» و غيرها من السواحل والثغور"[2].

أما عن نوايا هؤلاء الجزائريين من استخدامهم للغة الفرنسية، فتكشفه مواقفهم الإيجابية من الفرنسية و دفاعهم عنها. فكيف وقع هؤلاء الجزائريين في أحبولة الفرْنسة رغم أن الجزائريَّ شديد الغيرة على شخصيته الوطنية؟

إن تعلم و إتقان لغة أجنبية يولّد إرادة قوية في الاندماج والاتحاد مع الشعب الذي يتكلمها، وهنا تتحول الدافعية (أي الحوافز أو المثيرات الداخلية لتعلم اللغة الثانية) عند المتعلم من دافعية وسيليَّة (وسيلة لتحقيق أهداف محددة كتحسين الوضع الدراسي أو الوظيفي..) إلى دافعية اندماجية تطغى عليها الرغبة في الاندماج في مجتمع اللغة الثانية، و الانتماء إليه و تبني نماذجه الفكرية. وهنا نجد الثنائية اللغوية بإمكانها أن تتحول إلى ثنائية ثقافية باكتساب معرفة معينة و طريقة تفكير و سلوك معينة، زيادة على ثقافة المتعلم. و الانتقال من مرحلة تبني قواعد اجتماعية إلى مرحلة تبني مفاهيم إنسانية وأيديولوجية و سياسية عملية سهْل تحقيقها، خاصة إذا كان نفوذ الثقافة الأخرى أكثر جاذبية[3]. وهذا هو التصوير الدقيق لـ«اللقط•» الذي تورطت فيه جماعة النخبة. وتصديق أيضا لمقولة 'عبد القادر فضيل':" لا توجد لغة بريئة"[4].

فجماعة النخبة أضاعوا لغتهم، وعادات و احترام و صداقة مجتمعهم، ثم أداروا وجوههم نحو الحياة الأوروبية، فتزوج أغلبهم بفرنسيات، و **تكلموا اللغة الفرنسية**، وعاشوا مع

[1] – الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص227.

[2] – التعليم القوي: تركي رابح، ص338. و الوصف جاء في مقال محمد فريد:." التعليم و المدارس في الجزائر" إثر رحلته إلى الجزائر.

[3] – ينظر قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا،ص51.

• و هو عبارة عن مزيج ثقافي من التقاليد المحلية و من أصول دينية و حضارية دخيلة.ينظر التعدد اللغوي:محمد الأوراغي،ص25.

[4] – حوار مع عبد القادر فضيل:مجلة المعلم، العدد 3، أوت سبتمبر2000، ص7.

المجموعة الفرنسية، و**أرسلوا أطفالهم إلى المدارس الفرنسية، محاولين تنشئتهم على الطريقة الفرنسية**[1].

و هذا يدعو إلى التأكيد على أن **وَسْم هذه الفئة بالثنائية فيه تجَوُّز**؛ إذ الثنائية تقتضي استعمال اللغتين جنبا إلى جنب و إتقانهما بنفس الدرجة، وهو ما لا نجده عند جماعة النخبة، لأن جهلهم بالعربية و الدين قد بلغ مبلغا لا يصدق، فقد جهلوا أبسط ألفاظ العبادات و طقوسها. فليس غريبا أن تفشل بعثة الحج التي نضَّمتها لهم فرنسا مرتين، فالبعثة فشلت لأن **جماعة النخبة لم يعرفوا لا العربية و لا كيف يؤدون طقوس الحج**. ويتحدث المؤرخ الفرنسي'غوتيي' 'Gautier'عن بعثة أخرى من البرجوازية الجزائرية إلى مكة في1934. فلاحظ **جهلها بالعربية بلغ حد عدم اعتبارها لغة عن قناعة، فهي عندهم مجرد لهجة(باتوا)(Patois) فقط**[2].

إن للغة دلالة و إيحاء بالانتماء؛ فحين يتكلم جماعة النخبة باللغة الفرنسية فيما بينهم، مع أن لهم لغة أمًا واحدة، فهذا يوحي أنهم يريدون مراعاة النموذج الغربي و التمايز عن أبناء وطنهم بشهاداتهم و وظائفهم في الإدارة الفرنسية، فلو تحدث أحدهم بالعربية فهذا يدل على رفض لغة الاستعمار و تجديد الولاء للوطن و الانتماء[3].

إن فشل الإدارة الفرنسية في إدارة صراع مفتعل بين التنوعات العربية و حتى بينها وبين الأمازيغية، يظهر في كل نواحي الحياة اليومية للجزائري. فقد كانت العاميات هي لغة الجزائري في السوق و الحقل و غيرهما من الأماكن التي تختفي فيها هيمنة الإدارة الفرنسية. وهو حال الأمازيغية أيضا في داخل حدود انتشارها. أما الفصحى فكان يستعملها أصحاب الشأن من الأئمة و الصحفيين و الساسة..في مقامات الخطابة و إصلاح ذات البين و التجمعات والكتابات الأدبية و الصحفية و الإصلاحية..فقد كان التواصل الاجتماعي والاقتصادي و الثقافي و العسكري قائما على التعايش و التكامل بين مختلف المجموعات اللغوية الجزائرية الأصل.

---

[1] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص162- 164.

[2] - ينظر المرجع نفسه،ج2،ص255-256.

[3] -ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p 90-91 .

أما **اللغة الفرنسية فانتشرت في الجزائر بعد الاستقلال و ليس أثناء الاحتلال، لأن الجزائريين رفضوها لعقود**[1]. هذا يجعل ثنائية 'فيشمان' القائمة على التعايش، عاجزة عن استيعاب علاقة الصراع بين العربية و الفرنسية.

إن الثنائية **اللغوية بمقدورها أن تقدم لنا منافع حقيقية؛** إذا قدمت لنا معارف أوسع، وحسنت من شخصية الفرد، نتيجة التعرف على مجتمعات أخرى، وخاصة في المجالات العلمية و التقنية[2]. و في المقابل لا ينجو مجتمع من مخاطر الثنائية اللغوية إذا تحولت إلى ثنائية ثقافية. ولو قدر لفرنسا تنفيذ مشروعها بنجاح لكان المشهد الجزائري كما يلي:

" لوضعية التعدد اللغوي عواقب غير مرغوب فيها؛ أضعفُها تكوين طوائف لغوية تجهر بالمغايرة في كل حين، و تُسخّر كل طائفة ما توفر لديها من وسائل مختلفة لتغذية شخصيتها المتميزة، و المحافظة على هويتها اللغوية و الثقافية. و هي بذلك تؤلف مجتمعات منغلقة اقتصاديا؛ إذا غالبا ما يُهمل معيار الإتقان و الجودة لفائدة الطائفية، فينتقى على أساسها المقاول في البناء و العامل في الورشة و المساعد في المتجر و المخبزة والمقهى. و هي أيضا منغلقة اجتماعيا؛ إذ يقل التصاهر بينها، و تضعف مشاركة بعضها بعضا في الجمعيات المدنية، و في الأعمال التطوعية للتضامن الجهوي. ومنغلقة ثقافيا؛ فلا يطرب بعضها لموسيقى البعض الآخر، و بسبب الحاجز اللغوي لا تطّلع طائفة على ما قد يكون عند الأخرى من أعمال أدبية، ويظل إنتاجها القليل حبيس العشيرة، وهذا شرط الإسفاف فيه. لأن أهم عامل في تطوير الأدب وتجويده هو المشاركة الواسعة في استهلاك هذا الإنتاج و نقده. و لا يستبعد أن يخلف الانغلاق الطائفي آثارا نفسية، في المقدمة يأتي تنامي الشعور بالاحتقار الناجم عن اتساع ظاهرة الاستخفاف المجاني بإحدى الطوائف، ويكون هذا الاستخفاف عن طريق تقديم الآخر في صورة مضحكة، و التنادر بعادات عشيرته والتّفكه بأعرافها. و يحصل ذلك على أوسع نطاق و بشتى الوسائل السمعية و البصرية والشفوية دون أدنى وعي من الجميع بالمخلفات السيئة لمثل هذا السلوك. و تبقى هذه الدفائن مصدرا لتغذية الكراهية الطائفية، و تتحول بعد حين إلى مبرر مقنع

---

[1] – ينظر التعريب بين النظرية و التطبيق، أحمد بن نعمان،ط2،دار الأمة،الجزائر،1998،ص74(الهامش). و ينظر "خولة الإبراهيمي تؤكد قانون التعريب لم يغير من حال اللغة العربية":مسعودة بوطلعة، الشروق اليومية،العدد5924،03مارس2010،ص21.

[2] – ينظر قضايا ألسنية تطبيقية:ميشال زكريا،ص52.

لفقد الثقة في الآخر، و نصب العداء له، و تحيُّن فرص الانقضاض عليه. **و هو ما يحدث حاليا في الجزائر**[يقصد معاصرا]"[1].

[1] - التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص52-54.

المطلب الثاني: مظاهر الاحتكاك اللغوي.

اللغة العربية بتنوعيها الرفيع و الوضيع قد أثر كل منهما في الآخر، وهو مبحث قد أشبعه الدارسون بحثا. كما أثرت العربية في الفرنسية و تأثرت هي باللغة الفرنسية، وهو أيضا مبحث قد توسع فيه الدارسون. لذا سوف لن أقف عنده كثيرا، إلا بما يبين درجة هذا التأثير.

1- الاقتراض اللغوي ' Emprunt linguistique ' :

"من المسلم به أنه لا يمكن لأي لغة أن تخرج من الصراع اللغوي دون أن يتأثر قاموس مفرداتها اللغوية بنتائج هذا الصراع حتى في حالة التعادل[على الأقل في أداء الوظائف اللغوية] و تعايش كلتا اللغتين جنبا إلى جنب، فإن مفردات كل منهما يصيب بعضها نوع من التحريف والتدمير أو التسرب إلى اللغة الأخرى، كما تُصاب بعض مخارج الحروف بنوع من التحريف الصوتي نتيجة لنطقها بلكنة اللغة الأخرى خلال عملية الصراع اللغوي"[1].

إن الحرب اللغوية التي شنتها فرنسا على العربية كانت حربا في ميدانين:

أ- الحرب في الجسم الحي (الميدان) 'Guerre des langues in vivo' :[2] و كان محرك هذه الحرب ثقل المفاهيم التكنولوجية و العسكرية و الإدارية و غيرها الوافدة على العربية مع الاحتلال، و التي تولد عنها تعامل عفوي من طرف المواطنين، فالجزائريون وجدوا أنفسهم أمام زحف تكنولوجي كبير و نوع من الإدارة جديد، لا يملكون الوقت الكافي ليبحثون له عن مقابل مفرداتي في تراثهم الثري. فاعتمدوا الاقتراض العفوي من الفرنسية، حتى يواجهوا الواقع بمفاهيمه الحديثة، فدخلت كثير من هذه المفردات في العربية الفصحى والعامية، كما ظهرت عندهم جرَّاء ذلك تكييفات صوتية فرضتها اللغة الاستعمارية، فاقتراض العربية بتنوعيها من الفرنسية لا يمكن إنكاره. لكن كيف تم ذلك؟ و ما هو حجمه؟

---

[1] – علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص104.و ينظر من أسرار اللغة:إبراهيم أنيس،ط8،مكتبة الأنجلو المصرية،2003، ص98.

[2] – ينظر علم الاجتماع اللغوي: كالفي،ص112-113.ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p108.etp283
الحرب في الجسم الحي هي الحرب التي يخوضها المتكلمون، فتنعكس صراعاتهم عبر اللغة،عكسها الحرب في البيئة المصطنعة(المختبر).

إن المدَنِيين الفرنسيين لم يؤثروا في الجزائر إلا بعد سنوات رغم تزايد أعدادهم•. هؤلاء الوافدون الجدد على الساحة اللغوية الجزائرية، و بحكم احتكاكهم بالجزائريين ظهرت الكثير من الألفاظ غير العربية في الاستعمال اللغوي للجزائريين. مثل: ’الدومين‘ ’domaine‘ (أملاك الدولة الفرنسية)،’الفيلا‘ ’villa ‘(المسكن الفاخر)،’الكوليج‘ ’collège‘ (المدرسة)، ’البوسطة‘ ’poste‘ (مقر البريد)،’المير‘ ’le maire‘،’الكوموندال‘ ’commandant‘، ’گازارن‘ ’caserne‘،’كورس‘ ’la course‘،’ مستاتور‘ ’administrateur‘..

يذكر’ مونتانيو‘’Montagnier‘ سنة 1833، أن الفرنسيين شرعوا في إدخال عاداتهم و تقاليدهم على الجزائريين، فانتشرت نقاط احتكاك كثيرة: الكاباريهات، و المقاهي، والكابينات القراءة، والأمسيات الموسيقية، و محافل الماسونية. كما ظهرت السيدات الجميلات الرشيقات•• في المراقص و الألعاب. وأخذت المنتوجات الغذائية تكتسح السهرات و المآدب[1].. كما كان الاحتكاك اللغوي عن طريق المبشرين المتحمسين من الرجال والنساء أيضا، و هكذا توغلت المفردات الفرنسية في المعجم العربي كالمعجم الخاص بالخياطة وملحقاتها و بالإسعافات الطبية و الفلاحة و معداتها نتيجة تلك المشاريع ذات الطابع الاجتماعي خيري كما مر سابقا.

إن نقاط الاحتكاك هذه جعلت اللغة العربية الشفوية خصوصا، تستعير مئات الكلمات الإدارية و العسكرية و الفلاحية و المطبخية و غيرها، وتظيفها إلى معجمها الوظيفي. كما فعلت الأمازيغية مع آلاف الكلمات العربية التي أغنت بها تعابيرها[2].

• ففي سنة 1832 كان عدد الأوربيين عامة 4141 شخصا. إضافة إلى حوالي 680 فردا من الموظفين و زوجات الجنود و السُّواح. دون أن ننسى حوالي 520 شخصا من الجنود المسرَّحين. و بالتالي نحن أمام 5341 نسمة من المسيحيين في مدينة الجزائر سنة 1832. هذا مقابل ما لا يتجاوزون 10000 من الجزائريين بعد أن كان عددهم 100000 عند البعض و 70000 عند آخرين و40000 عند فريق آخر. ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص69-70.

•• بل هو جيش على حد تعبير عبد الجليل مرتاض لأن عددهن فاق عدد المعمرين بثلاثة أضعاف. ينظر" الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد الفرنسي":عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص444. نقلا عن الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمانيين:أبو العيد دودو، 1975،ش و ن ت، الجزائر،ص15.

[1] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص71.

[2] – ينظر "اللغة العربية في الجزائر (على عهد الاستعمار الفرنسي)":عبد المالك مرتاض، اللغة العربية، عدد ممتاز ، ص127.

لكن هذا الاقتراض العفوي لا تتميز به إلا لهجات المدن الكبرى، أما باقي مناطق الوطن الريفية منها و الصحراوية خاصة، فالعربية في تنوعها العامي بقيت على نقاوتها و حافظت على قربها من الفصحى[1]. وهذا يدل أن التوليد العفوي، بالاقتراض أو التوليد الداخلي، إنما هو حل لمشكلة معنوية ملموسة[2]، و هي ضرورة مواكبة الواقع اللغوي الجديد فيما لا يعرفه الجزائري، أما ما لا جديد فيه على الجزائريين فقد آثروا الاحتفاظ فيه بلغتهم الأصيلة.

يقول 'عبد المالك مرتاض':" كان الفلاح الجزائري «..» من أرقى الفلاحين على الأرض «..» و **كانت عَرَبيَّتهم أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية، فلم يكن ينقصها إلى الإعراب** «..» و **حتى المصطلحات التي كانوا يصطنعونها في زراعتهم و حصادهم كانت فصيحة في معظمها، مع تطعيمها ببعض المصطلحات الأمازيغية الأصل**"[3].

إن الاقتراض لم يكن من الفرنسية نحو العربية فقط، بل كان حتى من العربية نحو الفرنسية. لأن "اللغة الغالبة تعمد في العادة إلى خصمها المقهور، فتمتص منه ما تحتاج إليه«...» ومن المقرر أن اللغة المقهورة تترك في اللغة الغالبة آثارا كثيرة في مختلف المظاهر وخاصة في المفردات.."[4]. بل "ينال اللغة الغالبة كثير من التحريف فتبتعد في أصواتها ودلالتها و أساليب نطقها عن صورتها الأولى، و يصل هذا البعد إلى أقصى درجاته إذا كانت اللغة المقهورة من فصيلة لغوية أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة"[5]. و هو سبب تأثير العربية في الفرنسية.

و هذه الحقائق تأكدت ميدانيا لأن " الكلمات الفرنسية القادمة من اللغة العربية تقع في المرتبة الخامسة من بين اللغات التي استعارت منها الفرنسية كلماتها «..» وهكذا تبين أنه **من**

---

[1] – ينظر " وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز، ص248.(الهامش).

[2] – ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p237 .

[3] – "اللغة العربية في الجزائر (على عهد الاستعمار الفرنسي)":عبد المالك مرتاض، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص132.و يواصل القول:..فكانوا يستعملون المنجل و الحصاد و الدِّراس و المحراث و الحرث والرَّحبة (للبيدر)، و المذراة و الفأس و القادوم و الشبكة والقفّاز و الصّبّاعيات(وهما عبارة عن قصبتين تتخذان في الخنصر و البنصر لدى الحصاد لوقاية الأصبعين من أذى المنجل الذي قد يقطع أطرافا منهما عند التهامه سوق الزرع..).

[4] – فقه اللغة:علي عبد الواحد وافي،ط7،دار نهضة مصر للطبع و النشر، مصر ،ب ت،ص115-128.

[5] – علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص108.

بين 8088 كلمة أجنبية الأصل في الفرنسية توجد 420 كلمة ذات أصل عربي.."[1].

تقول السيدة 'هـ. والتر': " لم يقع للفرنسية ما وقع للإسبانية التي وجدت نفسها في احتكاك يومي مع العربية لمدة طويلة جدا، لا تقل عن سبعة قرون بالنسبة لجنوب شبه الجزيرة [الإيبيرية]، ومع ذلك فإن الفرنسية استعارت كمية كبيرة من الكلمات العربية واحتفظت بها. وأقرب هذه الألفاظ حضورا في الذهن، هو - بلا شك - تلك الكلمات التي جاءت إلينا عن طريق شمال إفريقيا خلال فترة الاستعمار"[2]. و من الحقائق اللسانية الاجتماعي أن سبب عجز الفرنسية أمام العربية؛ هو كونهما لا ينتميان إلى فصيلة واحدة، إذ "..تصعب عملية الانصهار اللغوي في بوتقة واحدة بين اللغات المختلفة في فصائلها اللغوية عن بعضها البعض، كما حدث في محاولة فرنسا طمس هوية الشعب الجزائري بتغيير لغته العربية و استبدالها بالفرنسية، وفشلها في تحقيق ذلك نتيجة لاختلاف الفصيلة اللغوية لكل منها «..» حيث تنتمي اللغة العربية إلى الفصيلة السامية، بينما تنتمي اللغة الفرنسية إلى الفصيلة الهندوأوربية"[3].

ب - الحرب في البيئة المصطنعة(المختبر)' Guerre des langues in vitro':[4]
وأخطرها كان تأليف الكتب المدرسية و كتابة القرآن و الكتب الدينية بالعامية.

إن جماعة فرنسية من اللغويين، ابتكرت ما أسمته 'اللغة العربية الحية'، و هي اللهجة العامية الجزائرية، لتقابل به ما كانت تسميه 'اللغة العربية الكلاسيكية'، و التي هي العربية الفصحى، ونشط بعض أعوان الإدارة الفرنسية- من الجزائريين مزدوجي اللغة- بإشراف

---

[1] -"صور من رحلة الكلمات العربية إلى الفرنسية":عبد العلي الودغيري،مجلة اللسان العربي،المغرب،العدد49السنة 2000،ص5-7. و يذكر أن السيدة هـ. والتر في كتابها "Aventure des mots français venus d'ailleur" "ذكرت أنه لو أضيفت المشتقات إلى الأصول العربية البالغ عددها 420 –فيما ذكر من قبل–لبلغ مجموعها ثلاثة أضعاف العدد المذكور أو أربعة أضعاف".

[2] – المرجع نفسه،ص8-17. من الأمثلة الواردة:flouss,gourbi,smala, toubib, maboul,clebs,bled و هي على التوالي:بلاد، كلاب، مهبول، طبيب،زمالة (تجمع من الخيام يأوي العائلة،أو الجماعة المرافقة للأمير في تنقلاته)، كوخ، فلوس.كما قدمت الباحثة أيضا أمثلة لمفردات اللباس والنبات والحيوان والأطعمة والمفردات العلمية والتقنية وأسماء أمراء العرب: *Calife*. *Chérif .Sultan*(المنحدر من سلالة النبي).*Caid. Vizir . Émir*. و ينظر من أسرار اللغة:إبراهيم أنيس، ص100.

[3] – علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص106.و ينظر المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي:رمضان عبد التواب، ط3،مكتبة الخانجي،مصر،1997، ،ص177.

[4] – ينظر علم الاجتماع اللغوي: كالفي،ص112-113.ينظر.La Guerre des Langues:Calvet,p108et283

المستشرق الفرنسي 'هنري بيريس''H.Peres'، في وضع **كتب مدرسية باللهجة العامية الجزائرية، فكانت خليطا من البربرية و العربية و التركية و الفرنسية و المالطية وهذا ما كرس الاقتراض أكثر**، و اعتبروها هي اللغة العربية الحية[1]. **و من الغريب أن من كُتُب الدارجة ما ألفه 'جون فرعون'• و أصبح هو المصدر الأساسي للمراحل القادمة**[2].

و من الاقتراض المبرمج الذي تعمد الفرنسيون إحياءه و استعماله، بعض الكلمات التي تكرس الدُّونية و التبعية. مثل: القايد، البايلك، الشيخ، الخماس، المرابط، الدرويش، و الدوار. بل بعضها دخل اللغة الفرنسية مثل كلمتي الخماس و القوربي[3].

فالتحريف الذي مس معجم العربية كان مخططا له، و قد **تعدى التحريف المعجم إلى النحو و الصرف**، وهو شر ما بُليت به لغة الضاد على يد فرنسا، في **محاولة لإلحاقها باللغات البائدة، و حيلتها في ذلك اعتماد قواعد نحوية و صرفية، تُعلَّم بالفرنسية، و بنفس المصطلحات الخاصة باللاتينية**، فمثلا عوضوا: المنادى بـ:' le vocatif 'والمفعول به بـ ' accusatif ' و المضاف إليه بـ ' Le génitif '[4].

هذه المحاولة الفرنسية للتدخل في القاموس العربي و التركيب والصرف و غيرهم، تسمى في قاموس السياسة اللغوية بـ'الاشتغال على اللغة'' L'action sur la langue '[5].

إن العزلة الاجتماعية للأمازيغية في مناطق نائية كجبال القبائل و منطقة بني ميزاب والتوارق؛ ساعدها على تكوين أمن لغوي. يقول 'عبد الفتاح عفيفي': "تساعد عوامل العزلة الاجتماعية و عدم الاتصال و الاحتكاك المباشر بين مختلف الأقاليم على حماية اللهجات المحلية

---

[1] – ينظر" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز، ص237.

• أحد الأقباط المصريين استقدمه أحد الأساتذة الفرنسيين لما عين على رأس الهيئة التعليمية في الجزائر و ألف مصنفا له في النحو العربي خاص باللهجة المحلية. و قدكان والد جون فرعون في الجيش الفرنسي،كما اصطحب معه أستاذا كبيرا من مواليد مصر أيضا وهو:يوسف يعقوب. ويقال أن اسمه جواني فرعون Jianny Pharaon.ينظر دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاستعمار:جمع و ترجمة محمد يحياتن،منشورات المجلس العلى للغة العربية،المؤسسة الوطنية للفنون المطبيعية،2005، ص15.

[2] – ينظر"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر ":مصطفى الهشماوي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص284.

[3] –ينظر " الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد الفرنسي":عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص447.

[4] – ينظر" مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها":صالح بن القبي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص211-212.

[5] – ينظر السياسات اللغوية: كالفي،ص113.

من عوامل الصراع اللغوي"[1]. و هذا ما يدل على محدودية المقترضات خاصة في القرى والصحراء الجزائرية، و التي لو تمكنت فرنسا من غزوها لغويا لما تأخرت. فلقد "كانت العامية قبل الاستقلال راقية غير مشوهة قريبة جدا من الفصحى، و لم يتسرب لها التشويه إلا في عهد الاستقلال بحيث صارت لهجة مسخا، خليطا من الكلمات العربية و الكلمات الفرنسية"[2].

2- *النسخ اللغوي' Le Calque linguistique':*

أن اللغة العربية تقهقرت عن موقع الريادة مرغمة، و انبرت العاميات للحفاظ على الشخصية الوطنية. رغم أن العاميات لم تحض بالتدوين، ولم يفسح لها المجال الواسع في الإدارة و الاقتصاد و غيرهما. ولكن مظهرها العام في فترة الاحتلال يلخصه 'عثمان سعدي' فيقول:" إن العامية أو اللهجات بالجزائر قريبة من الفصحى و بخاصة في الريف بسبب بقاء الريف بعيدا عن التأثير الفرنكفوني. و قد عبرت و لمدة قرون عن مقاومة الشعب للعدو، و عن وجدان الناس، و كانت قبل الاستقلال أصفى منها بعده"[3].

النسخ في الحقيقة تعبير عن مقاومة العربية للمد اللغوي الفرنسي، و يمكن أن نرصد بعضا من الأمثلة له، و من ذلك:'الرَّيْ بو بليك' اقترضت من 'rue publique' و نسخت في الكتابات إلى 'الطريق العام'. و 'passeport' نسخ إلى 'جواز السفر' أي بتحوير دلالي عن 'جواز الميناء'.و 'salle de classe' نسخت إلى 'قاعة الدرس'.'chambre à coucher' نسخت إلى' غرفة النوم'. و'fin de la semaine'نسخت إلى 'نهاية الأسبوع'..

3- *التداخل اللغوي ' Interférence linguistique':*

لقد ظهر التداخل اللغوي- على وجه الخصوص- عند من ساهم في الحربين العالميتين من **جميع الطبقات الاجتماعية الجزائرية**، و هذه الطبقات هي[4] :

---

[1] – علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي،ص128.

[2] – "اللغة العربية و لهجاتها المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال و بعده":عثمان سعدي، الفصحى و عامياتها، أعمال الندوة الدولية2007، منشورات المجلس العلى للغة العربية،2008، ص111.

[3] – المرجع نفسه،ص124.

[4] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج2،ص197.

أولا : **جماعة النخبة** الذين انضموا إلى فرق المشاة . و قد كان عددهم قليلا.
ثانيا : **أهل الجاه و شباب الأسر الكبيرة،** الذين انضموا إلى فرق 'القومية' الخيالة .

ثالثا : الرماة الذين عملوا كجنود، و كانوا في وقت السلم خماسة أو عمال مزارعين.

رابعا : **أبناء الأسر البسيطة** الذين شاركوا في الحرب لأسباب اقتصادية .

خامسا : أولئك **الذين ليس لهم مأوى أو مهنة** دائمة.

كما لا نستثني المهاجرين بسبب الفقر. أما الفئات الأخرى التي ظهر عندها التداخل اللغوي، و كان احتكاكها بالفرنسيين أقل حدة، هم فئة النازحين من الريف نحو المراكز الاستعمارية الصغيرة كالقرى و المدن الكبيرة، و كانت هذه العلاقات بالنسبة لجزائريين حسب رأي 'أجيرون' 'Ageron': **"بداية للتقدم السريع نحو العالم الحديث"**[1].

من أمثلة انتقال السمات بين الفرنسية و العربية عند التداخل اللغوي؛ انتقال السمات الصوتية عند التداخل الصوتي، مثل انتقال المجهور B دون المهموس P في 'bon pour' فأصبحت في العربية 'بون بور'. و مثلها انتقال تفخيم 'T' لا ترقيقها في '**T**ravail' و'**T**able' فأصبحتا '**ط**رافاي' و' **ط**ابل'، و أصبحت منطقة 'عين الـ**تـ**ين' تعرف بـ'عين الـ**ط**ين'.أما انتقال السمات الصرفية، فمثاله الأخطاء الشائعة في التأنيث و التذكير بين العربية والفرنسية في "هذه الشمس و هذا القمر" فتنقل إلى الفرنسية خطأً بالشكل التالي " voici **la** soleil et voici **le** lune". والصحيح "voici **le** soleil et voici **la** lune". كما قد تنتقل السمات في التداخل التركيبي يظهر مثاله في التعدية بحرف الجر في قولك " انظر **إلى** السيارة" فعند نقلها إلى الفرنسية يجب تجريدها من حرف الجر فتقول: " regarde la voiture" و ليس "regarde **à** la voiture ".

4- ***<u>الاختلاط اللغوي 'Le Mélange linguistique':</u>***

إن استعمال بعض الجزائريين لغة العدو رغم معرفتهم للغة الوطنية له دلالات اجتماعية ساهمت نشاطات الفرْنسة في ظهورها. فقد لاحظ الكاتب 'بوجولا' سنة1844م، وجود مجتمعين متناقضين في العاصمة؛ مجموعات جزائرية تسكن أكواخا كالحيوانات تحيط بها الروائح

[1] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب،د ط،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985،ص84.

الكريهة، و **يرطن فيها بعض الفقراء بكلمات فرنسية**، ومجموعات فرنسية تسكن أحياء راقية[1]. ولعل اللاشعور الفردي و الجمعي تحرك لإجراء مقارنة، لأن التنطع ببعض الكلمات الفرنسية تعبير عن الرغبة في مضاهاة الآخر.

كما أن تلك الحيل القذرة التي توسلت بها فرنسا للتغرير بالجزائريين لفرنستهم، أسهمت في ظهور الاختلاط اللغوي. و كانت جماعة النخبة أبرز من عانى من هذه الظاهرة اللغوية، وساهم في نشرها. و قد مر سابقا الحديث عن فشل بعثتهم للحج .

و يؤكد ‘عثمان سعدي’ على أن الاختلاط لم يكن يشكل ظاهرة، فيقول:" قبل الاستقلال كان الجزائريون يناضلون للتخلص من الاستعمار و اللغة الفرنسية أداته الرئيسية فيتكلمون لهجة صافية، فحتى المتعلمون منهم بالفرنسية إن استعملوها تكلموها، و إن استعملوا اللهجة الجزائرية تكلموها صافة غير مخلوطة"[2]. و حتى إن ظهر الاختلاط فهو على مستوى الفرد لا الجماعة. لذلك الثنائية لا تعبر دائما عن التناغم الثقافي عند جماعة النخبة، بل قد تكون تنازعية؛ حين يشعرون بمركب نقص نحو العربية. وهو ما يرويه ‘غوتيي’ من أن البرجوازية الجزائرية بدأت تتأسف على جهلها باللغة العربية؛ حيث قال أحدهم لزميله الفرنسي في المجلس البلدي بالعاصمة:"أنني أشعر بالخجل من عربيتي"[3]. فهذه التوبة من الجريمة اللغوية التي تجنت بها جماعة النخبة على اللغة العربية، تعكس بحق أصالة الجزائريين و شدة تمسكهم بالثوابت الوطنية كما أكدت الدراسات الاجتماعية حول الشعب الجزائري.

---

[1] – ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص243.

[2] – "اللغة العربية و لهجاتها المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال و بعده":عثمان سعدي، الفصحى و عامياتها، أعمال الندوة الدولية2007،،ص112.

[3] – الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص297-298.

المطلب الثالث: الوظائف اللغوية لمختلف اللغات.

ينتج عن تمايز الوظائف اللغوية الاجتماعية للغات على الامتدادات الجغرافية، عدم انتظام اللغات بعلاقة القوة و بالتالي عدم خضوعها لقانون "الغلبة تكون للأقوى"[1]، فاللغة العربية و اللغات الأمازيغية واللهجات العامية العربية لا تخضع لقانون القوة، و هو ما يفسر تعايشها طيلة قرون. في ذات الحين سوء توزيع الوظائف على اللغات يجعلها تنتظم في علاقة قوة وتدافع كما حدث بين اللغة العربية و غريمتها الفرنسية. فكيف كان توزيع الوظائف -التي حددها 'ستيوارت' 'Stewart' و نقلها عنه 'كوبر' و 'عبد الفتاح عفيفي' كما مر سابقا- بين مختلف اللغات في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين؟

1 – الوظيفة الرسمية:

لقد ثبت تاريخيا، أن اللغة العربية كانت هي لغة التعليم ولغة الجمهور في عهد الخلافة العثمانية، في حين كانت التركية هي اللغة الحكومية الرسمية، أما الفرنسية فقد كانت لغة الدبلوماسية، والنخبة الجزائرية أيضا[2]. أما التبادل التجاري فسيطرت عليه لغة الخليط (لغة فرانكا•)[3]. فماذا يعني هذا التوزيع للوظائف من منظور اللسانيات الاجتماعية؟ وهل استقر هذا الحال حتى قبيل ظهور جمعية العلماء سنة 1931م ؟

إن اللغة العربية كانت لغة رسمية للبلاد، و هي اللغة الأم لأغلبية الشعب الجزائري خاصة الناطقين بها[4]. لكنها لم تكن تؤدي كل الوظائف المنوطة باللغة بالرسمية، كاعتمادها في كل الأنشطة السياسية و الثقافية. فاللغة **العربية قبل الاحتلال لم تكن لغة رسمية دستوريا (قانونيا)**، لأن هذه الوظيفة كانت مسندة للتركية فقط، ثم بعد الاحتلال أسندت للغة الفرنسية.

---

[1] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص155.

[2] – ينظر أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر:أبو القاسم سعد الله،ج1، ص246-247.

• لغة الفرانكا:لغة تقريبية نشأت في19ق في البحر الأبيض المتوسط، بنيتها النحوية إيطالية و مفرداتها خليط من دول المتوسط. سميت بـ"Lingafrenca". فهي بسيطة في نحوها و محدودة في معجمها، وظيفتها تواصلية بين تجار المتوسط، ليست لغة أمًا للناطقين بها.

[3] – ينظر محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال):أبو القاسم سعد الله،ص159.

[4] – ينظر ليل الاستعمار :فرحات عباس، ص58. و ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص20.

وفي كلا المرحلتين لا يعكس وضعها الدستوري حالها الميداني؛ فهي لم تخضع للدسترة رغم كونها لغةً أمًا لمعظم السكان. لذا **بقيت وظيفة اللغة العربية الرسمية محصورة في الوظيفة الرسمية العملية، و إن لم يحددها الدستور أيضا لا قبل الاحتلال و لا بعده.** فهي بقيت لغة التعامل اليومي (في البيت و الحقل و السوق و تسميات الأشخاص و الشوارع و المدن..) ولغة التعليم و حتى الإدارة ولكن بشكل محدود جدا، فيما لا يمكن للفرنسية القيام به كتوثيق بعض من العقود والفتاوى و تعليم القرآن.. و رغم كل هذا الإجحاف التي لاقته من غريماتها الفرنسية؛ إلا أنها نجحت في التعبير عن الوظيفة الرسمية الرمزية للجزائريين - رغم عدم دستوريتها لا قبل و لا بعد الاحتلال- لأن الجزائر كانت منذ الفتوحات الإسلامية تعتز بالانتماء القومي العربي.

فاللغة العربية بهذا الواقع لم تكن لغة رسمية دستورية، و كانت لغة رسمية عملية ورمزية، و إن لم يحدد الدستور ذلك و لم يعلن عليه، و هذا ينسحب على فترة ما قبل الاحتلال أما بعد الاحتلال فقد حاول الاحتلال أن يسحب من العربية الوظيفة الرسمية بمفاهيمها الثلاث. "لأن اللغة الدستورية أو القانونية ترمز إلى الذاكرة المشتركة و إلى تطلعات المجتمع (أو الأغلبية فيه) و طموحاتهم و إلى ماضيهم و مستقبلهم. فعندما ينظر المجتمع إلى اللغة بأنها رمز عظمته و قوته فإن تحديد تلك اللغة بأنها اللغة الرسمية يعزز شرعية سلطة الحكومة"[1]. و لعل هذا ما عجزت عن تحقيقه اللغة التركية و خططت الفرنسية للوصول إليه.

لذا سعت الإدارة الفرنسية إلى فرض اللغة الفرنسية على المجتمع الجزائري لغة رسمية بالمفاهيم الثلاث. فهل نجحت في ذلك؟

"يشكل إعلان أي لغة بأنها اللغة الرسمية «..» مثالا لرسم السياسة اللغوية «..» و على العكس من ذلك فإن اللغات الدستورية الرسمية غالبا ما يتم تجاهلها"[2]. لكن **الإدارة الفرنسية سعت إلى دسترة لغتها و أعلنت عنها لغة رسمية وحيدة في الجزائر خلافا للعادة، لاقتناعها بأنها تسبح عكس التيار اللغوي السائد** في الجزائر، فلو كان للفرنسية امتداد لغوي في العمق التاريخي و الاجتماعي الجزائري؛ لما احتاجت فرنسا لدسترتها، و الإعلان عن ذلك. ثم إن هذا

---

[1] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر، ص189.

[2] - المرجع نفسه ،ص188.

الإعلان يؤكد وجود سياسة لغوية فرنسية مبيتة، تتخفَّي وراء قرارات فوقية تتعسف في التعامل مع نظام اللغة الداخلي و الخارجي.

فالإعلان عن اللغة الرسمية يعني إنكار شرعية التباين اللغوي في المجتمع[1]، رغم كون التباين واقعا ملموسا على الأقل بين اللغة العربية و الفرنسية. ولكن الأحادية اللغوية هي واحد من المزاعم التي حاولت فرنسا تأكيدها للعالم، من خلال إعلانها عن دستورية اللغة الفرنسية في الجزائر؛ فالجزائر- بهذا الإعلان- فرنسية لا عربية و لا أمازيغية طالما لا يعترف الدستور بهما. رغم أن ذلك استبعاد للهوية اللغوية خاصة، و للشخصية الجزائرية عامة.

لكن هذه القرارات الإجبارية لم تغيّر واقعا مستقرا منذ قرون، لأنها قرارات لا تحترم نظام اللغة في تعاملها مع المجتمع. فقرار 'شودان' - الذي يمنع الشعب الجزائري من تعلم لغته -**قرار لم تشهده شعوب قبل الشعب الجزائري بهذه الكيفية**[2]**!**

و كانت قبله الإدارة الفرنسية قد أصدرت قرارات تجتث العربية و تعليمها من كل الجغرافيا الجزائرية، ومنها قرارات **اغتصاب أملاك الوقف؛ المصدر المالي الإسلامي و الغذاء الوحيد للتعليم و الترقية الاجتماعية**[3].

لكن رغم صرامة الإدارة الفرنسية في تطبيق هذه القرارات لم تستطع أن تمنع اللغة العربية من أن تجد طرقها إلى لسان الجزائريين. مما يجعل دسترة اللغة الفرنسية لا يغير شيئا من الوظيفة الرمزية للغة العربية في الضمير الجمعي الجزائري. بل **الدسترة أدخلت اللغة الفرنسية - في علاقتها بالعربية و الهوية الوطنية- في حالة صراع و تصادم لا في حالة انسجام و توافق؛** لأن اللغة الرسمية أصبحت رديفا للإقصاء و التهميش بأخذها لطابع السلطة دون احترام خصوصية الآخرين، مما جعل الدفاع عن العربية دفاعا عن الذات[4].

---

[1] - ينظر المرجع السابق ، ص189.

[2] - ينظر"محاربة الاحتلال للغة و الثقافة العربية و موقف الحركة الوطنية":محمد لحسن زغيدي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص389.

[3] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص74-77.

[4] - ينظر "اللغة الرسمية و الهوية الوطنية في ظل المجتمع المتعدد اللغات":مجاهد ميمون، مجلة حوليات التراث،جامعة مستغانم،عدد6، 2006.ص60.و ينظر المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي:رمضان عبد التواب،ص172.

2- الوظيفة الإقليمية:

قبل الاحتلال لم يخضع تقسيم الجزائر إلى أقاليم و عمالات على أساس لغوي. لذا لم تكن هذه الوظيفة اللغوية مطروحة على الساحة الجزائرية، لكن بدخول الاستدمار حاول أن يبقي الوضع على حاله مع تلوين هذه الأقاليم و العمالات باللون اللغوي أيضا؛ فمثلا عمد إلى تكريس المنطق اللغوي في مجموع بلاد زواوة و سماها القبائل، و مثلها منطقة الأوراس. والتوارق.. وقد وجدنا من المبشرين من يكرس ذلك؛ فأحد القساوسة ألقى السلام بالفرنسية على طفل أمازيغي في منطقة القبائل، فرد عليه السلام بالعربية، فقال له القس:" لا تسلم علي بلغة ليست لغتك، بل سلِّم علي بالقبائلية"[1].

3- وظيفة الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع:

سيطرت عليه اللغة العربية بمظهرها العامي، و الذي لا يمثل الشكل الرسمي للغة العربية. فهي تستعمل للتواصل الأفقي بين لأفراد الرعية و لا تؤدي وظيفة التواصل العمودي في المقامات الإجلالية مثل اللغة العربية في مظهرها فصيح. و في الحقيقة تمايز الوظائف اللغوية الاجتماعية للغات في الجزائر، جعل اللغة العربية الفصحى تنفرد بوظيفة اللغة الوطنية، في مقابل ذلك انفردت العاميات و الأمازيغية بوظيفة التواصل العادي.

فالتباين الوظيفي بين الفصحى و عامياتها ليس غريبا؛ لأن اللغة **الفصحى في أية أمة تلعب دور الملكة التي لا تقبل التعدد، أما اللهجات واللغات الشعبية المحلية فهي تلعب دور الخادمات** المساعدة للملكة في الشؤون العادية اليومية غير الرسمية. فإذا كان من الممكن عند الضرورة، أن تقوم الفصحى بأعمال الخادمات، فلا يمكن أن يحدث العكس، إذ يمكن أن تنوب الواحدة عن الأُخَر دون أي ضرر على الأمة، بينما لو أصبحت الخادمات ملكات، فيعني أن يصبح لكل ملكة شعب تحكمه أو تحكم باسمه، و هذا في الحقيقة دعوة لترسيم الدارجات العربية وغير العربية، وهو انتحار لوحدة أي شعب على وجه الأرض، و هو انتحار لصالح الاستعمار

[1]- الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران، ص120. نقلا عن الشهاب:م5،ج5، جوان 1929، ص15.

الفرنسي وحده في الجزائر[1]. لأنه "إذا تواجدت في نفس المجتمع لغات متغايرة وظائفها الاجتماعية أمكن تنشيطها بإدخالها في علاقة قوة. و عملا بقانون «الغلبة تكون للأقوى» يلزم أن تحيى اللغة الكبرى العالمة لكثرة وظائفها، و تنقرض الصغرى العامية لوظيفتها الأحادية ولا ينعكس أبدا استنادا إلى مبدأ الاقتصاد"[2]. أي يمكن أن نسند للغة العربية الفصحى الوظائف التي أسندت للعاميات و لا يمكن العكس، بأن تسند للعاميات وظائف اللغة الوطنية لما في ذلك من جهد و كلفة تناقض مبدأ الاقتصاد اللغوي. لأن اضطلاع العاميات والأمازيغية بخمس وظائف إضافية•، فيه جهد كبير، في حين إسناد وظيفة التواصل الوحيدة المنوطة بالعاميات والأمازيغية إلى اللغة الوطنية فيه جهد أقل تكلفة. فإحلال العاميات أو الأمازيغية محل اللغة الوطنية مع وجود اللغة الوطنية، فيه قفز على هذه الحقائق اللسانية الاجتماعية.

لقد دفع حرص فرنسا على ترقية لغتها - في مستعمرتها الجزائر- إلى محاولة جعل اللغة الفرنسية لغة التداول الواسع العمودي(بين الحاكم و المحكوم) و الأفقي(بين المحكومين فيما بينهم). يقول 'كوبر':" قد يندر وجود أمثلة تعكس رسم سياسة لغوي[لغوية] متعمد يهدف إلى تحقيق الاندماج الأفقي في المجتمعات دون أن يكون جزءا من مخطط آخر يهدف إلى تحقيق اندماج عمودي بين لغة الحاكم و المحكومين أيضا"[3].

يقول 'كوبر' عن جهود المرحلة الانتقالية التي مرت بها اللغة العبرية:" لم تكن تهدف إلى جعلها لغة مشتركة لجميع اليهود. رغم أن هذا الأمر هو نتيجة انتقالية حتمية من أجل إرجاعها إلى وضعها السابق لغة الحياة اليومية لليهود الفلسطينيين"[4]. و هذا ينطبق على الفرنسية أيضا؛ فكان هدف فرنسا - في فترة الاحتلال- الوصول إلى جعل اللغة الفرنسية ذات وظيفة الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق واسع، مرورا بفترة انتقالية، تجعل اللغة الفرنسية

---

[1] - ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية : أحمد بن نعمان ص172.

[2] - التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي،ص156.

• هي:الوظيفة التعبدية، و التثقيف الوطني، و الانسجام الاجتماعي، و الاندماج النطاقي، والتواصل الدولي، على رأي الأوراغي. ينظر المرجع النفسه، ص151-153.

[3] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص195.

[4] - المرجع نفسه،ص194.

لغة فئة معينة من الجزائريين، خاصة العاصمة و ما حولها، ثم لغة كل المواطنين إذا نجحت في خطتها الإدماجية.

و لكن رغم ذلك ظلت العربية لغة المجموعة الأساسية، لأن بها يبنى مخيال الفرد وعالمه العاطفي[1]. و احتكرت وظيفة الانسجام الاجتماعي، وهي وظيفة تقوم على وظيفة التعبد و وظيفة التثقيف الوطني. فالعربية تؤدي وظيفة الانسجام الاجتماعي لأن كل أفراد المجتمع الجزائري بحاجة إلى العربية. رغم تحقق الانسجام الاجتماعي باللهجات العامية المتفرعة عن العربية، لكن باعتبار وظيفة التواصل العادي لا باعتبار وظيفتي التعبد والتثقيف. أما اللغة الأمازيغية فلا تقاسم العربية هذه الوظيفة، لأن القبَلية تورث الانقسام وهو نقيض الانسجام[2].

4- وظيفة الاستعمال الدولي:

أسندت للغة الفرنسية في فترة الاحتلال و خاصة في التعامل مع غير العالم العربي. فقد كانت اللغة الفرنسية هي لغة الدبلوماسية و التجارة الدولية و السياحة و غيرها.

ولكن رغم ذلك، ظلت اللغة العربية تتميز بوظيفة الاستعمال الدولي، لأن اللغة العربية الفصحى تتميز بكونها جامعة للهجاتها داخل الدولة وخارجها، بل لا يمكن التعرف على بيئة المتكلم إن تكلم العربية الفصحى. لذا فهي تؤدي وظيفة الاندماج الاجتماعي، إذ تدل على الانتماء القومي و الانتماء الوطني[3].

و لقياس هذه الوظيفة اللغوية وتحديدها نعتمد أربعة معايير متضافرة هي[4]:

1- مراعاة عدد الناطقين بهذه اللغة لتحديد رتبتها العالمية: و العربية بهذا المعيار تحتل موقعا هاما يفوق موقع الفرنسية.

---

[1] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية: خولة الإبراهيمي، ص20.
[2] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي: محمد الأوراغي، ص153.
[3] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية: خولة الإبراهيمي، ص20.
[4] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي: محمد الأوراغي، ص153-154.

2- وضعها القانوني في المنظمات الدولية: و العربية- بعد سقوط الخلافة الإسلامية- ليست لغة الرسمية في المؤسسات الدولية و الوكالات المتخصصة و لجانها الكبرى،خلافا للفرنسية.

3- وزنها الثقافي و القوة الاقتصادية لأهلها: و العربية بهذا الاعتبار هي لغة أحد أكبر الديانات السماوية الثلاثة، و كانت اللغة الأولى لحضارة العالمية لعدة قرون، أما من ناحية القوة الاقتصادية لأهلها و ثرواتهم الإستراتيجية، فيبدو أن العالم العربي، ما تعرض لموجة الاستعمار الحديث إلا لهثا وراء هذه الثروات. أما الفرنسية فهي و إن كان لها وزنها الثقافي و قوتها الاقتصادية إلا أن انتشارها اعتمد على القهر السياسي و العسكري أساسا في هذه الفترة.

4- النسق اللغوي المطبق لهذه اللغة في التواصل بقواعده المعيارية، عند جميع الناطقين بهذه اللغة، وإن كثر عددهم أو تباعدت مواطنهم. و العربية في استعمال جميع الناطقين بها تحافظ على نفس النسق الصوتي و الصرفي و التركيبي، فيحصل التواصل بغير واسطة ترجمان أو لغة ثالثة. و للفرنسية نفس الحظوة ولكنها أقل انتشارا في العالم من العربية آنذاك.

وفقا لهذه الاعتبارات الأربعة تنفرد اللغة العربية بوظيفة التواصل الدولي، و تليها الفرنسية ولا تشاركهما فيها الأمازيغية أو العاميات. و لعل اللغة العربية تفوقت على غريمتها الفرنسية خارج حدود الجزائر لأن للعربية وظيفة الاندماج النطاقي•، فهي اللغة المستعملة بوظائفها الثلاث السابقة•• في 22 بلدا مجمل مساحتها حوالي 14 مليون كلم^2، و لا تستطيع لهجة عامية أن تشارك اللغة العربية في هذه الوظيفة بسبب قطرية اللهجة، كما لا تستطيع اللغة الأمازيغية ذلك أيضا نظرا لطابعها القبلي[1].

5- وظيفة الاستعمال اللغوي في العاصمة و ما حولها:

يقول 'عثمان سعدي' عن لغة العاصميين:" المعروف أن لهجة العاصمة في أي قطر تعتبر

• وهي ميزة اللغات التي تخطت موطنها الأصلي و انتشرت خارج حدودها بعامل القهر الثقافي أو السياسي، فأصبحت أداة للتواصل بين بلدان كثيرة، و أداة لوظائف التعبد و التثقيف الوطني و الانسجام الاجتماعي أو في أغلبها. ينظر المرجع السابق، ص153.

•• سبقت الإشارة إليها و هي:الوظيفة التعبدية، و التثقيف الوطني، و الانسجام الاجتماعي. ينظر المرجع نفسه،ص151-153.

[1] - ينظر المرجع نفسه، ص153.

أرقى من لهجات المناطق الأخرى و قد **شذت مدينة الجزائر التي تعتبر لهجتها أفقر لهجات الجزائر** و ذلك بسبب معاناتها من الوجود التركي طيلة ثلاثة قرون، و من الاستيطان الفرنسي و الأوربي طيلة قرن و ثلث قرن"[1]. فلم تكن للعاصمة لغة خاصة للتواصل في حدود العاصمة و ما حولها، رغم كون الجزائر عاصمة سياسية و اقتصادية للدولة و لها نفوذ اجتماعي كبير.

6- وظيفة الاستعمال الخاص بالمجموعات:

وهي وظيفة تضطلع بها العاميات العربية الجزائرية و الأمازيغية. لكن هذه العاميات العربية تثري معجم تداولها اليومي من لغتها المرجعية وهي الفصحى. في حين أن **الأمازيغية منذ الفتح الإسلامي ليس لها مورد تأخذ منه مفردات التداول اليومية سوى العربية الفصحى، ثم الفرنسية بعد الاحتلال الفرنسي** للجزائر و بعض الأقطار المغربية الأخرى[2]. لذا كانت للغة العربية وظيفة الوعاء الناقل لثقافة شعبية ثرية(الشعر و الطبخ و اللباس..) حيث شكلت الملجأ الأخير الذي يأوي إليه الجزائريون عندما هدم الاستعمار جميع البُنى بشكل منظم[3]. فوظيفة التثقيف الوطني و ترقية العاميات و الأمازيغية هي مهمة الفصحى لحمولتها الثقافية، و هذه وظيفة لا تنازعها فيها أي لغة من اللغات المحلية لافتقارها إلى النسق الحرفي لكتابة[4].

إن اللغة العربية الفصحى متعايشة بكيفية تكاملية مع اللهجات العربية المتفرعة عنها، بنفس الكيفية و الطريقة التي تتعايش و تتكامل بها مع اللغات الأمازيغية. لكن نظريا إذا تساوت لغات من حيث وظائفها الاجتماعية و اتحد مجالها الجغرافي، واشتركت في وظيفة التواصل العادي، و استوطن الناطقون بها نفس المنطقة، عندئذ تنتظم بينها علاقة القوة بميزان الكثرة، فتنتشر لغة الأغلبية و تندثر لغة الأقلية. و بناء على ذلك؛ فالذي يتهدد الأمازيغية في

---

1 –"اللغة العربية و لهجاتها المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال و بعده":عثمان سعدي، الفصحى و عامياتها، أعمال الندوة الدولية2007،، ص124.

2 – ينظر في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى:صالح لبعيد،ص56. نقلا عن سالم شاكر أن نسبة الإثراء بلغت 49% و قيل 65%. و ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان،ص186.

3 – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص20.

4 – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي،ص152.

الحقيقة هي اللهجات العامة لا العربية الفصحى[1]. خلافا لما روَّج له الاستعمار! ومن هنا كيف كانت العلاقات الوظيفية بين العاميات و الأمازيغية؟

قد تتغير وظيفة اللغة نتيجة عوامل نفسية عند الناطقين بها، كالخوف من السخرية أو إخفاء الانتماء القومي..[2]. و هذا ما ظهر جليا عند جماعة النخبة، في اعتمادها اللغة الفرنسية في تواصلها اليومي، كما مرّ في مبحث الثنائية اللغوية.

ولعل من دوافع مثل هذا السلوك دلالات السخرية و الدونية التي تربطها فرنسا باللغات الأخرى. يقول 'كالفي':" ومن هنا فإن كلمة تدل عل الجغرافيا ابتداءً«..» تبدأ شيئا فشيئا في أخذ معنى اجتماعي تحقيري، فيجنح التمييز الجغرافي إلى السخرية و التحقير، معتمدا في التحقير على اللغة الحاصرة [هي اللغة المحصورة بين عدد محدود من الناس] للآخر. إن هذا هو الأساس التاريخي لسخرية الفرنسيين مما يسمونه حكايات كورسيكية أو حكايات بلجيكية"[3]. ومن هذه الإشاعات التي حاصرت بها فرنسا استعمال الجزائريين للغة العربية الفصيحة أو العامية أو حتى الأمازيغية؛ الاستهانة بكل ما هو عربي، فأخذ المعمرون **يحقرون من شأن ما هو جزائري و عربي، في القول و العمل والتقاليد و الأزياء و المحيط**، فصوروا كل ما هو عربي ككائن قبيح، ناقص، غير صالح للتطور و من ذلك **قولهم:'الطبع العربي'، و'العمل العربي'، و 'الفوربي العربي'، و'البقرة العربية'، و 'التين العربي** أو البربري'..[4]. **وما هذا التحقير إلا تكريسا لروح الانهزامية، و عملا على إنهاك الجزائري نفسيا** بهذه الملفوظات المتفجرة، التي تقتل كل مبادرة نحو عمل لغوي راق في إطار قومي، و تسمم كل أجواء الجغرافيا اللغوية الجزائرية.

هذا عن استعمال العاميات. أما عن الأمازيغية، فالملاحظ حول وظيفة استعمالها ما يلي:

<u>أولا:</u> لم تقدم كتب التاريخ أرقاما لعدد الجزائريين الناطقين بها في زمن الاستعمار.

---

[1] – ينظر المرجع السابق، ص155.

[2] – ينظر علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي، ص129.

[3] – La Guerre des Langues:Calvet,p84 .

[4] – ينظر" مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها":صالح بن القبي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص211.

ثانيا: التنوع الجغرافي لانتشار الأمازيغية يقابله تنوع لغوي مدهش يصل إلى حد انتفاء التواصل بينها. وعدم التواصل بها خارج مناطقها و اعتماد العربية لغة مشتركة[1]. وهذا يعود إلى "الفروق الصارخة في الكلمات و المعاني بين لهجة الشاوية بالأوراس و بين القبائلية في جرجرة و بين لهجة البجاويين في بجاية و بين لهجة النمامشة في تبسة و بين لهجة التوارق بتمنراست و لهجة السيزاريين بتيبازة و لهجة بني ميزاب بغرداية و لهجة الندارمة بتلمسان ولهجة الحراكتة بأم البواقي"[2].

و هذا يؤكد انتفاء التواصل بين الأمازيغيات جزئيا و أحيانا كليا. فإذا اجتمع في المنزل الواحد القبائلي والشاوي و التارقي و الميزابي تواصلوا بلغة حضارية مشتركة ألا و هي اللغة العربية أو بواسطة ترجمان[3]. لذا فهي لم تحظ بالتقعيد و لا بالتوحيد وظلت محصورة في المشافهة فقط، أما الكتابة فتظل ظاهرة هامشية لا رسوخ لها حاليا[4].

فمستعملو اللغة القبائلية أو الشاوية إذا خرجوا خارج منطقة انتشارها لا يلجؤون إلى استعمالها في خطابهم إلا أن يكون القصد هو معرفة ما إذا كان المخاطب من نفس القبيلة. و هذا يشكل **ارتقاءً بوظيفة الاستعمال الخاص بمجموعات- بشكل غير رسمي- لتصبح معيارا للانتساب و العضوية للمجموعة**، و تصبح بذلك الأمازيغية عاملا لتحديد الهوية. و قد يضطر القبائلي أو المزابي أو التارقي إلى تجنب استعمال لغة المنشأ خارج حدودها، لأنه كالمسافر إلى بلد غيره. لذا هل يستعمل الأمازيغي لغة قبيلة أمازيغية أخرى داخل حدودها؟ وهل يتعلمون لغات بعضهم البعض؟

لا تتعلم قبيلة أمازيغية لغة أخرى، لأسباب أهمها[5]:

- كثرة الأمازيغيات و تنوعها بين قبائلية و شاوية و تارقية و ميزابية..
- تعلم غير لغة القبيلة يتنافى مع مبدأ "الاقتصاد اللغوي الجِبلي" في اكتساب اللغة.

---

[1] - ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص81.

[2] - فرنسا و الأطروحة البربرية : أحمد بن نعمان ص65. و ينظر التعريب في الجزائر:عثمان سعدي،ص196.

[3] - ينظر المرجع نفسه ،ص10. و ينظر التعريب في الجزائر:عثمان سعدي،ص195-196.

[4] - ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي، ص25. و ص53.

[5] - ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص80-81.

– قصور الأمازيغيات جميعا عن التواصل بها خارج حدود انتشارها، إذ لا تواصل وطني بها، فهي قاصرة عن أداء وظيفة التواصل الوطني.

– **لا تتميز لغة أمازيغية بحمولة ثقافية تحمل أهل لغة أمازيغية أخرى على تعلمها،** فالثقافة الأصلية لجميع اللغات القبلية في بلدان الشمال الإفريقي تشترك في السمات الثقافية و لا تتميز إحداها عن الأخرى.

فالإسلام في الجزائر مد بين قبائل الأمازيغ جسرا لغويا، بِلُغة استوعبت كل تراث الأمازيغ، لثراء معجمها و لقرب أصواتها من الأمازيغية، و لبساطة نسقها الكتابي. فانحسرت الأمازيغية شيئا فشيئا تاركة مجالها الحيوي ليتعرب كلية[1].

إن همزة الوصل اللغوي التي أقامها الإسلام بين الأمازيغيين، استحوذت فيها العامية العربية على حظ كبير، لأن اكتساب العامية يتم بالممارسة و ليس بالتمدرس المكلف جهدًا ووقتًا ومادةً. لذا تظهر جليا سيطرة العاميات على وظيفة التواصل، لأنه " إذا تقاسمت اللغة العامية واللغات الأمازيغية وظيفة التواصل العادي و نفس المجال الجغرافي كانت الغلبة للأوسع انتشارا في جهته، أو لِما كثُر الناطقون به"[2].

إن الاحتلال جعل وظيفة الاستعمال الخاص بمجموعات الأمازيغ أحد محاور سياسته اللغوية العدائية. فعندما سعى لنفض الغبار على الأمازيغية، بدعوى الحقوق اللغوية للأقليات، إنما كان يتخفى لتنفيذ أجندته التقْويضية للاستقرار اللغوية الذي تنعم به الجزائري منذ قرون. ولم تقف هذه اللعنة التي تريد فرنسا إلحاقها بهذا الوطن عند هذا الحد؛ بل أوقدت نار فتنة لغوية وعرقية حتى بين الأمازيغيين أنفسهم، بدعوى الثراء الثقافي الأمازيغي الواجب إحياؤه وتكامله.

يقول 'كوبر'في هذا السياق:"عندما تعترف الحكومة بلغة إحدى الأقليات في المجتمع بأنها اللغة القانونية الرسمية «..» فإن الحكام يمنحون الاعتراف الرسمي لتلك الأقلية بالمحافظة على سماتها المميزة لها"[3]. و في هذا السياق كان مسعى فرنسا لبعث اللغات أمازيغية - دون

[1] – ينظر المرجع السابق ، ص103.

[2] – المرجع نفسه ، ص155.

[3] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص189.

دسترتها- لما فيه من تأكيد على وجود سمات مميزة بين الأمازيغيين أنفسهم، و بينهم و بين العرب، و بهذا حمَّلت الإدارة الفرنسية الأمازيغية وظيفةً تشطيرية للوضع اللغوي الجزائري.

إن فرنسا كانت تستغل البعد الأمازيغي، لتجعل من منطقة القبائل منارة توثب الفرنسية نحو إفريقيا كلها. فإن هي نجحت في ذلك، فقد تخلصت من المقاومة اللغوية والحضارية معا. فإن لم تنجح رضيت بالتمايز اللغوي الذي كرسته داخل الجزائر وأمكن لها التسلل منه لتفتيت خريطة الجزائر إلى كيانات سياسية على أساس لغوي. يقول 'كوبر':" الحدود الإقليمية أحيانا يتم ترسيمها و إعادة ترسيمها بطريقة يمكن من خلالها زيادة التجانس اللغوي داخل الإقليم"[1].

إن ما حصدته السياسة الفرنسية كان معظمه لغير صالحها. لأن المساس باللغة المقدسة أو محاولة الالتفاف عليها بالأمازيغية، هو مساس بخصوصية الأمازيغيين، و بالرابط الذي يوحدهم قبل رابط العرق. لذا **كانت السياسة اللغوية الفرنسية الالتفافية في منطقة القبائل، سببا في السرعة المدهشة لانتشار اللغة العربية وسط الأمازيغيين** على حساب الأمازيغية، فكان تدمير السياسة اللغوية الفرنسية في تدبيرها؛ إذ نشَّطت الذاكرة الجماعية للسكان فاسترجعوا الماضي البهيج الذي عاشه الأمازيغ مع إخوانهم العرب، فتضاعف الشعور برمزية العربية، فانحسرت الأمازيغية وتخلت عن وظيفتها حتى في الحياة العملية، و رضيت أن تبقى لغة سمرٍ في البيوت فقط. فقد جاء في تحقيق صدر سنة 1913 أنه منذ 1892 إلى 1914م أي طيلة 25 سنة أصبحت اللغة العربية أكثر انتشارا عند الأمازيغيين، و أصبحت لغة التعامل والعلاقات الاقتصادية والنشاطات الاجتماعية، في حين انحسرت الأمازيغية في البيوت[2].

7-8- وظيفة استعمال اللغة أداة للتعليم و وظيفة استعمالها مقررا دراسيا:

يقول 'كوبر':" من المعتاد أن يفرض المستعمر لغته على النظام التعليمي للمستعمَر. ويمكن حدوث مثل هذا الفرض التعسفي حتى في المستعمرات الأحادية اللغة. كما حدث في

[1] - المرجع السابق،ص192.

[2] - ينظر الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران،ص187.

إيرلندا و تونس. وعلى الرغم من أن السياسة التي تم اتباعها كان لها تبريرا واضحا في حالة المستعمرات المتعددة اللغات كما في الهند و الكمرون"[1]. ولكن **فرنسا لم تفرض لغتها فقط بل فرضت حتى ثقافتها**. كتب 'جورج هاردي' -أحد الفرنسيين- كلمة يقول فيها:"إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا، و جعلهم أكثر ولاء و أخلص في خدماتهم لمشاريعنا هو **أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة**، و أن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، و بذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية و تقاليدنا. **فالمقصود إذن باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما نريد"**[2].

و عادة ما يتم تحديد لغة التدريس بقرار يشترك فيه السياسيون و رجال الأسرة التعليمية؛ إلا أن تحديد هذه الخيارات، كان من مهمة رجال السياسة الفرنسية و بعض من الخبراء الذين قدموا تقاريرهم حول الأوضاع اللغوية و غير اللغوية للجزائر حتى قبل احتلالها. و هذا يعني عدم إشراك الأسرة التعليمية الجزائرية في تحديد لغة التعليم و لا اللغات التي سيشملها التعليم.

إن تيارات المعمرين من أصحاب المصالح و النفوذ السياسي و الاقتصادي، كان معظمهم يرى ضرورة ترك الجزائريين جهالا، في حين يرى بعضهم توفير نوع ملائم من التعليم. **فالفرنسيون لم يكونوا على رأي واحد حول موضوع تعليم الجزائريين**، و لكنهم متفقون على أن الجزائري يجب أن يبقى في مستوى دون مستوى الفرنسي. يقول أحدهم:"إذا رفعنا مستوى الأهالي إلى مستوانا فسنعمل على طرد أنفسنا من البلاد، و لهذا يجب إبقاؤهم على حالتهم السفلى"[3]. و هذا يبين إدراك الفرنسيين لعلاقة تعليم الجزائريين بالوعي السياسي الوطني. فكان مدير رابطة التعليم آنذاك يقول:"ما دام **تعليم السكان الأصليين يعد مهمة سياسية بدلا من أن يكون مهمة تعليمية** فإنه من الأليق و الأنسب، إذَا ما أردنا أن يكون السكان الأصليون مطيعين دون تردد، إحداث تعليم خاص لا يوكل بمقتضاه الأطفال إلى مُدرِّسِين حائزين على جميع أنواع الشهادات، بل إلى مُمَرِنين من الأهالي تكون مدارسهم عبارة عن

---

[1] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص204.

[2] – من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972:أحمد الإبراهيمي،ترجمة حنفي بن عيسى، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،د ت،ص16.نقلا عن جورج هاردي.« une conquête morale :l'enseignement en A.O.F»

[3] –" محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص257.

أكواخ تتراوح قيمتها ما بين 150 و200 فرنكا على أكثر تقدير"[1]. بل كان المعمرون يطالبون بتدريس اللغات غير الرسمية و لا الإقليمية، كالعربية العامية(الدارجة)، و بعض من اللغات الأوربية[2].

و قد سبقت الإشارة -عند الحديث عن الافتراض- إلى جعل الدارجة مقررا دراسيا للفرنسيين خاصة في عهد 'بيجو'، و أسسوا معهد 'الكوليج العربي' في باريس سنة1839، يكون «مشتلة» للمترجمين المقدر لهم العمل في الجزائر كما ورد سابقا. و قد وصلت نسبة معرفة الكولون بالعربية 20 % من الرجال و 10 % من النساء يستطيعون التحدث قليلا بالعربية، و لكن لا يكتب بها إلا 1.7 % من الرجال و 0.5 %من النساء[3].

إن اتجاهات المدرسة الفرنسية في الجزائر كانت عبارة عن بدائل طرحتها فرنسا لِما استولت عليه من منشآت جزائرية، إلا أن **الاتجاه الذي تبنته في هذه السياسة اللغوية التعليمية هو تجاهل حاجيات المواطنين و السير وفق مصالحها** و ما تحتاجه من الجزائريين في مجالات معينة. فظهرت **ثلاثة أنماط تعليمية**[4]:

1. نمط من التعليم خاص بالفرنسيين و الأوربيين و تنتشر مدارسه في كل المدن والقرى التي يستوطن بها الفرنسيون و غيرهم من الأوربيين.
2. نمط من التعليم خاص بالأهالي و مدارسه محدودة الانتشار و مناهجه هزيلة.. وهذا النمط تخلت عنه الإدارة الفرنسية في الأخير.
3. نمط من التعليم مزدوج اللغة و الوظيفة و هو خاص بفئة من الجزائريين أرادت الإدارة الفرنسية أن تستعين بهم في بعض الوظائف التي لا يستطيعها الفرنسيون. مثل: ترجمة القضاء الشرعي، الإمامة و الإفتاء، و تدريس العربية الفصحى..عرفت هذه مدارس بالمدارس الفرنسية الإسلامية و المشرفون عليها من المستشرقين. و يلاحظ أن هذا النوع من المدارس

---

[1] -" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص229.

[2] - ينظر دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاستعمار:جمع و ترجمة محمد يحياتن،ص17.

[3] - ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج2،ص63.(الهامش).

[4] - ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص261.

يحمل - ظاهريا- طابعا عربيا إسلاميا، ولكنه مطعم بروح استعمارية فرنسية، لأن الهدف من إنشائه هو محاربة التعليم الإسلامي الأهلي، و منافسة 'جامع الزيتونة' و'القرويين'.

يقول 'كوبر':" فاللغات تدرس لتحقيق عدد من الأهداف على سبيل المثال، لتمكين العباد من قراءة النصوص المقدسة المكتوبة بلغات قديمة. أو لتمكين الخريجين من الحصول على وظائف تتطلب التحدث بلغة ثانية، أو لتمكين الطلاب من الاستفادة من تعليم يقدم بواسطة لغة ثانية أو لربط الطلبة بتراثهم القومي أو العرقي أو لتمييز طبقة الصفوة عن العامة. و يبدو أن الهدف الأخير هو الدافع وراء تقليد تزيد ممارسته على قرون"[1]. و كل هذه الأهداف لا تتحقق إلا بتعليمية العربية لغةً أولى و الفرنسية لغة أجنبية ثانية. إلا أن فرنسا عند رسمها لسياستها اللغوية قفزت فوق كل هذه الحقائق اللسانية الاجتماعية، وحاولت استثمار وظيفة "استعمال اللغة مقررات للتعليم" لتحقيق أهدافها الدينية و الاجتماعية و الثقافية عن طريق تعليم الفرنسية فقط. مع السماح للعامية المهجنة بالتركية وغيرها، أن تزاحم الفرنسية بما يخدم مصالح فرنسا أساسا. **"و قد ثبت ثبوتا قطعيا أن اختلاط الألسن المتباينة نمطيا يفسد الملكات اللغوية"[2].**

إن مساهمة اللغة العربية في ربط الأجيال بتراثها لم تسمح به الإدارة الفرنسية. بل عمدت إلى اعتماد اللغة الفرنسية لتنهض بهذه الوظيفة رغم حساسية هذا الاختيار، لأن التناقض حادٌ بين التراث القومي و العرقي للغة الفرنسية و التراث القومي و العرقي للجزائريين. يقول 'كوبر':" الذين يرسمون السياسة التعليمية غالبا ما يشعرون بحساسية تجاه مطالب الآباء والطلاب فيما يتعلق باختيار اللغة التي ينبغي تعليمها في المدارس"[3]. و لكن فرنسا ضغطت بشدة لأجل استعمال لغتها مقررا دراسيا في المدارس و الزوايا الخاصة بتعليم العربية. و لم تجد أي حساسية في فرض لغتها على الجزائريين و في مدارسهم . لذا لا غرابة أن يقاوم الجزائريون ذلك، لأن في المقاومة تناغم مع الذات الدينية و اللغوية و التاريخية.

لقد أعد الاحتلال المحيط التربوي بمكر كبير؛ فالعربية الفصحى كانت غائبة قانونيا من التعليم الابتدائي، وأجبر التلميذ الجزائري على دراسة اللغة العامية في حصتين أسبوعيا، توكل

---

[1] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص207-208.

[2] – التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص163.

[3] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص210.

إلى موظف هو 'شيخ العربية'، يُختار غالبا لجهله بقواعد التعليم و شذوذ هندامه و سوء تصرفه، لضرب مكانة لغة الضاد في نفوس التلاميذ و تشويه صورتها في وجدانهم. و يزيد هذا الإخراج المفتعل سوء، أن حصص الدروس نصوصها سخيفة، ركيكة، مثيرة للسخرية، و تليها مباشرة عن قصد، دروس المواد الفرنسية، الموكولة غالبا إلى معلمة في غاية الكفاءة المهنية والدراية بعلم النفس و طرائق التدريس، و بهيئة أنيقة، تفوح منها الروائح العطرة عند التجوال بين الصفوف. و هنا يجد التلميذ نفسه مجبرا لا شعوريا على عقد مقارنة بين حالتين، تخرج منها لغة الأجداد الخاسر الأكبر. بل من جراء هذه الممارسات الخبيثة، يوجد من كهول جيل الاستعمار من لا يزال - إلى يومنا- يُكِن للعربية الكراهية شديدة و يشعها في محيطه[1].

إن فرنسا اهتمت اهتماما بالغا بتعليم لغتها للجزائريين و بذلت في ذلك كثيرا من وقتها ومالها. فكيف كانت النتائج؟ و ما هي المقاييس؟ و هل نشرت لغتها أم نشرت الأمية؟

يقول 'كوبر':" أما درجة نجاح تعليم اللغات الإضافية من خلال دراستها في هيئة مقررات دراسية فيتفاوت تفاوتا كبيرا. و في الغالب ما يكون تركيز الدراسة و كثافتها هو العامل الأساسي لهذا التفاوت. و كذلك جودة و كفاءة التدريس و مدى جدوى تعلم تلك اللغة خارج المدرسة و في الحياة العملية للمتعلمين. أي أن الأسباب الفعلية لنجاح تعلم اللغة هي بمعنى آخر، الفرص والحوافز المشجعة على التعلم و هو افتراض طبيعي جدا"[2]. و الحوافز التي شجعت بها فرنسا الجزائريين على تعلم لغتها كانت حوافز مغرية؛ كحافز التجنيس و التمتع بنفس حقوق الفرنسيين. **فظهرت بذلك جماعة رخوة الشخصية، هي جماعة النخبة، لم يتبنوا أفكار الغرب، ووسائل عيشه، و طريقته في العمل و ثقافته و تعليمه فقط، بل أرادوا أيضا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي[3].**

و لكن سرعان ما كذب الواقع هذه الحوافز، فأدرك المغرر بهم أنهم يجرون وراء وَهْمٍ اسمه المساواة في الحقوق مع الفرنسيين. فكثير منهم أعلن توبته و ووهب نفسه لخدمة وطنه ومقوماته. كما لجأت أعداد كبيرة من العلماء و المثقفين الذين خافوا على عقيدتهم و لغتهم إلى

[1] - ينظر " مآسي اللغة العربية طيلة الاحتلال الاستعماري و مآثرها":صالح بن القبي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص211-212.

[2] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص209.

[3] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص161.

الهجرة الداخلية أو الخارجية بمغادرة البلاد ، والتوجه نحو الأماكن البعيدة حفاظا على لغتهم وثقافتهم، و لهثا وراء منابع العلم و المعرفة والاستقرار النفسي الذي جفف الاستعمار منابعه في الجزائر[1]. **فمعظم الزعماء الجزائريين خلال العشرينات كانوا قد عاشوا خارج الجزائر، فتثقفوا في بلاد أخرى غير الجزائر**، وهذه الظاهرة تدل على أن الجزائريين فقدوا التعليم و الحرية في وطنهم، و أن فرنسا كانت دائمة متشككة في الذين لم يتثقفوا عندها[2]. وهذا يؤكد حقيقة لسانيات اجتماعية هامة وهي أن **أهم وظائف اللغة هي 'الوظيفة الهويتية'** 'La fonction identitaire'.

إن جعل اللغة الفرنسية أداة للتدريس في المؤسسات التعليمية لم يفلح في القضاء على العربية. يقول'ميليه' في كتابه "اللغات في أوروبا الحديثة":**"إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ عن كونها لغة دين و لغة مدنية**، و على الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، و لمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية **لم يخرج أحد عن اقتناع و طواعية من الإسلام إلى النصرانية"**[3]. لأن اللغة العربية تملك وظيفة التثقيف الوطني و هي وظيفة لا تُطلب في لغة أجنبية[4].

إن اللغة العربية حافظت على نفسها من خلال ثلاث قنوات. **الأولى هي المدارس القرآنية ، و الثانية هي الوعظ و الإرشاد في المساجد**، أما **الثالثة فهي إنشاء فرنسا مدارس ثانوية باللسانين سنة 1850**، مع التركيز طبعا على اللسان الفرنسي. و قد ساهمت هذه المدارس في تخرج عدد من الجزائريين المختصين في الصحافة و التعليم و الترجمة شكلت جماعة النخبة معظم عددها، أما **المدارس القرآنية و المساجد فنجحت في الاحتفاظ بالعربية حية رغم تواضعها و تخلف مستواها**[5].

---

[1] – ينظر"محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي و معاناتها بعد الاستقلال":عبد القادر فضيل،اللغة العربية،عدد ممتاز،ص264.

[2] – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله، ج2،ص409.

[3] – "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز، ص234.

[4] – ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص152.

[5] – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله، ج2،ص62.

و عن مستوى هذا التعليم يقول'مصطفى الهشماوي': **لا أميل إلى القائلين بأن التعليم عندنا- في العهد العثماني- كان أحسن من الذين هاجمونا. و إني أميل إلى القول بأنه كان عندنا الكم و هم كان عندهم النوع، و كانت علومهم عملية و علومنا نظرية واجتماعية"**[1].

إن **التعليم ليس ضمانا لبقاء لغة ما**، و هذه حقيقة لسانية، فتواجد اللغة حيثما كان التواصل هو الذي يحفظها لغة حية. ثم إن في السياسات اللغوية "تُنْتقى اللغة الأجنبية لِمِلْئها الثقافي لا لمعيار سياسي، و تدرج في المنهاج التربوي بمقتضى فرض الكفاية، حتى إذا تقرر تعليمُها لعيّنة من التلاميذ سقطت معرفتها عن الباقي"[2]. فكيف كان موقف الجزائريين من تعليمية الفرنسية؟

تقول المؤرخة الفرنسية 'إيفون توران': **"ردَّ المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها** الذي قضى حوالي عشرين سنة(1830-1850) يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ"[3].

طالما أن التعليم ليس ضمانا لبقاء لغة ما؛ فلقد ظلت حياة اللغة العربية مكفولة بنوع من الاحتشام في الصحافة و التأليف و النوادي والمسرح و الترجمة..[4].

إنها جهود كبيرة ولكنها فردية، بذلها كلٌ في ميدانه لخدمة اللغة العربية بقصد أو عن غير قصد. و بذلك بقيت اللغة العربية حية و لكنها في حالة يرثى لها. ولعل الحصار الذي فرضته الإدارة الفرنسية على اللغة العربية قلص فرص مقاومة الاستعمار بها، فأدرك الجزائريون قيمة اللغة الفرنسية في الدفاع عن شخصيتهم. إذْ "تُدرج اللغة الأجنبية في المنهاج

---

[1] -"حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى الهشماوي،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص281.

[2] - التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص131. و ص159.

[3] -" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص240-241.

[4] - ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص134-144. فظهرت صحف بلسان عربي و بعضها بلسانين منها:جريدة "المصباح"و"الإسلام"و"الجزائر"و"المغرب"و"الفاروق".أما الكتابة فظهرت في إحياء الأعمال التاريخية الجزائرية؛كنشر أعمال"ابن عمار" و"ابن مريم "و"الورتلاني"و"الغبريني".وموسوعة"تعريف الخلف برجال السلف""لأبي القاسم الحفناوي".و نشر كتاب"تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر". أما بين 1890– 1914؛ فظهرت النوادي و الجمعيات الثقافية، و ملتقى اجتماعي للرياضة، والإسعاف و الكشافة..و من هذه النوادي و الجمعيات:التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، نادي الشباب الجزائري، جمعية الهلال، نادي الإتحاد، والرشيدية وغيرها.أما المسرح فأنشأته جماعة من الجزائريين مستفيدة من التجربة الفرنسية. فكل هؤلاء الفنانين ساهموا في المحافظة على اللغة و الموسيقى الشعبية. فضلا عن نشاط الترجمة بترجمة بعض الأعمال الأوروبية المشهورة إلى اللغة الوطنية.

التربوي لجلب المنفعة ودفع المضرة، فتحصل الأولى بتوسيل تلك اللغة لشفط ما توافر لدى أهلها من خبرة صناعية وثقافة بشرية مشاعة. أما دفع المضرة فيكون بإفراغ اللغة المعنية من الثقافة الوضعية الخاصة بأصحابها"[1]. و بهذا المعيار أصبحت **اللغة الفرنسية بالنسبة للجزائريين تؤدي وظيفة أمْنية**؛ لأن إتقان لغة المستعمر و تمثل طريقة تفكيره، واستيعاب علومه، يسهل عليهم مقارعة ظلمه.

9- استعمال اللغة لأغراض أدبية:

لقد عملت الإدارة الفرنسية على تكريس لغتها لغة للأدب في كل المدارس التي أنشأتها، وهذا ليس غريبا على إدارة تسعى لإفراغ الأمة الجزائرية من هويتها و إعطائها لغة و هوية جديدتين. لكن الغريب هو التناقض في تعاملها مع التراث الذي وجدته قائما متأصلا في الجزائر عند احتلالها؛ فمن جهة حاولت طمس التراث الذي تحمله اللغة العربية، و هو تراث واسع الانتشار، ومن جهة أخرى حاولت إحياء تراث اللغة الأمازيغية محدود الانتشار، و هذا هو الضحك على الذقون بحق! لأن جهود فرنسا لإحياء التراث الأمازيغي، ما هي إلا قدْح في خيارات أمازيغية قديمة، عندما اعتنق الأمازيغ الإسلام و حملوا تراثه و لغته، و ما يزال أحفاد الأمازيغ أوفياء لخيارات الأجداد. كما أن من السخرية تعريف الأمازيغيين بتراثهم وهم أعرف الناس به! لذا ليس غريبا أن يعتبر الأمازيغيون الظهير البربري قُفَّازا في يد فرنسا[2].

إن الحديث عن لغة الأدب هو حديث عن دور الكتابة في حفظ الآداب، و مدى استيعاب الخط لأصوات اللغة، وهو مبحث لساني اجتماعي مهم، و قد يشكل محورا لرسم سياسة لغوية، هدفها إنشاء رسم لغوي جديد أو تعديل رسم و تحديثه. و لا شك أن العربية والفرنسية لا تعانيان من مشكل الرسم. في مقابل الدسيسة التي اختلقتها فرنسا في سياستها اللغوية تجاه الأمازيغية عند محاولة بعث تراثها و إحياء خطها. فما الحقيقة اللسانية الاجتماعية للكتابة الأمازيغية؟

---

[1] - التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص159.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص143. و ينظر في الهوية الوطنية: صالح بلعيد،ص105. قال صالح بلعيد:"حاول[الاستعمار]أن يتخذ الأمازيغية قميصا يثير به النعرات".

افترض اللسانيون المعنيون ببعث تمازيغت، حين وجدوا خصائص- صوتية و معجمية أو صرفية وتركيبية- متقاربة بين اللغات القبلية المدروسة، افترضوا وجود لغة منقرضة(اللغة الأم المراد إحياؤها)، على غرار ما كانت تفعل اللسانيات السلالية في القرن التاسع عشر.ثم إن الفيلولوجيا الأمازيغية لا تتوفر على شواهد قديمة لتراث مكتوب للأمازيغيات، فلا تواصل مكتوب بين الأجيال.**"و في انتظار التحقق العلمي من هذه الافتراضات العملية نخلص مما قدمناه إلى أن لغات إمازيغن شفوية مثل الغالبية العظمى من لغات القبائل في لإفريقيا وفي غيرها من القارات، و أنه لم يثبت في أدلة تاريخية مادية أن كتبت تمازيغت بتفناغ"[1].**

فأصل الكتابة البربرية لا تزال نقوشها غامضة[2]. و ها هو 'إشليجل'- أحد رواد الفيلولوجيا المقارنة - يصف **من يحاول أن يعيد بناء مثل هذه اللغة المنقرضة على أساس هذا التوهم بكونه "نبيًا يتنبأ بالذي مضى"**[3]. لأنه "لم يثبت التاريخ أن ملوك البربر قد استعملوا الأمازيغية في الخطاب الرسمي و لا في الإدارة أو في مصالحهم العسكرية، فكانت لغتهم النوميدية أو الرومانية أو الفينيقية"[4].

فلم يتحقق لحد الآن العثور على ديوان حضاري لهذه اللغة، لذا هي الآن تستعمل الأبجدية العربية لكتابتها عند الشاوية، والأبجدية الفرنسية لكتابتها عند القبائل، و لقد بذل الكاتب الجزائري'مولود معمري' جهودا ليجعل منها لغة مكتوبة، خاصة بعد اكتشاف بعض الرموز المنحوتة في أعماق الطاسيلي، ولكنه لم يوفق بسبب غموض هذه الرموز[5]. بل فضَّلت الأغلبية من الأمازيغ المحافظة على الخط العربي في مقابل من استهواهم الخط اللاتيني[6].

---

[1] – التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي،ص85-89.

[2] – ينظر الكتابة في المتوسط : عبد الرزاق بنور،د ط،منشورات زرياب،الطباعة العصرية،الجزائر،2004، ص126.

[3] – التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص87.

[4] – في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى:صالح لبعيد،ص46. و ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية:أحمد بن نعمان،ص79. ويروي أن الأمازيغية لم تكن هي اللغة الوطنية في عهد ماسينيسا أو خلفائه، لأنهم كانوا مغرمين باللغة اللاتينية و اليونانية، فماسينيسا ربى أبناءه تربية إغريقية، حتى أنه علَّم ابنه ماصيبسا الإغريقية و الرومانية والبونيقية.والبونيقية:هي اللغة الفينيقية القديمة،التي دخلت إلى المنطقة،مع ظهور الدولة القرطاجية ،ولقد ظلت هذه اللغة (أي البونيقية) سيدة الموقف إلى غاية دخول الاستعمار الروماني.

[5] – ينظر المرجع نفسه،ص64.

[6] – ينظر الكتابة في المتوسط:عبد الرزاق بنور، ص125.

و ذلك لأن العربية لم تمس الأمازيغية بأي سوء منذ أن حلت بالبلاد، ولعل بقاء الأمازيغية حية تستعمل في التواصل أقوى برهان على ذلك. **بل لم تعمل العربية على القضاء على لغة أصلية وجدتها عند شعب من شعوب الدنيا التي دخلها الإسلام، ولعل هذا من أسباب قوتها**، و خير دليل على ذلك هو اللغة الفارسية، التي ما تزال هي اللغة الرسمية و الوطنية للدولة الفارسية بعد أربعة عشر قرنا من الزمان في ظل الخلافة الإسلامية، و هو ما ينسحب أيضا على اللغة التركية و اللغة الأردية في شبه القارة الهندية[1].

كما لم يتأخر الخط العربي يوما عن خدمة أي لغة اختارته حتى الأمازيغية، لأن مرونة الخط العربي و قدرته على التكيف بواسطة تعدد الرواسم الترميزية• جعله قادرا على احتواء كل أصوات اللغات التي شملها الفتح الإسلامي، و هذا ما جعل **الكتابة العربية أكثر انتشارا من اللغة العربية ذاتها**[2].

إن فرنسا تعلم **بعدم وجود نصوص قديمة للبربرية، و أن الأمازيغ استعملوا في الكتابة لغات أخرى، كالفينيقية و اللاتينية و العربية** [3]. و لكن رغم هذه الحقائق الثابتة **حاولت فرنسا أن تجعل من الكتابة عند الأمازيغيين رمزا أكثر من كونها واقعا تاريخيا أو تقنية تدوين**[4].

إن العمل على إحياء الأمازيغية قوميةً و تراثا و لغة مكتوبة هدفه زعزعة الوحدة الوطنية. وقد عمق هذا الطرح فكرة الكتابة الأمازيغية و إحلالها مكان الكتابة العربية و تشجيع

---

[1] - ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ص79-80.

• مثل العلامات المساعدة كنقاط الإعجام و الحركات الإعرابية، التي توظفها اللغة العربية لتدقيق النطق و تصحيح اللحن الذي قد يقع فيه الأعجمي. ينظر في الهوية الوطنية: صالح بلعيد، ص100-104.

[2] - ينظر الكتابة في المتوسط: عبد الرزاق بنور، ص144. و ينظر في الهوية الوطنية: صالح بلعيد، ص105. و ينظر اللغة الباسلة: فتحي جمعة، ط5، دار النصر للنشر و التوزيع، 2000، ص200.. و من ذلك مثلا الفارسية و الأفغانية (البشتو، الأردو)، و الماليزية الكردية السندية و الكاشميرية و لغة الملايو [تستعمل الخط العربي منذ القرن 16م و اللغة الملايوية هي اللغة الرسمية لكل من ماليزيا وبروناي و سنغافورة، وهي اللغة الرسمية إندونيسيا، ولكن اسمها مختلف لأسباب سياسية. عدد المتحدثين باللغة الملايوية هو 20 إلى 30 مليون. ينظر موسوعة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki. و ينظر أسس علم اللغة: ماريوباي، ص191]، الإسبانية التركية (حتى سقوط الخلافة في 1928)، و في الحزام الأفريقي الذي يشمل اللغات السودانية و الغينية (الكانورى و الهوسا و الفلانية)، وأيضا اللغات الأمازيغية..

[3] - ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان ص74.

[4] - ينظر الكتابة في المتوسط: عبد الرزاق بنور، ص124-125.

إحياء وإذاعة الأغاني و التراث الأمازيغي، و إنشاء منصب مترجم لها في المجلس الجزائري، و اعتبارها لغة أساسية للجزائريين. و لا هدف لذلك إلا إبطال وحدة المؤسسات الثقافية العربية الأمازيغية و زرع الفتنة بينها، و **تفكيك البناء الاجتماعي** بإثارة العصبية الطائفية و النزعة القبلية[1].

10- وظيفة استعمال اللغة لأغراض دينية:

وهي وظيفة العربية للجزائريين و اللغة الفرنسية للفرنسيين، سواء عند قراءة النصوص المقدسة و الشعائر التعبدية أو عند التعليم الديني وتصحيح العقائد و الوعظ. و يدرج 'محمد الأوراغي' هذه الوظيفة ضمن أحد وظائف اللغة الوطنية و اللغات القبلية و اللهجات المحلية وهي **وظيفة التثقيف الوطني**، التي هي بث كل ما يحتاجه المواطن - احتياج ضرورة- لارتباطه بالأعمال التعبدية، كعلوم القرآن و الفقه و السيرة و العقيدة و علوم اللسان و ما خلفه المسلمون من تاريخ و أدب و فكر..[2]

و لأهمية هذه الوظيفة اتخذت كل ديانة موقفا حاسما من لغة الدين و كتابتها، فإذا كانت اليهودية و الإسلام لا تقبلان إلا لغة الكتاب المقدس، فإن المسيحية تتساهل و تجيز قراءة النص المقدس بلغة القارئ. **و إذا كان صحيحا أن الأديان مدينة للكتابة، فمن صحيح أيضا أن الكتابة مدينة للديانات. لأن الديانات السماوية ديانات كتب و أصحابها يسمون أهل الكتاب**[3].

يقول 'كوبر' عن وظيفة اللغة في الاستعمال الديني عند المسلمين و اليهود:" في بعض الأديان. مثل اليهودية و الإسلام، تقتصر لغة قراءة النصوص المقدسة الخاصة بها على استعمال لغة واحدة فقط"[4]. فلماذا أجهدت فرنسا نفسها في كتابة القرآن بالعامية و حذف ما كانت تراه معاديا لها؟

---

[1] - ينظر" اللغة العربية و الإستراتيجية الاستعمارية":مصطفى شريك، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص360-361.

[2] - ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص152.

[3] - ينظر الكتابة في المتوسط :عبد الرزاق بنور،ص119.

[4] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص212.

لأن في ذلك كسر لتلازمية الإسلام و اللغة العربية كحقيقة عقائدية؛ إذ لا يجوز التعبد إلا باللفظ العربي. كما أن في ذلك عزل للقرآن و طقوسه الدينية عن اللغة العربية، تمهيدا لإزالة مظاهر القداسة عن العربية، وهو ما تم لها فعلا، مع جماعة النخبة و الأرستقراطيين، فقد مر سابقا أن بعثتين للحج فشلت لجهلها بأبسط ألفاظ العبادات وطقوسها، بل جهلها بالعربية بلغ حد اعتبار العربية مجرد لهجة(باتوا). و هذه هي درجة الانسلاخ التي تريد فرنسا تحقيقها في سياستها اللغوية والتربوية.

إن الإدعاء بأسبقية نشر الدين على أسبقية نشر اللغة، كما عند المسيحيين، لم يجُر الجزائريين إلى الانسلاخ عن دينهم، سواء تعلموا المسيحية بلسان عربي، أم تعلموا القرآن بالفرنسية، لأن النظريات الاجتماعية كلها، تؤكد تمسك الجزائري بثوابته تمسكا قل نظيره عند باقي الشعوب. فالذي غاب على فرنسا أن **انتشار العربية و كتابتها يعود بدرجة كبيرة إلى مبدأ عدم إمكانية ترجمة القرآن و شعائره** إلى اللغات الأخرى[1].

يقول ʼكوبرʻعن الوظيفة الدينية للغة في مجال التبشير:" وعندما يسعى المبشرون إلى تغيير عقيدة الآخرين أو هدايتهم إلى اعتناق معتقداتهم الدينية ينبغي عليهم أن يقرروا مسبقا ما هي اللغة التي سيستخدمونها وسيلة لنقل رسالتهم و للتحاور مع الآخرين و لا تقتصر ميزة استعمال اللغة التي يتكلمها المستهدف بالتبشير على سهولة نقل الرسالة فحسب. بل إنها تبدو أيضا مألوفة للسامع"[2]. فلا عجب إذن أن نجد المبشرين يجيدون العربية العامية، لنشر المسيحية و الفرنسية بين الأهالي. كما يقول البحاثة ʼساطع الحصريʻ:" كانوا يرون أن **التنصير يساعد على الفرنسة كما أن الفرنسة تسهل التنصير"**[3].

إن قدسية اللفظ العربي و رسمه تظهر من أول لفظ لغوي تعبدي مقدس يقوم به معتنق الإسلام عند نطق الشهادة؛ إذ لا تكون إلا بالتصريح المباشرة باللغة العربية لا بقول مترجم، كما تكمن قدسيتهما في عدم إمكانية ترجمة القرآن، لأن لغته لا يمكن مضاهاتها. فرموز الكتابة

---

[1] – ينظر الكتابة في المتوسط:عبد الرزاق بنور،ص120.

[2] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص213.

[3] – "وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية، عدد ممتاز،ص231.

العربية مقدسة لأنها حاملة لكلام الله و رسالته، و طالما هذا الدين ذا تطلعات كونية فلا أحسن من هذا لنشر لغته و كتابته[1]. في حين أن المسيحية تسعى للحد من عالمية الإسلام.

إن الصراع العربي الفرنسي صراع حضاري ذو طابع لغوي في أحد وجوهه، فما هذا **الصراع الاستئصالي** إلا نسخة من الصراع الثقافي **بين نسقين عَقدِيْين لا يجتمعان و لا يرتفعان**؛ نسق لواؤه إسلام أزلي ذو فكر تنويري متجدد يحتكم إلى الشريعة الإسلامية على الدوام، و نسق نصرانية عقلانية يحمل لواء الحداثة و العلمانية[2]. و الأهم من كل ذلك، **المواقف التاريخية للثقافة الأمازيغية من هذين النسقين؟**.

لقد فصَلَ الأمازيغيون بين العربية لغة القرآن - الذي يتعبد بتلاوته القبائلي و المزابي وغيرهما ممن نشأ في لغة قبيلته- **و بين العرب** الذين أتوا من المشرق فاتحين، ومن ثمة تعلموها لا للتواصل بها، فقد كانت كل قبيلة مستغنية بنظام عيشها قبل حلول العرب بالمنطقة، وإنما **تعلموها لوظيفتها التعبدية**. فأكسبها عامل الدين شرعيةً أهلتها **بصورة طبيعية لأداء وظيفة التواصل الوطني دون سواها من اللغات القبلية** الفاقدة لما يرجحها على غيرها[3].

كما أن قدسية و شرف العربية ليس لشرف أهلها فحسب بل حتى لشرف غير أهلها الذين حملوها وتمثلوا ثقافتها؛ فترى الرجل ولو من غير العرب إذا ما وقع بصره على قطعة من ورق مكتوبة بالخط القرآني بادر إلى حملها و تقبيلها ظهرا لبطن و وضعها في ثقب أو نحوه خوفا من أن تؤذيها الأقدام أو تختلط بالأقذار و النجاسات[4].

أما طائفة العبرانيين في الجزائر فرغم معرفتهم بعدة لغات كما مر سابقا، و لكنهم مع ذلك يتعاملون مع الجزائريين بالعربية و حتى فيما بينهم، وقلما يستعملون العبيرية بل لقد لاحظ أحد الكاتب أن الرِّبِيين كانوا يعظون اليهود بالعربية أيضا في بعض المناسبات[5].

---

[1] - ينظر الكتابة في المتوسط:عبد الرزاق بنور،ص120- 121.

[2]- ينظر التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي:محمد الأوراغي، ص76.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص81-82.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص82.عن اللغة و الدين و الهوية:عبد العلي ودغيري،ص38.(الهامش).

[5]- ينظر الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله،ج1،ص374-375.

هذه نهاية الفصل الثاني، الذي بحث في الوضعية اللغوية الجزائرية قبيل ظهور جمعية العلماء المسلمين، من الناحية التاريخية و اللسانية الاجتماعية. وهذه أهم نتائجه:

1. **لم يكن للغة العربية سياسة لغوية مدروسة مرسومة، بل كانت لها سياسة موروثة، فتقليدية التعليم هي التي حفظت للعربية وجودها.** لأن تعليم اللغة العربية كان تابعا للتعليم الديني. و رغم ذلك **تبقى العربية في وضع خطير جدا.**
2. **لقد كان لفرنسا سياسة لغوية خاصة بالجزائر، رتبت فيها الأولوية لنشر الفرنسية على حساب اللغة العربية و الأمازيغية.** ففرنسا رصدت الوضعية اللغوي الجزائرية، ثم حددت أهدافها، و استراتيجياتها.
3. **من نتائج السياسة اللغوية** التي رسمتها فرنسا. ما يلي:

- ✓ عدم استفادة كل فئات المجتمع من التعليم الرسمي لأن التعليم كان موجها أو بالأحرى مُسيَّسًا. ولم يكن هدفه تعليم الجزائريين لا الفرنسية و لا العربية.
- ✓ تكوين فرنسا لنخبة جزائرية فرنسية اللسان، مثقفة ثقافة غربية، منبهرة بمدنيتها، حظيت بمناصب عمل، فأبدت الإخلاص للمستعمر و تنكرت لأمتها و لغتها و طالبت بتعويضها بالفرنسية. و هذا أدخل جماعة النخبة في صراع مع الذات و مع المحافظين الوطنيين.
- ✓ العربية الفصحى و العامية و الأمازيغية كانت تنعم بالتعايش والاستقرار منذ قرون. إلا أن السياسة اللغوية الفرنسية حاولت إدخالها في علاقة قوة وصراع. ليخلو الجو للغتها فتسُود وسط الفرقة كحل محايد يرتضيه الجميع.
- ✓ السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر كانت سياسة تقويضية لكل البنى اللغوية والاجتماعية المتعايشة.

4. ظهور اللغة الفرنسية على الساحة اللغوية الجزائرية لم يكن بريئا. ومن آثاره السلبية؛ ظهور ظواهر لغوية اجتماعية خطيرة، و بدرجات متفاوتة، كمظاهر الاحتكاك المختلفة، و الثنائية اللغوية، و لعل أخطرها العبث بالوظائف اللغوية الاجتماعية للغات.
5. العامية شكلت الخطوط الخلفية للفصحى،لأن العربية الفصحى خنقت في مجالاتها الحيوية. أما الأمازيغية فحاولت فرنسا جعلها شوكة في خاصرة الكيان اللغوي الجزائري.

الفصل الثالث:

التعريف بجمعية العلماء م ج ت

و

سياستها اللغوية.

المبحث الأول: التعريف بجمعية العلماء المسلمين التاريخية -التأسيس و أبرز علمائها-

المبحث الثاني: السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.

المبحث الأول:

التعريف بجمعية العلماء المسلمين التاريخية

-التأسيس و أبرز علمائها-

المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.

المطلب الثاني: التعريف بأبرز علماء الجمعية.

يصف ’توفيق المدني‘ الحالة اللغوية الاجتماعية -التي كانت محور الفصل السابق- فيقول بكل أسى و حسرة:"المسألة الموضوعة أمامنا الآن هي مسألة المحافظة على الإسلام والعربية، وهذه المحافظة هي البرنامج الوحيد يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ومستقبلها ثم يقول: و كأن الجزائر اليوم غير شاعرة بتلك الحقيقة الرهيبة القاسية التي نراها رأي العين أمامنا، كأنها ليست شاعرة بأن الإسلام في الجزائر سائر في طريق الموت، وكأنها ليست شاعرة بأن العربية سائرة في طريق الاضمحلال، و كأنها ليست شاعرة بأنها إن فقدت إسلامها و عربيتها فقدت كل شيء، و لم تنل أي شيء"[1].

أن العربية بهذا الوصف هي أشبه ما تكون بحال من هو في غرفة الإنعاش!! فحق على الله أن يحقق وعده و يتم الحفظ لقرآنه بحفظ لغته. فهل كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية هي فارس الدهر و لا جدال؟ و هل كانت هي المصباح الذي تستمد منه المصابيح؟ هل مشروعها اللغوي الذي قَدم يجتاز التخوم و يتخطى المدن و يطوى الغبراء، هو من سينتشل اللغة العربية من التمرُّغ على أعتاب حياة الشقاء؟ إذا كان الأمر كذلك. فمن هي جمعية العلماء؟ و كيف تأسست؟ و من أبرز علمائها؟

[1] – إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص96. نقلا عن مقال بين «الموت والحياة» لتوفيق مدني.

المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.

لا شك أن مولد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية سبقته إرهاصات تدل على أن قسمات فجر جديد قد لاحت في الأفق. يقول الإبراهيمي:"ظهرت في السنين الأخيرة حركة مباركة في القطر تجلَّت في شيئين: تأسيس جمعيات التعليم و البر و الإحسان، و تأسيس المساجد في المدن و القرى. فدلت هذه الحركة على تطوّر فكري في الأوساط العامية متّجه إلى الدين، و قد تكون هذه الحركة من الإرهاصات السابقة لوجود جمعية العلماء.."[1].

و فعلا قاطع الجزائريون احتفالات فرنسا سنة 1930م، بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر. وظهر على النطاق السياسي شعور خاص نحو الإسلام و اللغة العربية. وبناء على ذلك رأي العلماء إنشاء جمعيتهم ممكنا و ضروريا، لأن الفكرة ناضجة و الأمة مستعدة[2].

فبادر الشيخ **ابن باديس في سنة 1930م ،و تحصل على إعتماد جمعية سماها "جمعية التربية والتعليم الإسلامي"**، هدفها نشر الأخلاق الفاضلة و المعارف العربية و الفرنسية[3].
و**أخذ يُعد مع العلماء للانتظام في جمعية محددة و شرعية، و قد نجحوا سنة 1931م، وسموها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".**

فهذه الطبقة من **المثقفين كانوا قد انجذبوا إلى فكرة التعليم و النظام في القرن العشرين، و تخلوا عن فكرة حرب العصابات**، و كانوا مقتنعين بضرورة إنشاء منظمة لهم، لأن تدهور الجزائر الاجتماعي و الديني أصبح منذرا بالخطر[4].

فإنشاء جمعية إصلاحية في ظروف الاستعمار، لم يكن بالأمر الهين. لولا أن الله قيض لها ظروفا وعوامل إيجابية تساعد على ميلادها. و منها[5]:

---

1 – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص86.المادة 72من القانون الداخلي للجمعية.وينظر أيضا ص181-182.
2 – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 390.
3 – ينظر "حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر":مصطفى الهشماوي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص 292.
4 – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 385.
5 – ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1 ، ص181-182.

أولا: العوامل العامة. فالإيجابية منها هي:

أ- على رأسها وعي الشعب الجزائري الذي احتضن البذور الإصلاحية للجيل الأول من المصلحين و جيل المتأخرين• و تأثر بدعوة 'الأفغاني' و 'محمد عبده'.

ب- الثورة التعليمية و التربوية التي قادها عبد الحميد بن باديس في قسنطينة منذ عام 1913م، والتي كانت بجامع الأخضر و جمعية التربية و التعليم التي أسسها.

جـ- عمل الصحافة العربية عامة'جريدة المنار'،و الجزائرية خاصة في أوائل العشرينيات.

د- التطور الفكري الذي أفرزته الحرب العالمية الأولى على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

أما العوامل السلبية؛ فمنها[1]:

- ما أحدثته الطرق الصوفية في الإسلام من وثنية.
- انتشار الدعوات الاندماجية.
- التدخل السافر للإدارة الفرنسية في مقومات الشعب.

ثانيا: العوامل اللغوية الخاصة. و هي:

1) انحصار اللغة العربية عن مجالاتها الحيوية: حتى أصبحت غريبة في بلدها و بين أهلها، و انفردت اللغة الفرنسية بكل الميادين، بل أصبحت الخشية حتى على العاميات أن تندثر لكثرة الكلمات الفرنسية الوافدة على شؤون الإدارة، و التعليم، و وسائل الإعلام، و مختلف النشاطات الثقافية و الاقتصادية[2].

• الجيل الأول ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و من أعلامه:الشيخ صالح بن مهنا(ت1907 م)، والشيخ عبد القادر المجاوي(1848 - 1913)، والشيخ محمد بن خوجة(1865-1917)،والشيخ عبد الحليم بن سماية(1866- 1933). أما المتأخرين فهم الطلبة الأوائل الذين أنهوا دراساتهم في البلاد العربية(الحجاز و مصر و تونس)و عادوا و كان منهم:البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، و مبارك الميلي، و طفيش.ينظر ابن باديس حياته و آثاره:إعداد و تصنيف عمار طالبي،د ط،دار الأمة، الجزائر، 2009،ج1،م1،ص19-47.

[1] - ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب،ص 94-95.

[2] - ينظر التعليم القومي:تركي رابح،ص 94.

2) تراجع تعليم اللغة العربية و تفشي الأمية: وقد وصلت نسبة الأمية بين الجزائريين بعد قرن و ثلث من الاحتلال إلى 94.9 % بين الرجال و 98.4 % بين النساء. أما نسبة من سمح لهم الاحتلال بالتعلم فلم تتجاوز نسبتها 5.1 % بين الرجال و 2.6 % بين النساء[1].

3) استبعاد اللغة العربية حتى في النشاطات المدرسية اللاصفية، بهدف تحطيم الشخصية الوطنية، و قد سمي ذلك 'الغزو من الداخل'، نظرا لما تتميز به هذه النشاطات من وسائل الإقناع و الترغيب في برامجها التعليمية، و نشاطاتها التربوية المختلفة كالمسرح، والموسيقى، والأناشيد، و الرسم، و الخطابة، و الألعاب رياضية و غيرها[2].

4) ظهور جماعة النخبة التي نجح الاستعمار في إضعاف شخصيتها الوطنية حتى أصبحت تُؤْثِر اللغة الفرنسية و تطالب بتعميمها، وترى اللغة العربية غير مثمرة[3]. فأصبحت معول هدم لغوي يمهد لهدم كل مقومات شخصية الوطنية. لأنها تؤمن بمؤامرة " تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات يمكن إهمالها جميعا في التعليم"[4] كما مر سابقا.

5) التركيز الكبير على فرنسة الأمازيغيين. و هذا قد يُنبئ بظهور نزعة انفصالية على أساس لغوي و ثقافي.

6) زرع الإدارة الفرنسية لبذور حرب لغوية مفتعلة بين الفصحى و عامياتها و حتى بين العربية و الأمازيغية، و قد شملت هذه الحرب حتى الخط العربي.

7) تدخل الإدارة الفرنسية في بنية اللغة العربية ومحاولة تشويه جميع مستويات اللغة. بل الترويج لعامية مهجنة و تدريسها على حساب اللغة العربية الفصحى.

8) محاولات الإدارة الفرنسية إفراغ اللغة العربية من حمولتها الثقافية، ومن ذلك كتابة الكتب الدينية و حتى القرآن بالعامية.

---

1 – ينظر المرجع السابق ، ص 95.

2 – ينظر المرجع نفسه ، ص 119.

3 – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله، ج2،ص170.

4 – التعليم القومي:تركي رابح، ص 131.

هذه العوامل و غيرها جعلت الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي يقول" لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا"**[1].

في شهر فبراير 1931 دعا الشيخ ابن باديس عبر جريدته 'الشهاب' إلى إنشاء جمعية العلماء، و جعل جائزة ألف فرنك لمن يسعى في إنشائها، و ألف فرنك أخرى لصندوقها إذا برزت إلى الوجود[2]. فاجتمع اثنان و سبعون من علماء الجزائر و طلبة العلم، على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام عام 1349 هـ الموافق للخامس من ماي 1931م، في 'نادي الترقي' بعاصمة الجزائر. و جاء الاجتماع بوصفه جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي للجمعية. اجتمع المجلس الإداري المنتخب، عند الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه، بغياب عضوين هما: 'ابن باديس' و 'حسن الطرابلسي'، لانتخاب رئيس له، وتوزيع المهام على أعضائه، و تشكل المجلس على النحو التالي:

1- 'عبد الحميد بن باديس' 'رئيسا'.
2- 'محمد البشير الإبراهيمي''نائبا للرئيس'.
3- 'محمد الأمين العمودي''كاتبا عاما'.
4- 'الطيب العقبي' 'نائب الكاتب العام'.
5- 'مبارك الميلي''أمينا للمال'.
6- 'إبراهيم بيوض''نائبا لأمين المال'.

أما في يوم الأربعاء 6 ماي 1931 فعقد المجلس الإداري أول اجتماع له في نادي الترقي بغياب ابن باديس، و قد ترأس هذه الجلسة البشير الإبراهيمي. وتم فيها إعادة النظر في القانون الأساسي، فأقره المجلس الإداري بالإجماع، و قرر ترجمته إلى اللغة الفرنسية وتقديمه للحكومة الفرنسية طالبا التصديق[3].

[1] - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956):تركي رابح عمامرة،ط1،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004،ص 43. نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،عدد 21، سنة1966،ص 151.
[2] - ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب، ص 104.
[3] - ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي ،ج1،ص71-72.

فما هذا القانون الأساسي الذي قدم للإدارة الفرنسية للمصادقة عليه؟ و الذي وافق عليه المجلس الإداري بجميع التيارات حتى الإباضيين. و هنا تجدر الإشارة إلى أن تركيبة الجمعية عند انطلاقتها لم تقص أي أحد من التيارات الثقافية الإسلامية للجزائر[1].

القانون الأساسي للجمعية يتكون من خمسة أقسام هي:

1- الجمعية: و يتكون من ثلاثة فصول.

2- غاية الجمعية: و يتكون من ثلاثة فصول.

3- أعضاء الجمعية: و يتكون من سبعة فصول.

4- مالية الجمعية: و يتكون من ستة فصول.

5- المجلس الإداري و الاجتماعات العامة: و يتكون من أربعة فصول.

فالقانون يتكون من ثلاثة و عشرين فصلا- تفصيل الحديث في بعضها سيأتي لاحقا- صادقت عليه الهيئة العامة لجمعية العلماء بتاريخ 05 ماي 1931م . ثم تقدمت حسب الأصول بطلب الترخيص من الإدارة الفرنسية بـ'دار عمالة العاصمة' 'Préfecture d'Alger '، وبصورة سريعة و مفاجئة تحصلت الجمعية على الموافقة بتاريخ 22 ماي 1931. و أعلن على التصريح في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ 31 ماي 1931 على النحو التالي:"بتاريخ 22 ماي 1922 جرى التصريح في مركز عمالة الجزائر لجمعية علماء الجزائر التي تهدف إلى محاربة الآفات الاجتماعية، وغيرها و كل ما يحرمه صريح الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين والمراسيم الجاري بها العمل. إن مركز الجمعية الاجتماعي في العاصمة هو: 'نادي الترقي' - 09 ساحة الجمهورية"[2].

المطلب الثاني: التعريف بأبرز علماء الجمعية.

ابن باديس لم يكن وحده في الميدان، فقد كان يساعده المخلصون يتقاسمون معه الرأي، و الوسيلة، و الهدف. و أولهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي خلفه في رئاسة الجمعية.

---

[1] – ينظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر:علي مِراد،ترجمة محمد يحياتن،ب ط،دار الحكمة،الجزائر،2007،ص 150.

[2] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب، ص 112.

فكانا معا مرجعية علماء الجمعية، و هو ما يدعونا إلى إلقاء نظرة على حياتهما مرجئين مميزاتهما اللسانية الاجتماعية إلى حين الحديث عن السياسة اللغوية للجمعية.

1- ترجمة الشيخ عبد الحميد بن باديس: ولد ابن باديس في ديسمبر سنة 1889م الموافق لـ1308هـ في قسنطينة، حفظ القرآن على يد الشيخ 'محمد بن المداسي'، و درس العلوم العربية و الإسلامية على يد الشيخ 'أحمد أبو حمدان لونيسي'، الذي أوصاه بأن لا يقبل منصبا من الإدارة الفرنسية. ذهب ابن باديس إلى تونس للتعلم في جامع الزيتونة، وانتسب إليه سنة 1908م، و تلقى العلم على يد الشيخ 'محمد النخلي القيرواني' و الشيخ 'محمد الطاهر بن عاشور' و الشيخ ' الخضر بن الحسين الجزائري'..حصل على شهادة التطويع سنة1911-1912م. رجع بعدها للجزائر ثم ما لبث أن رحل نحو المشرق للحج و زيارة بعض الأقطار الإسلامية، و هو بذلك يكون قد أتم دراسته بالرحلة في البلاد الإسلامية، و لقاء العلماء، و منهم شيخه 'حمدان لونيسي' و الشيخ 'بخيت' العالم الأزهري المصري، كما التقى بالشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة. لما رجع إلى الجزائر سنة 1913 بدأ برنامجا تعليميا، و إصلاحيا في 'جامع سيدي الأخضر' للكبار مساء، و في 'جامع سيدي قموش' للصغار صباحا. و كان هدفه الآني هو تعليم اللغة العربية و القرآن إلى الجزائريين و مكافحة الخرافات و الأمراض الاجتماعية بينهم، و لكن هدفه البعيد كان وطنيا و سياسيا. لم يلتحق عبد الحميد بن باديس بالمدارس الفرنسية - كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت - لأن والده فضل أن يربيه تربية إسلامية خالصة. **لكنه كان يقرأ بالفرنسية و لا يتكلمها حيث كان يشتري جريدة 'لا ديباش دي قسطنطين'.** في مسقط رأسه رحل الشيخ ابن باديس إلى الرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ الموافق 16 أفريل 1940م[1].

أما عن ما خلف الشيخ من مؤلفات فليس بين أيدينا أحسن مما جُمع بعد وفاته. و أجملها أثاره التي جمعها 'عمار طالبي'. و بعض مما كتبه تلاميذه الأوفياء ككتابي 'العقائد الإسلامية'

[1] - ينظر ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج 1،م1، ص72-95.و ينظر حول قراءته بالفرنسية،ص92.(الهامش نقلا عن محمد الصالح رمضان).

و'رجال السلف و نساؤه' و قد جمعهما 'محمد الصالح رمضان'. كما حقق ابن باديس كتاب 'العواصم من القواصم' لابن عربي[1].

2- ترجمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: ولد في 14 جوان عام 1889م في قرية أولاد إبراهيم برأس الوادي قرب ولاية سطيف. فحفظ القرآن على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، و جعله مساعده الأيمن في تعليم الطلبة. هاجر عام1911م إلى الحجاز ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إليها، و في الطريق توقف بمصر ثلاثة أشهر التقى بعدد من علمائها وأدبائها و شعرائها، و حضر بعض الدروس في 'الأزهر'. و لما وصل إلى الحجاز تابع تعليمه في المدينة، على يد كبار العلماء الوافدين عليها من مختلف بقاع العالم، فدرس علوم التفسير والحديث و الفقه و التراجم، و أنساب العرب و أدبهم و دواوينهم، و علم المنطق، و أمهات كتب اللغة و الأدب، ثم أصبح مدرسا فيها و مطالعا لكتب ومخطوطات مكتباتها. و في عام 1913 التقى مع الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة النورة في رحلته للحج. غادر الحجاز عام 1917 قاصداً دمشق، حيث اشتغل بتدريس الآداب العربية بالمدرسة 'السلطانية' مع إلقاء الدروس في الجامع الأموي. في عام 1920غادر الإبراهيمي دمشق نحو الجزائر، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة سطيف، و أنشأ بها مسجدا حرا (غير تابع للإدارة الحكومية) بعد أن رفض الوظيفة التي عرضتها عليه الإدارة الفرنسية، و عمل بالتجارة لكسب قوت يومه. كان الشيخ واضع دستور الجمعية و قانونها الأساسي، و أصبح نائبا لرئيسها الشيخ ابن باديس، و لما كلف بالمقاطعة الغربية من البلاد أسس بمدينة تلمسان'مدرسة دار الحديث' سنة 1937م.

تعرض الشيخ للنفي إلى قرية 'آفلو' في الجنوب الغربي من الوطن عند بداية الحرب العالمية الثانية. و بعد أسبوع من ذلك عين رئيسا للجمعية بعد وفاة مؤسسها عبد الحميد بن باديس، فأدار شؤونها بالمراسلة مدة ثلاثة سنوات إلى أن أطلق سراحه عام 1943م. ومنذ ذلك الحين انطلق كالسهم يؤسس المدارس و المساجد و النوادي، و يجوب الربوع يهيئ العقول لساعة الصفر.

وفي حوادث الثامن من ماي 1945م سجن، و بقي سنة تعرض فيها للمرض و دخل المستشفى العسكري بقسنطينة. و بعد إطلاق سراحه أعاد نشر جريدة 'البصائر' التي توقفت أثناء الحرب، و أسس معهدا ثانويا في السنة الموالية، سماه على المرحوم عبد الحميد بن باديس، و قد لقيت

[1] – ينظر الفكر العربي الحديث و المعاصر:عبد الكريم بوصفصاف، د ط ، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص262-263.

شهادته اعتراف جامعة الزيتونة و معاهد الشرق. و في سبيل البحث عن معاهد و جامعات تستقبل البعثات الطلابية في المشرق، و كسب المدد المادي و المعنوي للجمعية؛ رحل ثانية إلى المشرق العربي عام 1952م، و أخذ يعرف بقضية الجزائر في الأوساط السياسية و لدى جامعة الدول العربية، فزار المملكة العربية السعودية و العراق و سوريا و الأردن و الكويت وباكستان واتخذ من مصر منطلقا لنشاطاته حتى إذا اندلعت الثورة التحريرية وجه نداء في 15 نوفمبر 1954م إلى الشعب الجزائري يدعوه للالتفاف حولها و نصرتها. و واصل الشيخ جهاده في الخارج من أجل الثورة الجزائرية، معرفا و مدافعا و جامعا للمدد المعنوي و المادي حتى الاستقلال. رجع إلى الجزائر و ألقى أول خطبة له بمسجد 'كتشاوة' بالعاصمة، استقر بها إلى أن توفي في 20 ماي 1965م[1].

من مؤلفاته في اللغة ما يلي[2]:

1. كتاب :'بقايا فصيح العربية في اللهجة العامة للجزائر' و التزم فيها اللهجة السائدة اليوم في مواطن بني هلال بن عامر.
2. كتاب:'النقايات و النفايات في لغة العرب' جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله.
3. كتاب:'أسرار الضمائر في العربية'.
4. كتاب:'التسمية بالمصدر'.
5. كتاب:'الصفات التي جاءت على وزن فعَل' بفتح العين.
6. كتاب:'نظام العربية في موازين كلماتها'.
7. كتاب:'الأطراد و الشذوذ في العربية' وهي رسالة في الفرق بين لفظ المطرد و الكثير عند ابن مالك.
8. كتاب:'ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة' وهي رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء كلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
9. رواية:'كاهنة أوراس' بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة و الخيال.
10. رسالة في مخارج الحروف و صفاتها بين العربية الفصيحة و العامية.

---

[1]- ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1، ص9-16.و يترجم الشيخ لنفسه في:ج5،ص272-291.

[2]- ينظر المرجع نفسه،ج5،ص288-289.

المبحث الثاني:

السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.

المطلب الأول : عناصر رسم السياسة اللغوية عند جمعية العلماء.

المطلب الثاني: تقييم جمعية العلماء لسياستها اللغوية.

المطلب الأول : عناصر رسم السياسة اللغوية عند جمعية العلماء.

إن اللغة العربية "جعلها ابن باديس رديفة الإسلام، و خصص لها مكانة في مشروعه الإصلاحي، و أعطاها الرتبة الثانية ضمن بنود شعاره الوطني الثلاثي الأبعاد، الذي أشرنا إليه سابقا(الإسلام، العربية، و الجزائر)"[1]. إلا أن الباحث لا يكاد يعثر على مصطلح 'السياسة اللغوية' في أدبيات جمعية ع م ج. و أن وجدت كثير من المصطلحات المعاصرة التي تستعملها للسانيات الاجتماعية(الترسيم - وظيفة اللغة- الاندماج- ..) بل و حتى المنهج العلمي للسانيات الاجتماعية رغم التأثير السلفي على الجمعية.

1- من رسم السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين ؟

إنها جمعية علماء المسلمين، وهي **جمعية غير سياسية ذات طابع إصلاحي اجتماعي، مُعْتمَدة لدى إدارة الاحتلال**. قد وافقت الإدارة الفرنسية على قانونها الأساسي. فماذا جاء فيه؟ وما قيمته اللسانية الاجتماعية؟

مما جاء في القانون الأساسي للجمعية[2]:

الفصل الأول: تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين'مركزها الاجتماعي بالجزائر في 'نادي التقدم'(الترقي) ساحة الجمهورية.

الفصل الثاني:هذه الجمعية مؤسسة طبق نظام الجمعيات المبينة بالقانون المؤرخ بغرة جويلية عام 1901.

الفصل الثالث:لا يسوغ لهذه لجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية.

الفصل الرابع:القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر و الميسر والبطالة و الجهل و كل ما يحرمه صريح الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين الجاري بها العمل.

---

[1]- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 85.

[2] – الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله،ج2،ص 433.و جمعية العلماء المسلمين :أحمد الخطيب،ص265-269.نقلا عن القانون الأساسي للجمعية، المطبعة الجزائرية الإسلامية،قسنطينة،1937م.و نشير إلى أن القانون قد جرى تعديله في أكتوبر 1951م.

الفصل الخامس: تتذرع الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها. ومنها أنها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة .

الفصل السادس: للجمعية أن تؤسس شُعَبًا في القطر و أن تفتح نوادي و مكاتب حرة للتعليم الابتدائي.

الفصل الرابع عشر: مالية الجمعية تتركب على مجموعة اشتراكات الأعضاء العاملين والمؤيدين و الشرفيين .

الفصل الخامس عشر: للجمعية الحق في طلب و قبول إعانات مالية من السلطات الحقوقية.

الفصل التاسع عشر: يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها و يوجبه الوصول إلى غايتها المبينة بالفصل الرابع من هذا القانون الأساسي.

عند تحليل هذا القانون من الوجهة اللسانية الاجتماعية، فإن أهم ما يمكن ملاحظته فيما يتعلق برسم السياسة اللغوية مايلي:

1- الجمعية جمعية غير سياسية و ذات طابع إصلاحي اجتماعي. فهي **ليست دولة و لا تشغل أي منصب في الدولة**. كما لا تمثل أي جهة حكومية؛ **فلا تملك أي السلطة التشريعية أو التنفيذية أو القضائية**.و ليس بين يديها أي صلاحيات سياسية. و رغم كل هذا **لا تمنعها اللسانيات الاجتماعية من رسم سياسة لغوية،** إذ السياسات اللغوية تقر بإمكانية إنشاء سياسة لغوية من طرف جماعة محدودة أصغر من الدولة[1].

2- الجمعية أصبحت جمعية قانونية، معترف بها، و قد أخذت شرعيتها من إدارة الاحتلال الفرنسي باعتبارها السلطة الحاكمة للجزائر آنذاك. و هذا يجعل كل نشاطاتها شرعية إذا لم تخرج عن إطار ما حدده قانونها الأساسي. فكما يبدو فإن الجمعية تحت سلطة الدولة، لكن ظروف الاحتلال فرضت على الجمعية التحرك خارج إطار هذه الدولة، و بعيدا عن أعين سلطة الإدارة الفرنسية في كثير من الأحيان.

3- هذه الجمعية أصبحت لها تسمية قانونية هي:'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين'. وهذا يزيد من تأكيد إمكانية إنشاء سياسة لغوية للجمعية، لأن الجمعية هي تجمع منظم لعلماء ذوي ميول إصلاحي ديني أساسا، و ميول إصلاحي لغوي و اجتماعي كذلك.

---

[1] - ينظر. La Guerre des Langues:Calvet,p155. و ينظر علم الاجتماع اللغوي: كالفي،ص111.

4- كل من انتمى إلى هذه الجمعية أصبح انتماؤه قانوني، و نشاطه مؤطَر بأهداف وإستراتيجية الجمعية، و إسهاماته الإصلاحية تأخذ طابع الجمعية. أما المتعاطفين و غير المنتمين لها، فالجمعية لا تتحمل مسؤولية نشاطاتهم. إذ بإمكان أعداء الجمعية استغلال سياستها اللغوية، و هذا يعني تسييس السياسة اللغوية للجمعية، خاصة أن سلطة الدولة الفرنسية انطلت عليها حيلة الجمعية عندما ظفرت بشرعيتها القانونية، فلم تتمكن هذه الإدارة من تحييد الجمعية، و منعها من رسم سياسة لغوية للجزائر خارج إطار السياسة اللغوية الفرنسية. وهذا سيدفع الإدارة الفرنسية إلى محاولة استغلال السياسة اللغوية للجمعية بما يخدم مصالحها، ونماذج ذلك ستأتي لاحقا. و هذا يؤكد أن في السياسة اللغوية سياسة، و أن التدخل على اللغة أو اللغات له طابع اجتماعي و سياسي جم كما يقول 'كالفي'[1]. فالإدارة الفرنسية حاولت التدخل في وظائف اللغات المحلية لأغراض غير لغوية، لإدخال البلاد في تآكل داخلي، و قد تمكنت من تجنيد النخب المضادة لغويا للجمعية، و على رأسهم جماعة النخبة و بعض الأفراد من الأمازيغ، وأحسنت استغلالهم لتعطيل المشروع اللغوي للجمعية لصالح المشروع اللغوي والثقافي الفرنسي.

5- الجمعية تتحمل مسؤولية أي خرق قانوني لمواد القانون الأساسي. لذا حرصت الجمعية حرصا كبيرا على الالتزام بما تعهدت به في قانونها الأساسي، حتى لا تعطي للإدارة الفرنسية فرصة تدارك خطأ الاعتراف بها فتعمد إلى حلِّها. وحتى تُظهر كل الضغوطات الفرنسية على السياسة اللغوية للجمعية أنها ممارسات غير شرعية، فتُحرج الجمعية هذه الإدارة الفرنسية التي تعتبر نفسها حاملة لواء العدالة و الديمقراطية للجزائر.

6- الجمعية تؤكد على أنها جمعية إرشادية تهذيبية. و الحق أن العمل في مجال السياسة اللغوية، هو عمل على أهداف سياسية و إن لم يُرد أصاحبه ذلك. لأن الصراعات اللغوية وجه من وجوه الصراعات السياسية كما يقول 'كالفي'[2]. لذا حتى لو صرحت الجمعية في قانونها الأساسي أن هدفها محاربة الآفات الاجتماعية، وليس من حقها التدخل في المسائل السياسية، فإن **الجمعية بالمنظور اللساني الاجتماعي لا يمكن فصلها- باعتبارها راسمة لسياسة لغوية- عن العمل السياسي و لا الثقافي و الاقتصادي**. لأن" خَلْف كل حرب لغوية

---

[1] – ينظر السياسات اللغوية: كالفي، ص29. و ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر، ص155.

[2] – ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p282.

حرب من نوع آخر:اقتصادية أو ثقافية أو غيرهما"كما يقول 'كالفي'[1]. و يؤكد كثير من الدارسين للجمعية أن أهدافها غير المعلنة كانت أهدافا سياسية[2]. أو على الأقل تطورا في مسارها الإصلاحي.

7- اتخاذ الجمعية لمركز اجتماعي بالجزائر في نادي الترقي بساحة الجمهورية بالجزائر العاصمة، يوحي بثلاثة أشياء:

أ. مركزية القرار: باعتبار العاصمة المركز الإداري للدولة. كما أن العمل المركزي يزيد من حظوظ نجاح السياسية اللغوية، فلا تتفرق الأهداف و تتلاعب بها الأهواء و التيارات. ثم إن عاصمية المقر الإداري يكسب الجمعية بعدا وطنيا.

ب. العمل وفق الشرعية القانونية وتجنب العمل السري: أي العمل في وضح النَّهار، بلا تخفي و لا هروب من أعين الإدارة الفرنسية، التي تفتعل الحجج للإجهاز على مثل هذه المشاريع الإصلاحية. وهذا يزيد من أنصار الجمعية و المتعاطفين معها، حتى من غير الجزائريين و المنصفين من أبناء فرنسا.

ج. لفظ العاصمة يزيد الجمعية هالة من الفخامة و الإجلال و الرمزية: لما في مصطلح العاصمة من انزياحات دلالية، فهو يوحي بالشرعية الوطنية و الحُظوة الاجتماعية و السمعة الوطنية و الدولية.. ولعل هذا أيضا كان من الأسباب التي جعلت الجمعية تختار العاصمة مقرا لكليةٍ عربيةٍ كانت تنوي إنشاءها مستقبلا كما سيأتي لاحقا.

8- في الفصل الخامس و السادس: أبقت الجمعية على المجال مفتوحا أمام الوسائل التي ستنشط بها. و أكدت على حق التنقل عبر كامل التراب الوطني و في أي وقت. كما لها الحق في توسيع مجال عملها عبر خلايا تنظيمية تشرف عليها الإدارة المركزية إشرافا مباشرا. ومن دلالات هذين الفصلين من الناحية اللسانية الاجتماعية ما يلي:

أ- الإبقاء على الباب مفتوحا أمام الوسائط التي تحقق الأهداف: و هذه غاية المرونة في مواجهة واقع التطور العلمي و النظري و المؤسساتي الذي يفرضه العصر، فقد يرميهم الازدهار العلمي و التكنولوجي بنظريات و وسائل مفيدة، فتستفيد الجمعية من مغانمها. و قد حصل فعلا عند تأسيس فرق الكشافة الإسلامية أسوة بالكشافة المسيحية، و استفادت من منشآت

---

[1] – المرجع السابق،ص282.

[2] – ينظر الحركة الوطنية: أبو القاسم سعد الله،ج3،ص85.

العصر كالملاعب و قاعات السينما و المسارح.. بل و اعتماد الصحافة منبرا حرا لعرض أفكارها اللغوية و الدفاع عنها.

ب- فتح الباب أما الوسائط يعتبر قمة الدهاء في التعامل مع عدو ماكر. بل هو قانون "الحديد بالحديد يفلح" و "كما تدين تُدان"،و هو وقوف في وجه الاحتلال الند للند، فكما يحسن هو استغلال الفرص، فللجمعية ذلك أيضا قانونيا على الأقل. وهذا يعبر عن سياسة لغوية مضادة للسياسة اللغوية الفرنسية و بوسائلها.

ج- توسع السياسة اللغوية للجمعية لتكتسح كل التراب الوطني، و هذا فيه تشتيت لجهود الاحتلال في تتبع نشاطات الجمعية و محاصرتها في أرض هي أعرف بها منه. و فيه تخفيف من وطأة بعض ضربات السياسة اللغوية الفرنسية المضادة التي قد توجه للجمعية، فمثلا لو قدر لفرنسا أن تفرض مُدَرِّسين للغة الفرنسية في مدارس الجمعية فلا يمكنها أن تعمم ذلك على كل ما تملكه الجمعية من مرافق تعليمية. و لا أن تفرض إجبارية متابعة التلاميذ لها.

د- لعل الفصل السادس قد أسال لعاب الإدارة الفرنسية و سرَّع من موافقتها على القانون الأساسي للجمعية، لأنها كانت تنتظر سيطرة أتباعها على الجمعية[1]، و هذا يعني مزيدا من السيطرة على الناحية الدينية، و إمعانا في تجهيل الشعب الجزائري بدينه و لغته، عن طريق هذه المؤسسة التي ولدت من رحم الشعب و يقودها علماء الأمة. و لكن قُدِّر للجمعية الانفلات من هذه الأحبولة بإخلاص أتباعها و صواب عملهم.

9- تمويل الجمعية: إن من أهم عوامل نجاح السياسات اللغوية هو الغلاف المالي، لأن توفير الموارد المالية للسياسة اللغوية يعني بالدرجة الأولى ضمان نجاحها و استمرارها، وضمان عدم تعرضها للقرصنة بتغيير مسارها لخدمة أهداف غير لغوية للانتهازيين. فالجمعية عام 1940م رفضت عرضا تقدمت به إدارة الاحتلال لتمويل تعليم الفرنسية في مدارس جمعية العلماء[2]. فالتمويل الذاتي للجمعية يضمن عدم قطع الطريق على هذه السياسة اللغوية و يحفظ انجازاتها. وهو ما يظهر خاصة في مرحلة التنفيذ. لذلك عمدت الجمعية إلى تحييد كل الموارد غير الشرعية التي تسيء إلى رموزها في المجلس الإداري، أو إلى المنخرطين معها في تنفيذ سياستها اللغوية، فلا يُتهمون بالخيانة أو العمالة. بل تدبَّرت بنفسها ما يكفل قيمة الدخل الفردي

[1] - ينظر المرجع السابق، ج3،ص81.

[2] - ينظر" وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 70.

لكل عامل على تنفيذ هذه السياسة، بما يكسبه الاحترام و يشعره بالأمان، والرفاهية عند العمل. فهذا الريع الذي سيُوزَّع على المستوى الفردي و الاجتماعي هو ما تحرص على تحقيقه السياسات اللغوية كما يقول'فري''Fery'[1].

هذا إجمالا عن المكانة اللسانية الاجتماعية لجمعية العلماء بميزان السياسات اللغوية . فما المكانة اللسانية الاجتماعية لعلمائها؟

لقد طرحت مسألة المؤهلات الفكرية و الدينية لأعضاء الجمعية غداة تكوين الجمعية مباشرة، في صراع بين أصحاب الفكرة و بين المترصدين بها من الطرقية و المرابطين و أتباع الإدارة الفرنسية، والذين تم استبعادهم في السنة الموالية للتأسيس مباشرة عند انتخابات مجلس الإدارة. فابن باديس و من معه رفضوا أعضاء لم تمتحن بعد قناعتهم الإصلاحية[2]. لأن **"عبارة العلماء هنا تعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي و توجيههم الإسلامي، أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا و وطنيا"**[3]. و الأهداف السياسية لا تتحقق إلا بالدِّراية الواسعة بالحالة العامة للجزائريين، أما الأهداف اللغوية فتقتضي الدراية بالحالة اللغوية و الاجتماعية خاصة. وهو ما تحقق في شخصية ابن باديس و رفيقه الإبراهيمي.

فالشيخ عبد الحميد بن باديس و الإمام محمد البشير الإبراهيمي شكلا رأس الحكمة في منطلقات و أهداف الجمعية بفقههما الدقيق للواقع. و هذا ليس مدحا بما ليس فيهما، فبلوغهما مرتبه الاجتهاد و تفسير كتاب الله يجعل منهما لا مجرد مصلحيْن اجتماعييْن كما ينص قانون الجمعية، بل إن **مرتبة الاجتهاد و التفسير لا تحق إلا لمن زكاه علماء عصره على أنه عالمٌ عاملٌ حقا**. فماذا قيل عنهما؟ وهل في التَّزْكيات و التقاريض ما يبرز مكانتهما اللغوية الاجتماعية؟

يبين 'عمار طالبي' كيف جمع عبد الحميد بن باديس بين شخصية اللغوي و شخصية المحلل الاجتماعي:" إن شخصية الأستاذ عبد الحميد غنيَّةٌ و معبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي

[1] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص155.

[2] – ينظر الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد،ص 151.

[3] – الحركة الوطنية :أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 385.

لا تماثلها إلا شخصية 'جمال الدين الأفغاني'»..« فعبد الحميد بن باديس **مفسرا للقرآن الكريم تفسيرا سلفيا يراعي فيه مقتضيات العصر** معتمدا على بيان القرآن للقرآن، و بيان السنة له، **وعلى أصول البيان العربي و سننه**، و النفاذ إلى لغة العرب و آدابها و قوانين النفس البشرية **وسنن المجتمع الإنساني و تطور التاريخ و الأمم**«..» و هو الدارس لكتاب 'الأمالي' و 'ديوان الحماسة'، و 'ديوان المتنبي'، و 'مقدمة ابن خلدون'، و 'العواصم من القواصم'، و'دلائل الإعجاز'، و 'أسرار البلاغة'، و هو شاعر يفيض الشعر من قلبه، و خطيب ينسيك 'سحبان' و'قس'»..«و هو **مصلح ديني و اجتماعي** يحارب التقليد و البدع، و يدعو للنهضة و الحضارة «..»وهو صحفي قدير يقضي ليله في إعداد المقالات و قراءة الجرائد والمجلات العربية الآتية من البلاد العربية و الإسلامية و الأجنبية المكتوبة باللغة الفرنسية ويعلق عليها و يرد. و هو مؤرخ **يحلل الحضارة و ينقد مقدمة ابن خلدون**.."[1].

أما **الإمام محمد البشير الإبراهيمي فقد شارك في تأسيس المجمع العلمي بسوريا** الذي كان من غاياته تعريب الإدارات الحكومية، و تكوين الإطارات المسيرة له[2]. وهذه التجربة تدل على امتلاك الإمام لناصية **علم فقه اللغة** الذي تقوم عليه كثير من مباحث علم اللسانيات الاجتماعية.

وقد أجمل 'أحمد توفيق المدني' صفات الإمام و التي منها الاطلاع الواسع العريض حتى يخيّل إليك أن معلومات الدنيا قد جُمعت عنده. مع ذاكرة مرنة طيعة جعلته أشبه بالعقل الإلكتروني. فهو كدائرة معارف لعلوم الدين و علوم الدنيا وشتى أنواع الأدبين القديم و الحديث بين منظوم و منشور، و تاريخ الرجال و الأمم و الدول، و أفكار الفلاسفة و الحكماء من كل عصر و مصر، و بدائع الملح و الطرائف و النكت. كما تميز بفصاحة اللسان، و روعة البيان، و إلمام شامل بلغة العرب، لا تخفى عليه منها خافية، و دراية كاملة بجميع ما في وطنه الجزائر، يكلمك عنه كلام خبير بأصول السكان و قبائله، و أنسابه و لهجاته، و عادات كل ناحية

[1] - ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج 1،م1، ص90-92.

[2]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب،ص 149.

منه، و أخلاقها، و تقاليدها، وأساطيرها الشعبية، و أمثالها، و إمكاناتها الاقتصادية، و ثرواتها الطبيعية[1].

يذكر تلميذه 'عبد المجيد مزيان' أنه كان من أعلم أهل عصره بالعلوم الإسلامية والعربية، فقد كان إماما لا نظير له في علوم الحديث والتفسير و كان مؤرخا بارعا، يتطرق إلى فلسفة التاريخ و علم الاجتماع و الأخلاق و هو أستاذ في اللغة و الآداب العربية، يجمع بين الأصيل و الجديد[2].

و يقول عنه ابنه أحمد طالب الإبراهيمي:"سألني[والده] في أحدى ليالي عام 1948م-وأنا بقسم الفلسفة في خاتمة تعليمي الثانوي- عن آخر درس تلقيته في علم النفس، فأخذ رأس الموضوع و شرح لي آراء 'وليم جامس''William James' أحد مؤسسي المذهب العلمي (البراجماتي)، و تحدث عن كثير من مفكري الغرب، ممن لم أكن سمعت بهم قبل ذلك اليوم مثل 'دارون''Darwin' و 'جون لوك''John Locke' و 'جون ستيوارت ميل''John S.Mill' إلخ. كما أوضح لي مساهمة العلماء المسلمين في كثير من الجوانب"[3].

يقول 'محمد إبراهيم الكتاني':" **إذا تحدث في اللغة العربية و الأدب خلته أبا علي القالي في اطلاعه و استحضاره و فهمه و أمانته و ما أجدره بمنصب عميد للأدب العربي في أرقى جامعة عربية**«..».وهو مفسر و محدث و فقيه و أصولي نظّار، متضلع في معرفة أسرار الشريعة و مقاصدها، قد **توفرت فيه على أتم وجه و أكمله و أوفاه جميع شروط المجتهد المطلق** فكان مستقلا غير مقلد«..»وهو **مؤرخ جغرافي حجة يحدث عن كل بقعة في القطر الجزائري، و سكانها و أصولهم و أنسابهم و مصاهراتهم و عوائدهم و أعرافهم و أخلاقهم وطبائعهم و مميزاتهم و اقتصادياتهم و أدبياتهم، ومن نبغ فيهم من شخصية** بارزة في العلم والحرب و السياسة و الإدارة، وما حدث في كل بقعة من حرب و فتن و هجرات في مختلف

---

[1]- ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص17. نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية،القاهرة،عدد 24. يناير1969.

[2]- ينظر المرجع نفسه،ج1، ص18.

[3]- المرجع نفسه،ج1، ص18.

العصور، و عما فيها من معادن و ما تنبته أرضها«..»وهو اقتصادي كبير: تاجر ممتاز، وفلاح بارع، و نباتي خبير"[1].

لكن **الإبداع الذي لم يُسبق إليه، نجده في شهادته على نفسه حين قال** في رسالة لأحد معارفه:"..كما أنني **اشتغلت هذه الأشهر الأخيرة بتحرير مباحث في فلسفة اللغة و وقائع من التاريخ الإسلامي لم تحرر قبل الآن** و ستكون كتبا مستقلة نافعة إن شاء الله"[2].

ومع ذلك لمن لم يقتنع بمكانته اللسانية الاجتماعية؛ فليقرأ ما جاء في رحلته إلى باكستان تحت عنوان 'مشكلة اللغة'[3]، ليرى كيف يتسامى الإمام الإبراهيمي فوق كل عالم لغة اجتماعي.

إن من جملة العلوم التي برز فيها الشيخان، علم التفسير و العلم الحديث و علم أصول الفقه، و هي علوم لا يخوض فيها إلا من كان ضليعا في علوم اللسان، لأنها من علوم الآلة التي بها يتوصل إلى معرفة مراد الله من وحيه[4].

إن التركيز على المكانة اللغوية الاجتماعية للشيخين، لا يعني إلغاء قيمة العمل الجماعي الذي اضطلعت به الجمعية، و لكن تكريسا لقول 'كوبر' حين أكد على عدم استبعاد الجهود الفردية في رسم السياسات اللغوية[5].

مما تعتمد عليه السياسات اللغوية المعاصرة ما يعرف بالتجربة المحدودة قبل التعميم. وهو ما قام به ابن باديس فعلا؛ فقد بدأ تجربته الإصلاحية في قسنطينة ثم عممها. فقد أنشأ

1- "الإمام محمد البشير الإبراهيمي":محمد إبراهيمي الكتاني، مجلة الوعي، العدد2، نوفمبر 2009،ص 8.

2- رسالة من الإبراهيمي إلى أحد معارفه:الوعي، العدد2، ديسمبر 2009، ص29.

3- ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج4،ص37-42.

4 - ينظر الموافقات في أصول الشريعة:أبو إسحاق الشاطبي،تحقيق عبد الله دراز،د ط،دار المعرفة،بيروت،لبنان،د ت،ج1،ص3. يقول عبد الله دراز في مقدمة الكتاب:"..حذق اللغة العربية بهذه الدرجة ركنا من أركان الاجتهاد.كما تقرر ذلك عند عامة الأصوليين". ويقول الشاطبي في موضع آخر:"..إن كان ثمَّ علم لا يحصل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه فهو بلا بد..علم اللغة العربية.."ج4، ص114.و يقول الزركشي في البرهان حول حاجة المفسر للغة العربية:" فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم، وما لا بد فيها من استماع كثير؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، فما كان الرجوع فيه إلى لغتهم، فلا بد من معرفتها أو معرفة أكثرها، إذ الغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق الفهم ليفتح بابه، و يستدلَّ المريد بتلك المعاني التي ذكرناها من فهم باطن علم القرآن و ظاهره". البرهان في علوم القرآن:بدر الدين الزركشي،ط3،دار الفكر،د ت،1980، ج2، ص155.

5 - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص70-71.

'جمعية التربية و التعليم الإسلامية' بقسنطينة عام 1930م، و وضع قانونها الأساسي ونالت الترخيص من السلطات الاستعمارية. و تمرس في إدارتها و مواكبة زخمها، فما إن لقي التأييد الواسع لفكرة إنشاء جمعية توحِّد جهود العلماء العاملين، حتى أخرج سياسته التربوية من البعد الفردي إلى البعد الجماعي.

هذه إذًا حقيقةُ مَن نسج السياسة اللغوية من العلماء تحت غطاء شرعية جمعية علماء المسلمين. فصانعا السياسة اللغوية للجمعية تنطبق عليهما مواصفات اللسانيين الاجتماعيين. كما وجدنا أن الوضع القانوني للجمعية ينفي أي مانع لا يسمح لها بامتلاك سياسة لغوية، لا على المستوى القانوني للسلطة الحاكمة، و لا من الوجهة اللسانية الاجتماعية.

2- لمن رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟

لقد حدد الفصل الأول من القانون الأساسي للجمعية بعد تعديله سنة 1951م، رقعة نشاط الجمعية فقال:"ميدان عملها حيث يوجد المسلمون الجزائريون في القطر الجزائري و فرنسا"[1]. و هو ما تقره السياسات اللغوية، حيث تستهدف في مستوياتها الكبرى، المستوى القومي للدولة، كما تستهدف الأنشطة التي تتجاوز حدود الدولة، كما يقول 'كوبر'[2].

و قد تأكد ذلك أيضا في سنة 1934م، حيث ورد في 'الشهاب' - مجلة العلماء غير الرسمية - هدف الجمعية و القطاعات الجغرافية و الحياتية المستهدفة بالإصلاح ، فقالت إنه يتمثل في:"إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية، و الوطنية، و الأدبية والعلمية"[3].

فبناء على هذا التحديد يتضح أن **السياسة اللغوية للجمعية-التي هي جزء من الإصلاح- تمتد على محورين؛** محور إصلاح اللغة عند **الفرد** الجزائري داخل الوطن و في فرنسا، ومحور إصلاح اللغة في **المحيط** الديني و الوطني و الأدبي و العلمي لهذا الفرد. يقول الإمام بن

[1] - التعليم القومي: تركي رابح. ص399.
[2] - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص78.
[3] - الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 397.

باديس عن اللغة العربية:" لا رابطة تربط بين ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر ومستقبلنا السعيد، إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة"[1]. فهو يعتبرها أداة تفاعل الفرد مع كل مقومات شخصيته الدينية و القومية والوطنية و مع الماضي البعيد و حاضر و المستقبل.

3- لماذا رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟

يلاحظ 'ساطع الحصري' أن أي شعب لا يفقد حياته و كيانه إلا عندما يفقد لغته، ويصبح من الناطقين بلغة حُكامه. في هذه اللحظة بالذات يكون الشعب قد انصهر في بوتقة الغزاة، واندمج فيهم اندماجا يفقده كل هويته[2]. وهو التغير اللساني الاجتماعي الذي بدأ يحدث لصالح إدارة الاحتلال. و الذي يجعل رسم سياسة لغوية مطلبا ملحا عند 'كوبر'[3]. يقول 'الرافعي':"لا جَرَمَ كانت لغة أمة هي الهدفَ الأول للمستعمرين؛ فلن يتحوَّل الشعْب أوّل ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره و عواطفه و آماله.."[4].

لذا كانت **الجمعيةَ ترى رسم سياستَها اللغوية أكثرَ من مطلب ملح؛ بل هو واجبٌ ديني و ضرورة حضارية،** لأن الردة اللغوية بدأت تكتسح قطاعات واسعة من الجزائر. وهذا وفقا للسانيات الاجتماعية يعتبر مبررا مقنعا لظهور سياسةٍ لغوية للجمعية، تكون بمثابة سياسة مضادة للسياسة اللغوية الفرنسية، و قادرة على إعادة ترتيب البيت اللغوي الجزائري، بقلب موازين القوى لصالح اللغات الأصلية للوطن. يقول ابن باديس مبينا خطورة هذا الانزلاق اللغوي:"و لو أن الجزائريين مثلا تخَلوا عن لغتهم تحت ضغط الاحتلال، و استبدلوها بلغة المحتل(اللغة الفرنسية) لكان الذي ينهار ليس هو اللغة العربية وحدها و لكن تنهار معها

---

[1]- ابن باديس حياته وآثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص265.نقلا عن البصائر،السنة4،العدد171، 22جوان1939.

[2]- ينظر التعليم القومي:تركي رابح،ص 28،نقلا عن ما هي القومية،ساطع الحصري،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،1963، ص259.

[3] - ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص 219-220.

[4]- من وحي القلم:مصطفى صادق الرافعي،د ط، 2005،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،2005،ج3، ص22.

الشخصية الجزائرية بكل ميراثها الثقافي و الحضاري"[1]. كما أن تطبيق خطاطة 'ميشال زكريا'[2] لقياس النفوذ اللغوي يكشف سيطرة الفرنسية على الميادين الحيوية (التعليم،الإدارة، المصانع، الترفيه،القراءة، الكتابة..) وانحصار العربية بتنوعيها. فهل هدف الجمعية من التدخل هو التأثير على اللغة أم اللغات؟ أم حل بعض المشكلات اللغوية؟

أولا: التأثير على اللغة أم التأثير على اللغات؟

إن السياسات اللغوية تهدف عند رسمها إلى شيئين أساسين هما:التأثير على اللغة والتأثير على اللغات. ولكن **في السياسة اللغوية للجمعية لا أثر لنية التدخل للتأثير على بنية اللغة العربية**، إذْ لم يكن يعوزها الاكتمال إلا من جهة المعجم، فقد كانت تلح الحاجة على ابتداع وحدات معجمية لسد الثغرات المفرداتية في مواجهة تطور مناحي الحياة السياسية والعلمية وغيرهما، التي واكبت المد الاستدماري الذي اجتاح البلاد العربية عامة و الجزائر خاصة.

لكن يبدو أن **من أهداف الجمعية التدخل للتأثير على وضعية اللغات في الجزائر**، بمحاولة إعادة تنظيم التعدد اللغوي، و إعادة فرز الوظائف المسندة لكل لغة.

لقد حصر علماء اللسانيات الاجتماعية أهداف التدخل للتأثير على اللغات، في أحد ثلاثة احتمالات، أجملها 'ميشال زكريا' كما مر سابقا[3]. و يبدو أن هدف تبني لغتين رسميتين هو خيار الجمعية، بحثًا عن العدل -على الأقل- في التعامل بين المجموعتين اللغويتين المتمايزتين اللتين تتقاسمان تراب الدولة الجزائرية آنذاك؛ وهي مجموعة الفرنسيين و مجموعة الجزائريين.

فإذًا جواب لماذا رسمت الجمعية سياسة لغوية؟ هو إعادة الارتقاء مرحليا بالعربية إلى صف الفرنسية على الأقل، ثم إلى صف أعلى من صف الفرنسية بإعادة تعريب مناطق نفوذها. وهو هدف لغوي بحت.

---

[1]- التعليم القومي:تركي رابح،ص 30. نقلا عن "الجنسية القومية و الجنسية السياسية":ابن باديس،الشهاب، ج12،م12،عدد فبراير1937، ص505. و قد عُدْت للمقال في ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2، ص 352- 354. ولم أجد ما نقله رابح تركي.

[2]- ينظر قضايا ألسنية تطبيقية: ميشال زكريا،ص45. و ينظر الفصل الأول،المبحث الرابع، المطلب الرابع.ص39-40.

[3]- ينظر المرجع نفسه،ص16. يراجع الفصل الأول، المبحث الثالث (لماذا ترسم السياسة اللغوية؟).ص37.

و في الحقيقة الدافع الحقيقي الذي شجع الجمعية على رسم سياستها اللغوية ليس مجرد الارتقاء بالعربية؛ بل حل مشكلة الهوية• التي تهدد الجزائر. وهو مطلب غير لغوي ولكنه لا يتعارض مع أهداف رسم السياسات اللغوية[1].

و لعل **الجمعية بإدراكها المبكر لضرورة التحرك نحو نشاط لغوي لا يمس البنية اللغوية بل يمس البنية الاجتماعية عن طريق اللغة، يعتبر إدراكا واعيا و هدفا غير معلن في ذات الوقت.** وهذا يبرز التقدم الفكري للجمعية في إدارة صراع لم يستوعب الاحتلال أبعاده الحضارية آنذاك، ولم يتمكن من فرز خيوطه لسيطرة منطق السلاح على تفكيره.

ثانيا: حل بعض المشكلات اللغوية الاجتماعية:

I- الثنائية اللغوية في السياسة اللغوية للجمعية:

أ- ثنائية 'فرجسون' في السياسة اللغوية لجمعية العلماء:

لا يمكن للسياسة اللغوية التي رسمتها الجمعية أن تتجاهل قضية الثنائية اللغوية دون أن تحدد موقفا منها.فكيف تعاملت السياسة اللغوية للجمعية مع ثنائية 'فرجسون' اللغوية التي تجمع فيها لغة واحدة بين تنوعين رفيع و وضيع؟

يقول 'محمد الميلي' مدافعا عن السياسة اللغوية للجمعية و موضحا موقفها من الثنائية اللغوية:" في هذا السياق تنبغي الإشارة إلى زيف مقولة ظهرت في هذه الفترة، تزعم أن البادسيين أرادوا أن يفرضوا اللغة العربية الفصحى، بدل اللهجة المحلية التي كان لها أدبها وشعراؤها في القرن التاسع عشر، و أنهم كانوا مدفوعين لذلك من أجل منافسة لغة المحتل فقط،

• "مجموعة الخصائص و المميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة،و التي تتوارث عن ماضي ذي تاريخ و تراث،و بما في التراث من لغة و دين، و ما للأمة من انتصارات و انتكاسات و طموحات و انتماءات و خصائص؛تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره..".في الهوية الوطنية: صالح بلعيد،ص42.نقلا عن "أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي":عبد الهادي بوطالب. مطبوعات أكاديمية الرباط، العدد8، 1991،ص107-108.

[1] -ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص77.و ينظر السياسات اللغوية:كالفي، ص14.

أي الفرنسية. إن مفهوم هذه المقولة خطير«..» وهي اعتبار أن اللغة العربية الفصحى تضار اللهجات المحلية و الأدب الشعبي. كما إن المقولة نفسها تفرز فكرة جعل اللغة العربية في موقف عداء للغة الفرنسية"[1]. فالسياسة اللغوية للجمعية لم تكن عدائية تجاه العاميات.

إن الجمعية سعت بكل ما لديها لحفظ العربية من هذا الانشطار الذي تخطط له فرنسا لتنسف به اللغة العربية بتقويضها من الداخل. خاصة تقسيم العربية إلى ثلاثة تنوعات. واعتبرت الجمعية ما وُسِم بالعربية الوسطى، هو من التنوع الرفيع لا غير. لذا حرصت على أن يرتقي خطاب اللغة العربية إلى أعلى مراتب الفصاحة.

ولكن نزول الجمعية في لغة خطابها الفصيح، إلى أدنى مراتب الفصاحة أحيانا، لا يعني تلهيج الفصحى و لا إنشاء تنوع بين الفصحى و العامية في ظرف عصيب على اللغة العربية. بل هو استثمار للمميزات البنيوية- الصوتية و المفرداتية و التركيبية يوفرها هذا المستوى المزعوم- في خدمة قضية الإصلاح اللغوي. و من هذه المميزات البنيوية التي يوظفها زعماء الجمعية[2]:

- ❖ الاقتراب أكثر من اللهجات المحلية صوتيًا؛ فيميل كثير منها إلى التسهيل عوض التحقيق. و للإبراهيمي رسالة في مخارج الحروف و صفاتها بين العربية الفصيحة و العامية، مما يؤكد علمه الوافر بالتأثير و التأثر بين البنية اللغوية و البنية الاجتماعية.
- ❖ اعتماد التوليد و الاقتراض في المستوى المفرداتي، و لا تصل مفردات هذا المستوى إلى فصاحة العرب الأوائل.
- ❖ أما المستوى التركيبي فتظهر فيه الحركة الإعرابية و لكن بنوع من الاحتشام، كما يظهر فيه وفاء لعناصر الجملة و انتصار للجملة الاسمية. مع الابتعاد عن البلاغة.

---

[1] - "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص69-70.

[2] - ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص23.

إن السياسة اللغوية للجمعية اهتمت بلغة خطاب الجمعية، لذلك حاولت استثمار المميزات لسانية اجتماعية للعربية الفصحى في أدنى مراتب فصاحتها، و الهدف من ذلك[1]:

- تقليص المسافة المفهومية و البنيوية: بين عربية المنشأ الأصلي- وهي العربية العملية، وهي للمشافهة فقط - و العربية الفصحى والتي هي للكتابة خاصة. فرجال الجمعية يخاطبون الناس بما يفهمون، و لم يكن يعوزهم الثراء المفرداتي و لا تنقصهم الأساليب الفصيحة، بل كان الشيخان يمُذُلان الفصاحة دون عناء. و لكن "ما لا يدرك كله لا يترك كله" كما تنص المادة 64 من القانون الداخلي للجمعية[2]. فلا مبرر لترك فصاحة العربية بحجة عدم فهم الناس لها، ولكن الحَصَافَة في النزول بالفصاحة إلى الإفصاح، لأن لكل مقام مقال.
- التبليغ الشفوي العفوي أو الكتابي في المقامات الرسمية و الإجلالية: فزعماء الجمعية ينزلون بلغتهم الفصيحة في وسائل الإعلام و الدوائر الرسمية و في النقاشات السياسية.
- التخاطب و التواصل بين مثقفي العالم العربي:فكانت الجمعية تستعمل هذا التنوع في التخاطب بين العرب القادمين من مناطق مختلفة، لأنها لغة يفهمها أغلب سكان الحضر فهي تخلو من المميزات المحلية.

أما لغة الخطاب الذي توجهه الجمعية إلى الفئة المنشغلة بقضايا اللغة و الدين فهي لغة في أعلى مراتب الفصاحة. فالشيخ الإبراهيمي " شاعر مكثر، و أكثر شعره الرجز، و لعل أراجيزه تفوق مئة بيت. في الوصف و الهزل و الهجاء، فهو - و العياذ بالله- هجاء مقذع موجع «..» و هو يقول عن بعضها إنه أهجى بيت قالته العرب، و عن بعض آخر إنه أهجى بيت قاله البشر!"[3].

لذا فالسياسة اللغوية للجمعية تصر على المراوحة بين المميزات الوظائفية للتنوع الرفيع و الوضيع للعربية. فقد كان الشيخان يستعينان بالعامية و حتى بالنكت في السياقات المناسبة لها. كما كانا يوظفان أعلى مراتب اللغة العربية في فصاحتها التي تأسر القلوب و العقول وتستنهض

---

[1] - ينظر المرجع السابق،ص21-25.

[2] - ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1، ص 84.

[3] - "الإمام محمد البشير الإبراهيمي":محمد إبراهيمي الكتاني، مجلة الوعي، العدد2، ص 8.

الهمم. فابن باديس يجمع بين الفصيح من الشعر الجاهلي و المثل العامي في مقال واحد. يقول مستشهدا على جور فرنسا في اعتبار الجزائريين فرنسيين قال :" قال الشاعر[البحر الكامل]:

و إِذَا تَكُونُ كرِيهةٌ أُدْعى لهَا   و إذا يُحاس الحَيْسُ يُدعى جُنْدُبُ.

أو كما يقول مثلنا الدارج« وقت الدوا هاتوا بو نافع، وقت الشفا طيشوا الدرياس»، صبرنا على هذا الحيف طويلا و عالجناه بما استطعنا مرات كثيرة من جهات عديدة حتى جاء الوقت الذي نفد فيه الصبر و أعيا العلاج فقلنا البيت الثاني من قول الشاعر المتقدم:

هذا وَجِدَّكُمُ الصِّغَارُ بِعينِهِ   لا أُمَّ لي إنْ دَامَ ذاكَ و لا أَبُ "[1]

يُشِيد 'علي مراد' ببراعة الإبراهيمي في توظيفه للتنوعين، و يجعلهما سببا في تأثيره الكبير على المتلقي، فيقول عنه:"موهبته الخطابية و الدعوية و حبه للغة العربية التراثية وأسلوبه الأنيق و الأكاديمي و لطف حديثه المفعم بالأمثال و الحكم الجميلة و ارتجالاته الشعرية (**بالعربية الفصحى و الدارجة**) و هزله و موارد ذاكرته المذهلة«..» قد اجتذب إعجاب جيل برمته من المثقفين الجزائريين الذين توسموا فيه موهبة أدبية تشبه موهبة الجاحظ و حسا هزلية و طرافة من السخرية، تذكر بأحسن كتاب المقامات. فقد كان هذا الكاتب الكبير(الذي لا يستنكف من التلاعب بالقوافي) أيضا خطيبا كبيرا و داعية **استطاع أن يعيد لبلاغة المنابر شرفا افتقدته منذ زمن طويل في الجزائر**"[2].

يقول 'هادي نهر':" دخلت العربية في صراع داخلي مع نفسها، حين تعددت لهجاتها بفعل اختلاف البيئات العربية"[3]. ولكن هذا الصراع لم يكن له وجود في زمن الاحتلال بل شكلت العاميات جدار الصد، و الخطوط الخلفية التي تحصن بها الشعب من الضربات اللغوية الموجعة التي شنتها الإدارة الفرنسية. فرجالات الجمعية كانوا يستعملون التنوع الوضيع العامي للتواصل دون أن يكون لهم إرادة إلحاق الضرر بالتنوع الرفيع الفصيح. بل كان الشعب يسعى

---

[1]– ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1 ،م2،ص353. **جندب**:من أسماء العرب. **الحيس**:تمرٌ ولبنٌ مستحجرٌ مدقوق، يُعجَنان بالسمن عجناً شديداً.

[2] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 103.

[3] – علم اللغة الاجتماعي عند العرب:هادي نهر،ص134.

علانية و سرا لتعلم التنوع الرفيع ولكن الإدارة الفرنسية منعته. و لم تسمح له إلَّا باستعمال الفرنسية أو العامية أو الأمازيغية. فالجمعية في سياستها اللغوية اعترفت الثنائية بدلا عن الثلاثية اللغوية التي تتشدق بها فرنسا.

و لذلك قررت الجمعية في سياستها اللغوية تفنيد أي زعم من مزاعم الصراع الداخلي للغة العربية، وقررت استعمال التنوعين الرفيع و الوضيع في رسالتها الإصلاحية سواء في أداءاتها الشفوية أو الكتابية، فقد أنشأت الجمعية صحفا بالعامية[1]. و أجاز قانونها الداخلي المادة 67 استعمال العامية أو قريب منها في مخاطبة الناس و جاء في نفس المادة الإيعاز إلى شعراء الملحون أن ينظموا قصائد و مقاطع تتضمن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[2].

لكن هذا لا يعني نية توسيع العامية على حساب الفصحى؛ فقد ركزت جمعية العلماء المسلمين كثيرا على تعليمية اللغة العربية الفصحى، و حثّت طلبتها ألَّا يتخاطبوا و لا يتراسلوا إلا بها، و شجعتهم على الكتابة بها في الجرائد و غيرها، وأغرتهم بقرض الشعر خاصة في المناسبات الدينية و الاحتفالات و المنتديات و غيرها.

بـ- ثنائية 'فيشمان' في السياسة اللغوية لجمعية العلماء:

إن الثنائية عند 'فيشمان' توسعت لتشمل تعايش نظامين لغويين ليسا من مجموعة لغوية واحدة. فكيف كان موقف الجمعية من الثنائية اللغوية لفيشمان؟

إن التعايش بين اللغات في الجزائر في نظر الجمعية كان قائما بين العربية والأمازيغية، و لم يكن الأمر كذلك بين العربية و الفرنسية، لأنها في نظر الجمعية لغة دخيلة و ليست أصيلة.

إن **أعضاء جمعية العلماء لم ينكروا وجود ثنائية لغوية أصيلة بين الأمازيغية والعربية، بل كانوا يسلمون بها بكل هدوء**، و كانوا يفتخرون بفضائل الإثنية الأمازيغية ومزايا النبل فيها. ثم إن كثيرا من المنتسبين للجمعية كانوا من أصول بربرية. و كان بعض رموز

[1]- ينظر " وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 70.

[2]- ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص85.

الجمعية يصرون على إتباع اسمهم باسم إثنيتهم الزواوي(القبائلي). و عن طواعية كان ابن باديس يتبع توقيعه بالصنهاجي[1].

إن **"الأطروحات البربرية لم تكن صادرة عن الوعي[الضمير] الجماعي للسكان القبائل"** كما يقول ‘علي مراد’[2]. و لعل مجاهرة الجمعية بموقفها من بوادر الظهير البربري يدل على قناعتها بذلك. فقد كانت تدرك أن أطروحات الفرْنسة و الاندماج التي تبناها بعض الأمازيغ، لا تشكل ظاهرة تهدد بصراع بين العرق البربري والعرق العربي. بل قد كان كثير من تلاميذ ابن باديس من منطقة القبائل.

لكن هذا لا يعني إهمال الجمعية لهذه القضية، لعلمها أن الذي يحرك خيوطها عدو ماكر. فالجمعية أخذت على عاتقها كشف حقيقة الحرب المفتعل بين اللغات الأصلية للوطن. **فالإصلاحيون لم يخفوا قط تخوفهم من العقبات التي أصبحت تواجه نشر اللغة و الثقافة العربيتين في منطقة القبائل الكبرى**[3]، على إثر مخطط الفرنسة و التبشير الذي استهدفها.

يحكي ابن باديس أنه حضر مأدبة النادي لجمعية العلماء و سمع خطبة الشيخ ‘يحيى حمودي’ بالأمازيغية، الخطبة التي اهتز لها الحفل و دوت القاعة بالهتاف و التصفيق، فقال ابن باديس في كلمة ألقاها:"إن أبناء يعرب و أبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا، ثم بدأت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة و الرخاء، و تؤلف بينهم في العسر و اليسر، و توحدهم في السراء و الضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر و أبوه الإسلام. و قد كتب أبناء يعرب و أبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، و ما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم. فأي قوة بعد هذا يقول عاقل، تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون

[1] - ينظر الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 430.
[2] - المرجع نفسه، ص 434.
[3] - ينظر المرجع نفسه، ص 430.

الكواذب و الأماني الخوادع، يا عجبا! لم يفترقوا و هم الأقوياء، فكيف يفترقون و غيرهم القوي؟ كلا و الله بل لا تزيدهم كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في إتحادهم و قوة لرابطتهم"[1].

فالجمعية تدرك خطر إعادة تمزيغ الأمازيغ، لذا قررت في سياستها اللغوية المحافَظة على استعراب الأمازيغ. حتى أن الشيخ البشير الإبراهيمي كان يسمى الأمازيغي عربيا[2].

كما **أكدت الجمعية في سياستها اللغوية؛ على ضرورة تذكير الأمازيغ بالإحسان الذي لاقوه من المسلمين و العدوان الذي يلقونه من الفرنسيين**. و في ذلك يقول ابن باديس في مقال له تحت عنوان" كيف صارت الجزائر عربية":"ما من نكير أن الأمة الجزائرية (الشعب الجزائري) كانت مازيغية(بربرية) من قديم عهدها، و أن أمة من الأمم التي اتصلت بها استطاعت أن تقلبها عن كيانها، ولا أن تخرج بها عن مازيغيتها، أو تدمجها في عنصرها، بل كانت هي تبتلع الفاتحين، فينقلبون إليها، و يصبحون كسائر أبنائها. فلما جاء العرب، و فتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية، لا لبسط السيادة، و إقامة العدل الحقيقي، بين جميع الناس- لا فرق بين العرب الفاتحين، و الأمازيغ أبناء الوطن الأصليين- دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإسلام، و تعلموا لغة الإسلام العربية طائعين و وجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتحة في وجوههم، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة و نافسوهم في مجالس العلم، و شاطروهم سياسة الملك، و قيادة الجيوش و قاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية، يعربون عنها، و ينشرون لواءها، بلغة واحدة، هي اللغة العربية الخالدة فاتحدوا في العقيدة، والنحلة، كما اتحدوا في الأدب و اللغة، فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا غاية الإتحاد، ممتزجا غاية الامتزاج، و أي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد، و اتحد اللسان"[3].

لما فرضت الإدارة الفرنسية على الأمازيغيين الحديث بالفرنسية أو الأمازيغية فقط داخل منطقتهم و منعت كل تعامل بالعربية؛ تحرك علماء الجمعية بحنكة ليذيبون سلاح الفتنة اللغوية في يد أصحابها. فكان **من السياسة اللغوية للجمعية الاستعانة بالأمازيغية لبث أفكار الحركة الإصلاحية في منطقة القبائل**، و قد تولى ذلك " 'القنزاتي ناصر الدين ناصر'، و 'الفضيل

---

[1] - " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان":ابن باديس، البصائر، م1 ،السنة الأولى، العدد3، 17 جانفي1936،ص18.

[2] - فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ص37.

[3] - التعليم القومي: تركي رابح،ص53- 54. نقلا عن الشهاب،ج 12،م 13،فبراير1938،ص510-511.

الورتلاني'، و 'باعزيز بن عمر'، و 'الشيخ آرزقي الشرفاوي'، و الشيخ 'المولود الحافظي'، و الشيخ 'أبي يعلى الزواوي'، و الشيخ 'السعيد البهلولي' المصلح الديني في بني ورتلان"[1].

إن إسهاب الجمعية في توعية الأمازيغيين بألعوبة فرنسا اللغوية، تحوَّل في مراحل متطورة من الصراع اللغوي، إلى الكشف عن تواطؤ أطراف أمازيغية في التلاعب بالوحدة الوطنية عن طريق الفتنة اللغوية. يقول'علي مراد':"غير أن النزعة البربرية قد استثارت سخط الإصلاحيين و جميع الجزائريين الحريصين على الوحدة الوطنية ، تحت راية الإسلام والثقافة العربية"[2].

لذا لم تُغفل الجمعية في سياستها اللغوية، كيفية الوقوف في وجه الظهير البربري الذي ظهر في المغرب الأقصى، و كانت على حق عندما تصورت ظهوره في الجزائر. فبرمجت حملة ضده قبل دخوله الحدود الجزائرية. و فعلا " شن البادسيون حملة شعواء ضده تجاوبت معها الحركة الوطنية في المغرب، مما أجبر السلطات الفرنسية على التراجع عنه بعد ذلك بنحو أربع سنوات"[3].

هكذا قاربت الجمعية ثنائية العربية الأمازيغية. فكيف قاربت ثنائية العربية الفرنسية؟

لقد مر سابقا أن فرنسا حاولت تكريس الازدواجية• اللغوية الفردية بين العربية والفرنسية، تمهيدا لتكريسها اجتماعيا عن طريق جماعة النخبة. إلا أن هذه الازدواجية ظلت محصورة في المدن الكبرى لا في الأرياف.

إن ابن باديس يستعين في سياسته اللغوية باللغة الفرنسية حاملة للعلم، لا باللغة الفرنسية حاملة للثقافة كما عند جماعة النخبة. "و لعل هذا هو الذي جعله لا يتردد في الدعوة إلى الأخذ

[1] – الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل:يسلي مقران، ص216.

[2] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 434.

[3] –"وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص65.

• إنها قدرة الفرد على التكلم بأكثر من لغة. لذا فهي ظاهرة فردية، تهتم بها اللسانيات النفسية لا الاجتماعية.ينظر– La Guerre des Langues:Calvet,p45.

بأسباب التقدم و طلب المعرفة **بأية لغة**، و من أي مصدر"[1]. و نصح مرة الطلاب الذين تعلموا في المدارس الفرنسية بعد أن حاورهم حول العلاقة التي تربطهم بأمتهم:"عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه، بما عندكم من علم، و ما اكتسبتم من خبرة، **محافظين لها على مقوماتها**، سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم، و بهذا تخدمون أنفسكم و تخدمون الإنسانية، بإنهاض أمة عظيمة، من أُمَمِها، ثم لا يمنع هذا من **أخذ العلم عن كل أمة و بأي لسان**، و اقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا"[2].

و قال أيضا:"أرجوكم أيها الشبان الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان و عن أي شخص وجدتموه و أن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الأورباويون من أجدادنا و طبعوه بطابعهم النصراني و انتفعوا به"[3]

فإذا كان ابن باديس لا يمانع في أخذ العلوم بأي لسان، فإنه كان في ذات الحين يصر على رفض اللغة الفرنسية لغة حاملة للثقافة. يقول عن الأمة الجزائرية:" هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عناصرها و في دينها"[4].

وكان الشيخ يعلم أن الاندماج اللغوي و الثقافي يعني الوقوع في 'اللقط' بالمزج ثقافي بين العادات و التقاليد المحلية و بين الأصول الثقافية الفرنسية. يقول 'فرحات عباس' عن الجمعية:" إنها ترى في العروبة سفينة النجاة لشعب عربي و لا ننكر• فضل الثقافة الفرنسية، ولكنها تكون هذه الثقافة زائدة و تكون بمثابة باب مفتوح للعلوم التقنية و العصرية"[5].

و في هذا الإطار يؤكد 'علي مراد' على انفتاح الجمعية في سياستها اللغوية على اللغات حاملة للعلوم فيقول:"هكذا نرى بأن المذهب الثقافي الإصلاحي لم يكن من الوجهة القبلية منغلقا

[1] - إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص167.

[2] - ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي: ج1،م1،ص 107. ينظر النص الكامل إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 192. نقلا عن محمد الميلي:ابن باديس و عروبة الجزائر،ص168.

[3] - ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج2،م2،ص340.

[4] - المرجع نفسه، ج1،م2، ص383.

• لعله خطأ مطبعي و المراد تنكر.

[5] - ليل الاستعمار:فرحات عباس،ص150.

على كل ما هو أجنبي على العروبية . فالعديد من الشخصيات الإصلاحية (و هي ذات صيت وشأن) الواعية بعدم فعالية الأحادية اللغوية العربية الصرف في المجتمع الجزائري الحديث، بذلوا كل ما في وسعهم لتزويد أبنائهم الشخصيين بتكوين فرنسي متين أملا في أن ييسروا لهم سبل الارتقاء الاجتماعي و النجاح المادي"[1]. و لكن هل حقيقة الارتقاء الاجتماعي و النجاح المادي هو الهدف من تعليمية اللغات الأجنبية في السياسة اللغوية للجمعية كما يزعم 'علي مراد'؟

لم يكن هدف تعليم اللغات الأجنبية - فيما رسمته الجمعية من سياستها اللغوية- الرقي الاجتماعي و المادي للمتعلمين أساسا، بل كان الهدف هو خدمة الدين و الوطن و الإنسانية كما وضح ابن باديس في نصيحته للطلبة التي أوردناها سابقا، بل ربط تعلم اللغات بالرقي المدني للأمة لا الرقي المادي للمتعلم. و يقول في حفل ذكرى الشيخ 'البشير صفر' بتونس:" إنه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الأجنبية على ثقافة إسلامية عربية، و بذلك استطاع أن يخدم أمته و أن يحتل قلبها"[2].

فلم تكن السياسة اللغوية للجمعية في اعترافها باللغة الفرنسية لغة علم، مبنية على الحظوة الاجتماعية و المالية التي يفوز بها المتعلم. كما أن هذا الانفتاح اللغوي للجمعية له مبررات علمية لا نفسية. ومن ثَمَّ لا مجال لاعتبار الانفتاح مبررا لتحليل نفسية العلماء؛ **ورميهم بعقدة النقص تجاه الفرنسية! و برغبتهم في الاندماج في النظام الفرنسي! بل و يغبطون أخوانهم المندمجين! كما يذهب 'علي مراد' في قوله:"**..و لا ريب في أن الإصلاحيين قد عانوا العزلة الثقافية التي صاروا إليها بسبب جهلهم اللغة الفرنسية. و مما لا شك فيه أيضا أن أحاديتهم اللغوية كانت تنوء عليهم و كانوا يستشعرون المرارة و هم يرون إخوانهم في الدين المفرنسين يندرجون اندراجا منسجما في النظام الفرنسي"[3].

إن السياسة اللغوية للجمعية في إدارة صراع العربية و الفرنسية حول مناطق النفوذ، لم تكن لفك العزلة الثقافية عن الشعب الجزائري بواسطة اللغة و الثقافة الفرنسيتين، بل كانت

---

[1]- الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 424.

[2]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج2،م2،ص328.

[3] - الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 423.

تهدف إلى فك الحصار الذي تفرضه الفرنسية على اللغة و الثقافة العربيتين. ومن ثَم لا مجال لتصوير اللغة الفرنسية على أنها لغة الانفتاح أي لغة نشر• و اللغة العربية هي لغة الانغلاق ولغة حصر بتعبير لساني اجتماعي. بل **الامتداد الشرقي للغة العربية يجعلها لغة نشر أكثر أهلية من اللغة الفرنسية في مجتمع استعرب منذ قرون عن طواعية،** و أصبح يعتبر نفسه امتدادا للشرق العربي الإسلامي.

لذا لم تنس السياسة اللغوية للجمعية أن تستهدف مَن شملهم التعليم باللغة الفرنسية في المدارس الفرنسية، لإعادة تصحيح مفاهيمهم اللغوية و العقائدية. و **أطلق ابن باديس تحذيرات عقائدية، على رأسها فتواه الشهير بتكفير ما كانوا يسمون بـ'المطورنيين'**[1]. و كتب الشيخ 'العربي التبسي' قائلا :" إن فرنسا تعمل جهدها لإبادتنا، و إدماجنا، و محونا من الحياة، كشعب ذي خاصيات و أمة ذات ميزة، و إنه لمن العجيب حقا، أن تريد فرنسا بتجنيسها محو جنس إنساني كامل، في وقت تمنع فيه القوانين الدولية إبادة أنواع الحيوانات و الطيور"[2]. و لذلك قال ابن باديس:" و لقد وضعت هذه الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللسان العربي و تكميل معلومات من تعلموا باللسان الأجنبي كما خصصت دروسا للكبار"[3].

لقد كان **ابن باديس يعْلم أنه بإزاء تعدد لغوي نَّشط؛** ناشئ عن تزاحم لغات متباينة نمطيا في البلد الواحد، حيث تزاحمت بقوة القانون و بفعل الانتشار الثقافي و الاقتصادي كل من العربية والفرنسية و الأمازيغية. و تزاحمت بالتفاضل كل من اللغات الراقية و اللغات العامية.

• لغة نشر= لغة ناشرة (Langue véhiculaire):هي اللغة المستخدمة في التواصل بين الجماعات المختلفة التي تلجأ إلى لغة مشتركة تتجاوز اللغة الحاصرة (Langue grégaire)لكل واحدة منها، فعكسها لغة حصْر(لغة القطيع).. هي اللغة المحصورة بين عدد محدود من الناس، و هي تستعمل لحاجات التواصل المحدود. ينظر La Guerre des Langues:Calvet,p. 79-81

[1]- إمام الجزائر:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 170.جاء في الفتوى:" التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية و من رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس- بحكم القانون الفرنسي- يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليه بإخراجه من حظيرة الإسلام..".نقلا البصائر، عدد95، 14-1-1938.

[2]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:تركي رابح،ص37.

[3]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي ،ج2 ،م2،ص332.

لهذا الجمعية في سياستها اللغوية قررت صراحة محاربة استعمال الفرنسية في التعامل اليومي للجزائريين، و لم تحاربها في المدارس الفرنسية و لو للجزائريين، لتجنب محاكمة الجمعية أمام العدالة الفرنسية الجائرة أولا، ولتخفيف من قوة الانتشار الثقافي والاقتصادي ثانيا.

فثنائية العربية و الفرنسية تريدها الجمعية ثنائية مدرسية عِلْمية لا ثنائية مجتمعية ثقافية. فلا تعايش بين العربية و الفرنسية إلا في المدرسة. و هذا يعني عدم إجرائية خطاطة ثنائية 'فيشمان' على الوضع الجزائري لانتفاء التعايش بين اللغتين العربية و الفرنسية. كما لا تنطبق هذه الخطاطة على العربية و الأمازيغية لانتفاء التقارب الوظيفي بينهما؛ على الأقل من حيث الحمولة الثقافية الدافعة على تعلُّمها كما مر سلفا.

II - الاحتكاك اللغوي و مظاهره :

إن علماء الجمعية على يقين أن معالجة مظاهر الاحتكاك يقتضي أن تشتمل سياستهم اللغوية على إقامة مجامع لغوية، و إنشاء معاجم لغوية للإدارة و الاقتصاد و غيرهما، و إصدار صحف و مجلات متخصصة في الشأن المعجمي و المصطلحاتي. و بناء معاهد للدراسات العليا للغة العربية لتكوين لسانيين و مدرسين و أدباء مبدعين. و هذا غير متاح بحكم ظروف الاستعمار. و دليل ذلك ما نجده من تلميح الجمعية في قانونها الأساسي، من أن لها الحق في أن تتذرع بكل الوسائل من أجل الإصلاح. و المؤكد أن فكرة إنشاء المجامع اللغوية و المعاجم والمعاهد، ليست جديدة على علماء الجمعية، فالإبراهيمي كان عضوا مؤسسا للمجمع اللغوي بدمشق.

و لكن رغم ذلك نحاول رصد معالم السياسة اللغوية لمظاهر الاحتكاك.

1- الاقتراض اللغوي *'Emprunt linguistique'* :

إن السياسة اللغوية للجمعية كشفت أن العلماء لم يتوسعوا في الاقتراض من الفرنسية، خوفا على العربية من التسمم المفرداتي. فكان العلماء يستعملون في هدوء بعضا من المقترَض في كتاباتهم و خطاباتهم. و مَن يرجع إلى آثار الشيخين يجد فيها الكثير من هذا المقترَض. لكنه

مقترَض مقتصر على ما هو مستجد على الحياة الجزائرية من كلمات إدارية وعسكرية واقتصادية، و في مجال الصحة و التعليم و الإعلام و الإشهار و المنتجات المختلفة...مثل:

'البريفي'(رئيس الدائرة)'Le Préfet'- 'السوبريفي'(نائب رئيس الدائرة)' Le sous Préfet' -'المير'(رئيس البلدية)' le maire'-'التلغراف'' télégraphe' -'الطان' (جريدة) 'Le Temps'-'البتي بريزيدان'(جريدة) 'Le Petit President'- 'الكليشي' (الفلم) 'Le cliché'- 'ميسيو'(السيد) ' monsieur'- 'البرلمان'(مجلس الأمة)' Le parlement'- 'السينيما'' Le cinema'- 'الكوميسار بوليس'(ضابط الشرطة) 'Le Commissaire Police'-'السامبل بوليس'(شرطي بسيط)'simple police'- 'الكور لكسيونال'(مجلس التأديب) ' cour Correctionnelle'-'الدومين'(أملاك الدولة) 'domaine'..و غيرها مما دخلت المعجم الوظيفي للجمعية.

لقد سلَّمت الجمعية مسبقا، بأن اللغة العربية لن تخرج من هذا الصراع اللغوي ضد الفرنسية، دون أن يتأثر قاموسها المفرداتي، خاصة عند سكان نقاط التَّماس بين اللغتين. و لذلك قررت في سياستها اللغوية أَلا تستعمل إلا العربي الأصيل في مناطق نفوذها. فتستعمل:

- 'برقية'بدلا من'تيليغرام''Télégramme' -'وزير' بدل 'مينيستر''ministre'- 'رئيس' بدل 'بريزيدان'' président' – 'هاتف' بدل 'تلفون''téléphone' – 'تقرير' بدل 'بيفي'' P.V'(procès verbal) – 'عمالة' بدل 'ديبارتمون' 'Département'- 'بلدية' بدل 'كومين''commune'- 'وصل' بدل 'بون بور'' bon pour'-'مقر البريد' بدل 'البوسطة'' poste'-'مشروع' بدل 'بروجي' 'Projet' -'قطار' بدل 'تران'' train'-'ملف' بدل 'الدُّوسي''dossier' - و يجمع بينهما أحيانا كقوله :'الكولون المعمرين'' Colons ' [1].

فالجمعية إذًا كانت تشعر بالحرب اللغوية الدائرة في المحيط الحيوي للعربية ' Guerre des langues in vivo'، وكانت تحس بثقل المفاهيم التكنولوجية و العسكرية و الإدارية.. التي تقتحم أصوار جغرافيا اللغة العربية. مما جعل الناس يتعاملون معها تعاملا عفويا، فكانت هذه العفوية سببا في دخول هذه الوحدات اللغوية في العربية الفصحى و العامية، مع تكييفات

[1]- المرجع السابق، ج2،م2،ص333.

صوتية تؤدي أحيانا إلى ظهور أصوات جديدة على أفواه العامة و الخاصة. كصوت 'V' في 'فيلا'(المنزل الفاخر)'villa' و'فيلو'(دراجة هوائية)'vélo'،مع التحريف الصوتي البَيِّن الناتج عن نطقها بلكنة اللغة العربية لحل هذه المشكلة اللغوية الملحة.

و لعل هذا يفسر جانبا من الدراسات التي يقدمها العلماء في ذلك، فالإبراهيمي له رسالة في مخارج الحروف و صفاتها بين العربية الفصيحة و العامية. بل كثيرا ما كان العلماء يستمتعون بدراسة جوانب التأثير و التأثر، و يبينون مواضع الطرافة الصوتية أحيانا و مواضع التندر في المعاني و الفكاهة في التركيب و الأساليب، و نجد هذا خاصة في مواضع السخرية عند الشيخين. يروي الإبراهيمي عن رحلته إلى باكستان والورطة اللغوية التي وقع فيها لأنه لا يحسن إلا العربية و أهل باكستان لا يتكلمونها. فيقول- بكل مرح-:" أبت لي همتي أن أجمع بين الجهل و العجز، فتعلَّمت في بعض يوم أَلزَم ما يلزمني للضروريات، وأهمها -عندي- طلب الماء البارد في ثلاث كلمات: طاندة، باني، لاو، و الأولى معناها بارد و **لكن مخرج الطاء فيها من أغرب المخارج**«..»ومن اللطائف أن أستاذي في هذه الجملة هو ولدنا الفضيل [الورتلاني] «..»حفظ ثمانين كلمة من الأُورْدية، فألف منها قاموسا غير محيط، و فتح الله علية فأصبح معلما لتلميذ واحد، هو أنا.."[1]

فالاقتراض أو التوليد الداخلي إنما هو سلوك طبيعي و عملي، و له مبرراته اللسانية الاجتماعية في نظر الجمعية، و له حتى مبرراته الدينية بالمنطق الديني الذي يزن به العلماء كل مستجداتهم، بما فيها المستجدات اللغوية؛ فهم أدرى بأحوال المُعَرَّب في النصوص الشرعية.

فالخطر الذي أرادت السياسة اللغوية للجمعية رده؛ هو خطر ظاهرة الأمية المتفشية في المجتمع، و التي منها استطاع المقترَض أن يُسمم العاميات على وجه الخصوص. فتعليم الناس لغتهم يشكل مصل الدفاع الذاتي الذي يحتاجه الناس سريعا. لذلك نجد الجمعية تركز في سياستها اللغوية على تعليمية اللغة العربية، لأنها تعني تحصين الناس لغويا و ثقافيا من خطر الكلمات المسافرة هذه.

---

[1] – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج4،ص41.

لقد وجدت الجمعية نفسها مجبرة في سياستها اللغوية على مواجهة نوعين من الحرب اللغوية؛ حرب كانت تدار في الكيان الذي تمتد فيه اللغة العربية ’Guerre des langues in vivo‘ ، و ظهرت في فرنسة المحيط الاجتماعي الجزائري. و حرب كانت تحضر في الدوائر الفرنسية ’Guerre des langues in vitro‘ . و كانت أهمها تلهيج الكتب المدرسية والدينية..

إن الجمعية تدرك أن اقتراض العفوي لا خطر فيه إذا لم يتجاوز الحد المسموح به، لكن الخطر في الاقتراض المبرمج في الدوائر الفرنسية، وهو ما يعرف في اللسانيات الاجتماعية بـ’ الاشتغال على اللغة‘’L’action sur la langue‘. و قد أدركت الجمعية حجم محاولات التدخل في القاموس و التركيب والصرف العربي، من خلال ما عرف بـ’اللغة العربية الحية‘•، و الكتب المدرسية العامية. لذلك ركزت الجمعية في سياستها اللغوية على تعليم الفصحى بحجم ساعي مضاعف، للصغار و الكبار، لتقف به الند للند أما تعليم فرنسا لعاميةٍ جزائرية مهجنة.

إن جرائد الجمعية تعج بالاحتجاجات على تكريس فرنسا التبعية في الجزائري. و هذا ينسحب على ما كان مُنْطلقه لغوي بحت؛ فقد وجدناها تكرس كلمات تقضي على الحرية الشخصية و على المبادرة الفردية و تقوض كل اعتداد بالنفس و العروبة. يقول الإبراهيمي:" رفعنا منارها [اللغة العربية] في وطن لم يُبق الاستعمار من عروبته إلا «اسم الجنس»، يضربه مثلا للدناءة و الخسة و للجهل و الانحطاط، و لم يُبق من عربيته إلا «اسم الفعل» يجعله رمزًا للبذاءة و السباب و الشتم"[1].

2- *النسخ* *’Le Calque‘* :

لقد سبق و أن وجدنا أن النسخ - في الحقيقة- تعبير عن نوع من مقاومة اللغة العربية للمد اللغوي الفرنسي كما مر سابقا. بل فيه من المصداقية العِلمية و الشرعية اللغوية ما ليس للاقتراض. ولعل هذا ما يؤكد أن الجمعية كانت تنزل إلى الحدود الدنيا في تعاملها مع الوافد من الكلمات الفرنسية. و لم تحاول أن تضخم من أمرها على حساب ما ينخر جسم الأمة من أميَّة تتطلب إسعافا عاجلا. فكانت تستعمل:- ’جواز السفر‘ عوض المقترض ’باسابورت‘

• هي اللهجة العامية الجزائرية.أوجدتها فرنسا لتقابل بها ما كانت تسميه "اللغة العربية الكلاسيكية(العربية الفصحى).

[1] – المرجع السابق، ج3،ص58. نقلا عن البصائر،العدد2، 1 أوت 1947.

'passeport' الذي شاع في مصر- ' غرفة النوم' بدل المقترض من الإنجليزية 'بدروم' في مصر- 'محطة القطار 'بدل 'لا گار' 'La Gare' دار الحكومة' بدل 'palais du gouvernement'.

إن هذا التعامل البسيط مع مفرداتٍ يفرضها العصر؛ جعل الجمعية تتصرف في سياستها اللغوية من المهم إلى الأهم. و توفر لنفسها من الجهد ما تسد به ثغورا أخرى أولى و أهم، طالما أن النسخ سلاح لها لا عليها. يقول ابن باديس:"كنت أقول كثيرا في دروسي و مجالسي: من نعمة الله عليكم أيها الجزائريون أنكم تنطقون بالعربية و أن أساليبها لا تزال مستعملة في ألسنتكم.."[1]. لأن التقارب بين العامية و الفصحى كبير على رأي 'عثمان سعدي'، فقد" كانت العامية قبل الاستقلال راقية غير مشوهة قريبة جدا من الفصحى"[2].

3-4- التداخل و الاختلاط اللغويين ' Interférence et Le Mélange L' linguistiques:

كان من بين أهم دوافع جمعية العلماء المسلمين لرسم سياسة لغوية للجزائر؛ هو خطر التداخل و الاختلاط اللغويين. لأنهما المظهر الذي تظهر فيه سلبية لغة الخطاب عند تفاعلها مع محيطها.

فالتداخل اللغوي بين العربية و الفرنسية و كذا الاختلاط ؛ حاربتهما الجمعية بشدة في سياستها اللغوية، مهما كان من وقع في هذه الورطة اللغوية. سواء من جماعة النخبة، أم من أهل الجاه و شباب الأسر الكبيرة الأرستقراطية، أم كانوا ممن احتك بالكولون من أمثال الخماسة أو العمال المزارعين و المهنيين. خاصة إذا كان ذلك بدافع الرغبة في مضاهاة الآخر. و هي العلامات التي ظهرت على جماعة النخبة؛ فقد كانوا أول من أضاع لغته، و عاداته، و هرول نحو الحياة الأوروبية، بدء بتكلم اللغة الفرنسية، و مجاراة الفرنسيين في حياتهم. يقول ابن باديس واصفا بكل حسرة هذه الظاهرة اللغوية الثقافية التي وصلت حد انتفاء التواصل بين

---

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج2،م2، ص320.

[2] – «اللغة العربية و لهجاتها المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال و بعده»:عثمان سعدي، الفصحى و عامياتها، أعمال الندوة الدولية2007،، ص111.

أطرافها حتى في الاجتماعات:" كانت أكثرية الحضور بالجلسة العامة الفارطة[حول تأسيس نادي في 1925م] تفهم العربية الكتابية و فيهم عدة قادرون على الخطابة بها و كثير منهم لا يعرفون الفرنسوية وكانت الأقلية تفهم الفرنسوية و تخطب بها و لا تعرف من العربية إلا الدارجة و لكنها لا تستطيع أن تعبر بها عن جميع أفكارها، ومن هؤلاء الذين تولوا تحرير قانون النادي لمعرفتهم وذكائهم فكتبوه بالفرنسوية التي يعرفونها دون العربية التي يجهلونها. **فلما اجتمع القوم جاء المشكل المحزن وهو عسر التفاهم بين أخوة دينهم واحد ووطنهم ولغتهم واحدة بماذا يتفاهمون؟ بالدارجة؟ بالعربية؟ بالفرنسية؟**«..»أما الفرنسوية فهي لسان أولئك الأخوة المتنورين فتلوا فصول القانون بها و أعربوا عن آرائهم بها و إذا طولبوا بالترجمة قالوا كلمتين أو ثلاث بالعربية ثم عادوا إليها«..» نكتب هذا و الأسف ملؤ[ملء] قلوبنا على ضياع لغتنا حتى كاد ينسد طريق التفاهم بيننا و بكل إخلاص نقول لإخواننا الذين برعوا في لغة غيرهم حتى كادوا يفوقون أهلها: يجب عليكم أن تعتنوا شيئا بلغتكم.."[1]

رغم محاربة الجمعية لهذه الظاهرة؛ إلا أنها قررت في سياستها اللغوية قبول من ثاب إلى العربية. ويبدو هذا جليا في كلام ابن باديس السابق. بل ترجمه ميدانيا باعتنائه بتعليمهم العربية.

III - الوظائف اللغوية:

ابن باديس يجمل وظائف اللغة العربية في قوله الذي سبق ذكره:" لا رابطة تربط بين ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر ومستقبلنا السعيد، إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين[الوظيفة الدينية] ، لغة الجنس، لغة القومية[الوظيفة القومية]، لغة الوطنية المغروسة [الوظيفة الرسمية]. إنها الوحدة الرابطة بيننا و بين ماضينا«..»وهي وحدها اللسان الذي نعتز به[الوظيفة الرسمية الرمزية] و هي الترجمان عما في القلب من عقائد و ما في العقل من أفكار، و ما في النفس من آلام و آمال[الوظيفة الأدبية]. إن هذا اللسان العربي العزيز الذي

[1]– المنتقد: د ط، دار الهدى،الجزائر،2005،ص 158.عن مقال "نقدات حول النادي لا تفاهم بغير العربية":ابن باديس،المنتقد، العدد9، الخميس 27 أوت1925.

خدم الدين، وخدم العلم[الوظيفة التعليمية التثقيفية]، و خدم الإنسان، هو الذي نتحدث عن محاسنه.."[1]. أي **إن وظيفة اللغة العربية في السياسة اللغوية لابن باديس هي بكل إجمال 'وظيفة حفظ الهوية'**.

و يقول الإبراهيمي حول وظيفة اللغة العربية:"و أما أحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين و المترجم عن أسراره«..»و لأنه لسان تاريخ هذا الدين و مُجلي مواقع العبر منه و لأنه قبل ذلك و بعد ذلك لسان أمة شغلت حيزا من التاريخ بفطرتها و آدابها و أخلاقها وحُكمها وأطوارها و تصاريفها في الحياة[الوظيفة الرسمية(العملية و الرمزية)]، و دولها في الدول[وظيفة الاستعمال الدولي]«..» و ما أمة أضاعت لغتها إلا و أضاعت وجودها، و استتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى[وظيفة حفظ الهوية]"[2].

فالجمعية تدرك قيمة اللغة العربية في حفظ الهوية، و هذا يعني أنها تعي سبب اندفاع فرنسا لقهر العربية، فالجمعية تعلم أن فرنسا تريد أن تعيد ترتيب البيت اللغوي الجزائري، وتعبث بقوانين السوق اللغوي، بحيث توجد فيه نوعا من الانتظام اللغوي بين اللغات بعلاقة القوة بدلا عن علاقة التعايش. مما يعني إلزامية أن تكون الغلبة للأقوى، فتجبر العربية على خوض مغالبة هي مغالبة هوية قبل كل شيء.

و لهذا ينفي ابن باديس في سياسته اللغوية أي علاقة تدافع بين العربية و العاميات والأمازيغية. وقد تأكد ذلك في مبحث الثنائية اللغوية. ولكن في ذات الوقت يثبت ابن باديس علاقة التدافع بين العربية و الفرنسية، خاصة من حيث التوزيع الوظائفي.

وهنا يُطرح السؤال المهم وهو: ما موقع الوظائف اللغوية الاجتماعية من السياسة اللغوية للجمعية؟

---

[1]- ابن باديس حياته وآثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2،ص265.نقلا عن البصائر،السنة4،العدد171، 22جوان1939.

[2]- آثار الإبراهيمي: جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص134.

1- الوظيفة الرسمية:

لقد مر سابقا أن الإدارة الفرنسية سعت في سياستها اللغوية إلى فرض اللغة الفرنسية على المجتمع الجزائري لغة رسمية بالمفاهيم الثلاث؛ أي لغة رسمية دستورية و عملية ورمزية. و أقصت العربية من كل هذا النفوذ المشروع. فكيف كان موقف الجمعية من ذلك؟

يقول ’عبد الفتاح عفيفي‘ عن الفصحى من أي لغة:" أجمع علماء الدراسات اللغوية على أنها هي اللغة الرسمية للدولة- فهي لغة الكتابة، و الأدب، و الخطابة، و التعليم في مختلف دور العلم و وسائل الإعلام"[1]. و هذا يجعل جمعية ع م ج متناغمة مع أساسيات علم اللغة الاجتماعي إذا طالبت بترسيم العربية في سياستها اللغوية. و عليه يكون اعتماد العربية لغة رسمية و وطنية - لا أجنبية - في الجزائر المحتلة؛ هو مطلب عِلْمِي و عَملي و شرعي. أما المطالبة باعتمادها لغة وطنية؛ فذالك على اعتبار أن اللغة الوطنية هي لغة تعترف بها الدولة لغة لمواطنيها[2].

وفقا لهذه الأهمية -التي يكرسها الدستور عند ترسيمه للغة ما- من المشروع للجمعية العمل على ترسيم العربية سرا و علانية، لعل الدستور الفرنسي يتدارك خطأ إسقاطها. إذ غالبا ما تتجاهل السياسات اللغوية اللغات الرسمية و الإعلان عنها كما يقول ’كوبر‘[3].

ولكن رغم هذه الأهمية لترسيم اللغة العربية، لم يكن العلماء يرون فائدة من المطالبة بذلك، و إن كان من بينهم من تحمس لهذا الترسيم[4].

و لعل نية الجمعية في عدم المطالبة بترسيم اللغة العربية يعود إلى أن اللغة الرسمية لا تحددها الدساتير بقدر ما تفرضها الهوية، وهو ما يقرره الإبراهيمي في قوله:" اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، و من ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، و هذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان: كل منهم يقتضي وجوبَ تعلمها. فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة، بحكم أن الأمة مسلمة، و حق من حيث أنها لغة جنسها، بحكم أن الأمة عربية

---

[1] – علم الاجتماع اللغوي:عبد الفتاح عفيفي، ص119.

[2] ينظر– La Guerre des Langues:Calvet,p 47 .

[3] – ينظر التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص 188.

[4] – ينظر الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 502.

الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية و دين معا"[1]. فلم يذكر حق ترسيمها دستوريا. و لكن عبر عن الوظيفة الرسمية بصراحة. كما اشترط لترسيمها استقرارها في باقي الوظائف اللغوية. وقد عبر عن هذا الاستقرار بـ'حق اللغة' على المجتمع، أي أن اللغة حتى تكون رسمية- بالمعنى العملي و الرمزي لا الدستوري- يجب أن تضمن لنفسها وجودا مستقرا في المجالات الحيوية للمجتمع، بمعنى أن يضمن لها المجتمع أداءها الوظائفي بجدارة، خاصة الوظيفة الدينية و التعليمية و الأدبية و الإقليمية..

إن علماء الجمعية يدركون حقيقة أن ترسيم اللغة ليس في مجرد ترسيمها دستوريا؛ لأن ترسيمها عمليا و رمزيا من أكبر المكاسب التي يمكن للجمعية أن تستثمرها و تعززها خارج رقابة الدستور الفرنسي.

فالسياسة اللغوية للجمعية أكدت على ضرورة تفعيل الدور العملي للغة العربية في المحيط الاجتماعي و التعليمي و الاقتصادي و حتى الإداري..فكانت **الجمعية تحث في سياستها اللغوية على إعادة تعريب ما تم فرنسته لأنه يمثل** الذاكرة الجماعية. فبدأت بنفسها؛ حيث نفت عن نفسها خَبَث استعمال الفرنسية في إدارتها وكل مرافقها، و كذا صحفها و خطبها، ومراسلاتها، و إصرارها على تسمية المدن و الشوارع بأسمائها الأصلية. فيقول ابن باديس واصفا إحدى رحلاته:"عقدنا رحلة بالشهر الماضي إلى الناحية الغربية من العمالة لخدمة المجلة و كانت الرحلة على هذا الترتيب: سطيف. البرج «..»فورناسيونال(الأربعاء). ميشيلي(عين الحمام).."[2]. كما كان يعَرِّب الرتب الإدارية و غيرها؛ ففي فصل الرحلات من أثاره التي جمعها 'عمار طالبي' كلمات يستعملها ابن باديس عن قصد، لتدعيم التعريب رغم شيوع استعمالها الفرنسي مثل:"النواب البلديين- النائب البلدي-اشتراكات المجلة-يوم السِّباق- تسجيل التحبيس تسجيلا قانونيا- التسجيل الرسمي- فوَّض توفيق الرسم للعلامة الشيخ الصالح بن الموفق قاضي الخروب-أم البواقي- النائب المالي لقسم البيضاء. تبسة.خنشلة-عين البيضاء- الوكيل الشرعي-بيت الضيوف-العمالة-محطة القطار-المنع الحكومي-الإدارة-القاضي الآن

[1] - آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج3،ص48.

[2] - ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج2،م2، ص306.

بالعاصمة-دار الحكومة-كاتبا عاما بدار العمالة بقسنطينة-العمالة الوهرانية-ممثل الحكومة-متصرف-ممثل الأمة الفرنسية-الحكومة-الدائرة- فسحة السينما.."[1].

لقد كانت سياسة الجمعية تعمل أيضا، على تكريس رمزية اللغة العربية على أنها مقوّم أساسي للشخصية الجزائرية، كما عملت على تكريسها لغة عملية. و مما جاء في برنامج الجمعية لتدعيم رمزيتها؛ اتخاذ اللغة العربية ضمن شعار الجمعية، الذي كان " الإسلام ديننا والعربية لغتنا و الجزائر وطننا". كما كانت الجمعية تربط بين قدسية الدين و قدسية العربية، وقد مرت نصوص لابن باديس في هذا الشأن، مثل: "اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة". و مر سابقا أن الإبراهيمي يسمي الأمازيغي عربيا[2]، ترسيخا لرمزية اللغة العربية عند الأمازيغ.

و تأكيدا على الوظيفة الرمزية، ربطت الجمعية اللغة العربية بالتاريخ المجيد للجزائر والمسلمين. يقول الإبراهيمي حول اعتزاز الجزائر بالانتماء القومي العربي منذ الفتوحات: "وجمعية العلماء هي التي أثبتت للاستعمار أن الدماء البربرية التي مازجت الدم العربي أصبحت عربية بحكم الإسلام، و بحكم العمومة و الخؤولة الممتدتين في سلسلة من الزمن، ذرعها ثلاثة عشر قرنا؛ مزاجٌ فطري، أحكمت القدرة تداخل أجزائه، و التحامٌ نسبي وصل التاريخ أطرافه مرتين.."[3].

و لكن رغم ما تأكد من أن الجمعية لم تسع لترسيم العربية في بداية مسيرتها؛ إلا أن العلامة ابن باديس- باسمه الخاص- طالب بترسيم اللغة العربية سنة 1937 في المطالب التي اقترحها للمؤتمر الجزائري الإسلامي العام. جاء فيها:" تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية و تكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية و تعامل صحافتنا مثل الصحافة الفرنسية و تعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية"[4]. كما "نجد

1- ينظر المرجع السابق، ج2،م2،ص 297-338.

2- ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ص37.

3 – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج3،ص57،نقلا عن البصائر ،العدد2، 1 أوت1947.

4 – ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2،ص325، نقلا عن الشهاب،ملحق ج4،م12،جولية1937، ص210-212.

الإبراهيمي يطالب بترسيم اللغة العربية حين قال:«و كان من نتائج هذه النهضة إلحاح الأمة في المطالبة بمظهر سياسي وطني للغتها، و هي أن تكون رسمية في المدارس و الدواوين والأقلام و الأحكام، وأن يعترف لها بمكانتها في وطنها، وأن تمحى عنها تلك الوصمة التي لم تسب لغة بأشنع منها، و هي أنها أجنبية و هي في دارها»"[1].

فسعي الإبراهيمي لترسيم العربية يمكن أن ندرجه ضمن مرحلة لاحقة من مراحل التطور الميداني لنشاط الجمعية، أما بمعايير اللسانيات الاجتماعية و السياسات اللغوية؛ فإن **مطلب الترسيم ناتج عن مرحلة تقييم الأهداف و الاستراتيجيات لسياسة الجمعية**. خاصة و أنه أشار منذ البداية إلى ذلك فقال:" و كان من نتائج هذه النهضة إلحاح الأمة في المطالبة بمظهر سياسي وطني للغتها".

إن **المطالبة بترسيم العربية يعني في مرحلة من مراحل السياسة اللغوية للجمعية بداية عودة الشعور بتكوُّن مفهوم الدولة** في المجال الجغرافي الذي تنشط فيه الجمعية. وهو ما أشار إليه الإبراهيمي بعبارة ' نتائج النهضة' و إلى هذا المعنى يشير 'نسيم الخوري' في كتابه الإعلام العربي و انهيار السلطات اللغوية إلى أن اللغة الرسمية "...ترتبط بالدولة في تكوينها أكثر مما هو في استعمالاتها المجتمعية، لأن في تكوّن الدولة تولد الظروف المكونة للغة الموحدة التي تشرف و تسيطر عليها اللغة الرسمية"[2]. وهو نفس ما يذهب إليه 'كوبر' في قوله " اللغة الدستورية أو القانونية ترمز إلى الذاكرة المشتركة وإلى تطلعات المجتمع (أو الأغلبية فيه) و طموحاتهم و إلى ماضيهم ومستقبلهم. فعندما ينظر المجتمع إلى اللغة بأنها رمز عظمته و قوته فإن تحديد تلك اللغة بأنها اللغة الرسمية يعزز شرعية سلطة الحكومة"[3]. و هو الهدف الذي يريد الإبراهيمي أن يسجله لصالح تكوين مفهوم الدولة الجزائرية.

---

[1] –" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 245.نقلا عن حوليات الثقافة العربية:ساطع الحصري: دار الرياض،1951م،2،ص568-569.

[2] – "التعدد اللغوي و التعليم في السودان": أحمد صادق معتوق، احترام، المجلة السودانية لثقافة حقوق الإنسان و قضايا التعدد الثقافي، عدد 10، مارس 2009،ص2.

[3] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر، ص189.

لقد استغلت الجمعية إعلان ترسيم الفرنسية لغة وحيدة للجزائريين، لتُحوِّله سلاحا ضد فرنسا. لأن الإعلان عن اللغة الرسمية يعني إنكار شرعية التباين اللغوي في المجتمع كما يقول 'كوبر'[1]. فمن المنطقي أن الجمعية في سياستها اللغوية ستتحرك لإثبات أن الفرنسية ليست هي لغة الجزائريين، وليست اللغة الوحيدة في الجزائر، رغم أن فرنسا مازالت تصر على مغالطة أن الجزائر فرنسية، لمجرد أن الدستور لا يعترف باللغة العربية و لا الأمازيغية.

إن مقالات الجمعية في هذا الصدد كثيرة أشهرها ما قاله ابن باديس: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عناصرها و في دينها، لا تريد أن تندمج"[2]. ويقول أيضا:" نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة، و ما فيها من مميزات اللغة والدين و الإخلاص و الثقافة و لا نريد بأي حال من الأحوال و لا نستطيع أن ننسلخ طوعا و اختيارا أو كرها وجبرا على تلك الذاتية، و ما فيها من مميزات و لها من حقوق"[3].

لقد توسعت شعبية الجمعية لأنها كسبت جولات من الصراع اللغوي مع فرنسا. ففرنسا استخدمت ورقة العربية العامية للظهور بمظهر المؤيد لمطالب الشعب و المحافظ على مكتسباته اللغوية و لو بالخط و التدريس الفرنسيَيْن. في ذات الحين لوّحت الجمعية بالعربية الفصحى للرد على ذات الادعاءات. فأعلنت الرسم العربي خطا للعربية الفصحى و عملت على تدريس العربية بالفصحى.

و بهذا تَكُون الجمعية قد أجادت إدارة الصراع اللغوي بينها و بين فرنسا؛ فيما يتعلق **بتوظيف السلطة الفرنسية و المعارضة الجزائرية للغة الرسمية العملية و الرمزية لصالح كل منهما.**لأن "تحديد اللغة الدستورية الرسمية في أغلب الأحيان، هو ممارسة التحكم في رموز السياسة من أجل الحفاظ على بقاء النخبة الحاكمة، و إذا صح هذا الأمر، فإن مثل هذه الممارسة تؤدي إلى ظهور أمرين خطيرين هما: أولا قد يحاول الخصوم السياسيون للحكومة كسب التأييد

---

[1] – ينظر المرجع السابق، ص189.

[2] – ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2،ص309.نقلا عن الشهاب، ج1،م12،أفريل1936،ص45-50.

[3] –المرجع نفسه، ج1،م2،ص3.

الشعبي عن طريق الادعاء بأنهم أفضل الحراس و الأمناء على الرموز المقدسة للدولة «..» ثانيا قد يحاول الحزب السياسي المعارض استبدال رموز مختلفة (لغة ما) بالرموز الحالية (اللغات الرسمية الحالية) في محاولة منهم لحشد التأييد الشعبي" كما يقول 'كوبر'[1].

2-الوظيفة الإقليمية:

إن الاحتلال حاول أن يوجد في الجزائر نوعا من التقسيم الإقليمي على أساس لغوي، خاصة فيما يتعلق بمنطقة القبائل. و يبدو أن هذا لم ينطل على الجمعية. و قد سبق أن رد الشيخ ابن باديس بشدة على من يتشدق بالأمازيغية غريمة للعربية، و على من يحاول أن يحمِّلها وظيفة إقليمية غير بريئة، و قام بنشر رده في جريدة 'البصائر' ليؤكد على النزعة الإقليمية التقسيمية التي يختفي خلفها الاستدمار. و يختم رده-وهو يتحدث عن العلاقة المتينة بين العرب والأمازيغ- بسؤال فيه كثير من التلميح. فيقول:" فأي قوة بعد هذا يقول عاقل، تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب و الأماني الخوادع، لا عجبا! لم يفترقوا و هم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي؟"[2]. و هذه إشارة واضحة منه -رحمة الله عليه- إلى الأيادي الفرنسية والمتفرنسة، التي تريد العبث بالمصير المشترك للعرب و الأمازيغ في الجزائر، تحت غطاء إعادة توزيع الوظائف اللغوية على أساس إقليمي.

3- وظيفة الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق أوسع :

لقد تأكد سابقا أن اللغة العربية بمظهرها العامي تسيطر على هذه الوظيفة، و لكنها لا تشكل المظهر الرسمي العملي و لا الرمزي للغة العربية. و هذا لا يُحرج الجمعية في سياستها اللغوية، التي تناصر فيها الفصحى أساسا للتواصل الأفقي و العمودي. لأنها رأت في العاميات خطوط التراجع الخلفية في الصراع اللغوي ضد الفرنسية. لذا وجدنا ابن باديس يشيد بعاميات الجزائر لقربها من الفصحى رغم تعددها. و فوق هذا يستعملها في التواصل الأفقي و يستعين بها حتى في بعض المقامات الرسمية كما مر سابقا.

---

[1]- التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر ، ص189.

[2]- " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان":ابن باديس، البصائر،م1 ،السنة الأولى، العدد3، 17 جانفي1936،ص18.

و هذا يؤكد أن ابن باديس يعترف بالتباين الوظيفي بين العاميات و الفصحى، و لكن ليس بالحِدة التي ترسم بينهما جدارا صلبا بحيث لا يلتقيان. فقد تُسنَد للفصحى الوظائف التي أسندت للعاميات و لا يمكن العكس[1]. و لذا لا ترى الجمعية في سياستها اللغوية مانعا من الحفاظ على العاميات، مصدر ثراء وظيفي لغوي للجزائر. ولكن ليس على حساب الفصحى كما تريد فرنسا.و قد مر أن الجمعية في قانونها الداخلي في المادة 67 تجيز استعمال العامية للتواصل مع الجمهور.

كما استَغلت الجمعية - بوصفها تكتلا معارَضًا للسياسة اللغوية فرنسية- العاميات باعتبارها المؤهَلة لوظيفة الاستعمال اللغوي المتداول على نطاق واسع، لخدمة سياستها اللغوية. و تحقيق مكاسب وطنية و سياسية. فكلما تدعم انتشار العربية بتنوعيها زادت شعبية الجمعية على حساب التكتلات الوطنية و غير الوطنية. لأن " النخبة و النخبة المضادة تعملان على ترويج لغة الاستعمال على نطاق واسع عندما يخدم انتشار تلك اللغة مصالحهم السياسية"[2].

و الجمعية لم تكن تُخفي نية التوسع الشعبي، و كسب قاعدة تمثيلية عريضة، تعكس حجم الوعي الوطني بأهداف الجمعية، و تُظهر مدى التقدم في منجزاتها. جاء في القانون الداخلي للجمعية في المادة 46:" من واجبات كل عضو أن يخلص للجمعية و آية الإخلاص أن يذيع سمعتها في الأوساط العامية و يقوم بالدعاية لها و التنويه بها و الإشادة بذكرها، و لا يدخر وسعًا في تعزيز جانبها"[3].

أما الأمازيغية فهي تستعمل العربية خارج حدودها، و هذا تأكيد آخر على أحقية العربية بهذه الوظيفة اللغوية. و ما استعمال الطفل الأمازيغي للعربية في رده السلام على القس الفرنسي، إلا تعبير بريء عن لاشعور الجَمْعي تجاه العربية، حتى ظن الطفل أن العربية هي لغة الاستعمال على نطاق أوسع من الواسع؛ فاستعملها ببراءته حتى مع الفرنسي.

[1] – ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ص172.

[2] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص196.

[3] – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص82.

4- وظيفة الاستعمال الدولي:

مر سابقا أن هذه الوظيفة قد أسندت للغة الفرنسية في التعامل الجزائريين مع الغرب والوافدين منه. لأنها كانت لغة الدبلوماسية و التجارة الدولية و السياحة غيرها. و لكن هذا لم يحرم اللغة العربية من هذه الوظيفة؛ حيث بقيت تهيمن على الاستعمال الدولي للجزائريين في تعاملهم مع المشرق و الوافدين منه.

و طالما أن الجمعية جعلت اللغة العربية محور سياستها اللغوية؛ فقد أعطت لسياستها صبغة شرقية، لأن العربية ببعدها الشرقي توفر للناطق بها تناغما مع الواقع التاريخي و الديني و الاجتماعي الشرقي.

فوظيفة الاستعمال الدولي للعربية تعطيها الجمعية بعدا آخر في سياستها اللغوية؛ وهو بعد الاندماج الاجتماعي العابر لحدود الدول. فالعربية في سياسة الجمعية ليست ليتواصل بها الجزائري مع أي مشرقي فقط بل ليندمج معه في كل مقوماته العربية الإسلامية. و هو ما لا توفره الفرنسية لأتباعها. يقول ابن باديس معتزا بانتمائه إلى هذا البعد اللغوي الحضاري الذي يمتد شرقا أكثر من امتداد الفرنسية غربا:" إذا قلنا العرب فإننا نعني هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلنطيكي غربا، و التي فاقت سبعين مليونا عدًا تنطق بالعربية وتفكر بها و تتغذى من تاريخها و تحمل مقدارا عظيما من دمها، و قد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة. هذه الأمة العربية تربط بينها، زيادة على رابطة اللغة – رابطة الجنس و رابطة التاريخ و رابطة الألم، فالوحدة القومية و الأدبية متحققة بينها ولا محالة"[1].

فاختارت الجمعية اللغة العربية في التعامل مع الشرق ثم الفرنسية للتعامل مع الغرب. كان اختيار موضوعيا، رغم أن وظيفة الاستعمال الدولي تسند غالبا للغات الأجنبية، إذ " يحدث رسم السياسة اللغوية للغة الدولية واسعة الانتشار عندما يتم تحديد وإقرار أي اللغات الأجنبية التي ينبغي تعليمها للأطفال في المدارس. و من الناحية التقليدية. فإن اللغات الدولية الأكثر

[1]– ابن باديس حياته و آثاره: عما رطالبي، ج2،م1،ص398.نقلا عن الشهاب،م13، ج11، جانفي1938،من مقال" الوحدة العربية:هل بين العرب وحدة سياسية؟"،ص472-473.

تداولا و الأكثر مطلوبية للاستعمال كلغات دولية واسعة الانتشار هي التي غالبا ما يتم تعليمها في المدارس"[1]. وجمعية العلماء المسلمين كانت تنوي في سياستها اللغوية أن تعتمد اللغة العربية لغة للتدريس و الفرنسية مقررا دراسيا إن استطاعت، حتى تضمن للجزائري في تعامله اللغوي مع العالم العربي اندماجا دينيا و ثقافيا و اجتماعيا، و قد أرسلت الجمعية بعثاتها الطلابية للمشرق فلم يقعوا في ورطة لغوية، و لم يجدوا شعورا بمركب نقص بين المشارقة. خلاف لمن التحق من الجزائريين بالجامعات الفرنسية لاستكمال تعليمه، فقلما ينجوا من عقدة النقص ونظرة الدونية.

ثم إن الجمعية في سياستها اللغوية تدعم الوظيفة الدولية للغة العربية، من خلال اعتمادها في المراسلات و التعازي و التهاني.. كما قصَرت اللغة الفرنسية على تعاملها مع العالم الغربي.

5- وظيفة الاستعمال اللغوي في العاصمة و ما حولها:

مر سابقا أن العاصمة لم تكن تملك لغة خاصة بها، لأنها كانت تستعمل اللغة العربية العامية التي تمتزج فيها الفرنسية بمختلف التباينات العامية العربية للقاطنين بها . خاصة عند أغلب الطبقة الأرستقراطية الموالية للإدارة الفرنسية. يقول 'علي مراد' واصفا هذه الطبقة وتعاملها مع اللغة:"إننا ها هنا نلمّح لهذه البرجوازية التجارية ذات الأصول العربية الأندلسية المفعمة بتفوقها الاجتماعي و الثقافي، التي تشكل نوعا من الطائفة الواثقة من نفسها غير الآبهة ببقية الناس. كما نلمّح للبرجوازية ذات الأصل القبائلي المتشبثة بتقاليدها الخاصة و غير المستعدة لمجاراة العناصر الأجنبية على إثنيتها الخاصة. كان الوسط العاصمي متضامنا مع الكهنوت الرسمي الإسلامي الذي كان يصدر عنه، و لم يكن يتمنى سوى استمرار النظام القائم. إزاء هذا المجتمع العاصمي، أحادي اللغة تماما و المحافظ جدا"[2].

لذا يبدو أن الرطانة العاصمية إلى زاول إذا وجدت سياسة لغوية محكمة مع حسي وطني صادق عند العاصميين. و لعل السياسة اللغوية للجمعية تجاه أهل العاصمة كانت سياسة تعليمة بحتة لأنها السياسة الغالبة على نشاط الجمعية في كل ربوع الوطن. لأن في اللسانيات

---

[1] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر ،ص197.

[2]– الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر:علي مراد،ص111-112.

الاجتماعية "لا تشكل اللغة التي تستعمل في العاصمة و ما حولها محور اهتمامات عملية رسم السياسة اللغوية"[1].

ورغم ذلك كان اختيار الجمعية للعاصمة مقرا لها؛ فيه دعوة للعاصميين لالتفاف حول مشروعها، و قد فعل كثيرون، حتى أوفد لهم ابن باديس الشيخ ’الطيب العقبي‘ ممثلا له؛ و هو الذي عُرف بخطبه النارية المؤثرة و صلابة مواقفه و تعصبه الشديد للعروبة و العربية حتى أنه كان يهز أركان نادي الترقي بفصاحته[2].

6- وظيفة الاستعمال الخاص بالمجموعات:

أو بتعبير أدق "اللغة نتاج للهوية الجماعية" كما يترجمها ’عبد الفتاح عفيفي‘[3]. و قد مرَّ أن هذه الوظيفة قد تكفلت بها العاميات العربية الجزائرية و الأمازيغية. فكيف برمجت الجمعية في سياستها اللغوية العلاقات الوظيفية بين العاميات و الأمازيغية؟

لقد ثبت سابقا أن السياسة اللغوية للجمعية تريد أن ترسخ علاقة التعايش بين العربية والأمازيغية خلافا لما يحاك لها في الخفاء. لتقضي بذلك على صراع النفوذ اللغوي بينهما. وقد عبر ابن باديس مرارا عن التكامل الاجتماعي و اللغوي بين العرب و الأمازيغ كما مر سالفا عند عرض سياسة الجمعية في إدارة الثنائية اللغوية.

و إنما الذي تجدر الإشارة إليه الآن؛ هو عدم اعتراض الجمعية على استعمال الأمازيغ لغتهم في نطاق جغرافيتهم، بل كان ابن باديس الأمازيغي يستعملها أيضا عندهم. لكن لا يستعملها خارج حدودها، و هو ما تؤكد عليه الجمعية في سياسيتها اللغوية. حتى لا يتحول البعد اللغوي للجماعات إلى صراع نفوذ وهوية. و يصبح المطلب اللغوي مطلبا إيديولوجيا و سياسيا.

إن ابن باديس رغم أمازيغيته؛ لم يبرمج ترقية الأمازيغية في سياسة اللغوية للجمعية، لا من حيث توحيدها معجميا، و لا من حيث خطها، ولا من حيث بعث تراثها. و أبقى دار لقمان

[1]- التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر ،ص197.

[2]- ينظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: علي مراد،ص111-120. إلا أن طبْعه الصحراوي جعله يجنح إلى الشدة في التعامل مع الوسط العاصمي المتميع؛ فجنى نتائج عكسية. على ما يذهب إليه علي مراد.

[3]- ينظر علم الاجتماع اللغوي: عبد الفتاح عفيفي،ص175.

على حالها. لأن منظوره السلفي يفرض عليه عدم تبديد جهوده، بل حشدها لخدمة لغة الدين فقط.

و هذا الموقف يكشف تفطن ابن باديس لحرب الاستنزاف، التي تريد فرنسا أن تجره إليها. فلو انخرط في البحث عن اللغة الأمزيغية الأم المزعومة انتصارا للعرق، لأفنى عمره دون حرف واحد منها كما حدث للكثير. وتكون فرنسا قد صرفت جهوده عن الحق و بددتها في خدمة الباطل. لعلمها بالكلفة الزمنية و المالية لإحياء ما عفا عنه الدهر و تخلى عنه أصحابه طواعية.

لذا أعادت الجمعية الهدية المسمومة إلى أصحابها؛ و سعت إلى إعادة ربط الأمازيغية بالعربية نظرا للتاريخ و المصير المشتركين بينهما، وحاولت تجديد علاقة التكامل بينهما، في المعجم و الخط و غيرهما. فما أثرى الأمازيغية إلا العربية الفصحى و هذا منذ الفتح الإسلامي[1]، نظرا لوظيفة التثقيف التي تفوقت بها العربية على غيرها من اللغات غير المكتوبة. و قد مر آنفا نص للإبراهيمي يبين فيه أفضال الجمعية في إبطال مشروع فرنسا في بلاد القبائل.

إن خطاب ابن باديس للأمازيغ كان موجَهًا لكل طوائف الأمازيغيين، ولكن نظرا إلى أن درجة الوعي بخَلفيات الخطاب الفرنسي الأمازيغي تختلف من طائفة إلى طائفة. وجدنا ابن باديس ركز على المنطقة التي استهدفتها فرنسا بإعادة التمزيغ؛ و هي منطقة القبائل. في ذات الحين نجده في لقاءاته مع بني مزاب لا يطرح هذا المشكل اللغوي. بل وجدهم أكثر انتصار لها من بعض العرب، و لا صدى عندهم لدعوة تمزيغ الأمازيغ.

إن الجمعية كانت تدرك أن الأمازيغيين لا يستطيعون التواصل فيما بينهم دون اللجوء إلى اللغة العربية. لذا بحكم كونها داعية للوحدة اللغوية الوطنية، لا بد عليها أن تُمتِّن الجسر اللغوي الذي مده الإسلام بين قبائل الأمازيغ عن طريق العربية. بل مده أيضا بين الأمازيغية والناطقين بالعربية.

---

[1] – ينظر فرنسا و الأطروحة البربرية: أحمد بن نعمان، ص186.

إن الجمعية كانت تحضر نفسها لتحصد نتائج لغوية مشجعة في منطقة القبائل، على الأقل لأن فرنسا فضلت السباحة عكس التيار اللغوي الثقافي و الديني المهيمن على الجزائر. ثم لأن فرنسا تدرك من خلال الأنثروبيولوجيا أن الجزائري متعصب للدين واللغة. فكل تدخل لغوي يعتبر مساسا بخصوصية الأمازيغ، و عبثا بالرابط الذي يوحدهم قبل رابط العرق. لذا كانت تتوقع الجمعية في سياستها اللغوية انحصارا للفرنسية والأمازيغية في مقابل العربية. وقد عبر الإبراهيمي عن سرعة نشاط الذاكرة الجماعية للأمزيغ في قوله:"جاءتنا العريضة التي ننشر نصها و إمضاءات أصحابها كاملة، من رجال زواوة الكبرى يطلبون فيها بتأكيد من الحكومة الجزائرية إلغاء القوانين الخاصة بزواوة في الأحوال الشخصية، تلك القوانين التي تستند على العوائد و الأعراف لا على أحكام الشريعة الإسلامية المطهرة. و يطلبون الرجوع إلى الأصل، وهو أحكام الشرع الإسلامي.."[1]. فصدق تنبؤ الجمعية بانتشار العربية و الإسلام.

7-8- وظيفتا استعمال اللغة أداة للتعليم و استعمالها مقررا دراسيا:

لقد مر سابقا أن التدخل في اختيار لغة التعليم هو من صميم السياسة اللغوية. و كان ʼكوبرʽ يقول:" من المعتاد أن يفرض المستعمر لغته على النظام التعليمي للمستعمَر"[2]. و هو ما أعدت الجمعية لمواجهته في سياستها اللغوية.

لقد قررت الجمعية استعمال اللغة العربية مقررا دراسيا و أداة للتعليم، لأنها تَعتبر اللغة العربية ـ كما يعتبرها كل فرد و أسرة جزائرية ـ لغة التفاعل الاجتماعي، و أداة تحكم سياسية إذا تحقق الاستقلال للجزائر. و هي بهذا الاختيار لا تخالف مبادئ اللسانيات الاجتماعية وأهداف رسم السياسات اللغوية، لأن " قرار استعمال أي اللغتين المحلية أم الأجنبية لتعليم الأطفال في المدارس يعتمد أساسا على اعتبارات سياسية. وما دام التعليم، من وجهة نظر الدولة، أداة سياسية للتحكم و السيطرة الاجتماعية. ومن وجهة نظر الفرد و الأسرة، أداة للحراك الاجتماعي فليس غريبا أن تكون لغة التعليم في المدارس موضوعا سياسيا مهما" يقول ʼكوبرʽ[3].

---

[1]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج2،ص269. نقلا عن البصائر، العدد59، السنة 2، 6ديسمبر 1948.

[2] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص204.

[3] – المرجع نفسه،ص207.

فمن دون شك أن لذات الأسباب و الدوافع، اعتبرت فرنسا لغة التعليم في المدارس الجزائرية هي اللغة الفرنسية. إلا أن جمعية العلماء كانت أكثر فقها للواقع الجزائري، و أكثر تناسقا مع حركية البُنى اللغوية و الاجتماعية، عندما انتخبت العربية أداة للتعليم، والفرنسية مقررا دراسيا في حدود إمكاناتها. و هذه مرونة في غاية الواقعية، يسجلها التاريخ للجمعية، في ظرف تطيش فيه العقول و تحتكم إلى الفعل و رد الفعل.

كما أن هذا التنازل من منظور اللسانيات الاجتماعية هو رسالة طريفة مرمزة من الجمعية إلى الاحتلال لو كان يعقل! فالسياسات اللغوية لا تعتمد أي لغة مقررا دراسيا إلا إذا كانت هذه اللغة غير رسمية و لا إقليمية وهو ما ينطبق على الفرنسية في الجزائر. ومما زاد الأمر طرافة؛ أن فرنسا حاولت فرض لغتها حتى على مدارس الجمعية، وهذا فيه تأكيد من فرنسا - دون وعي منها- على أن لغتها لغة أجنبية عن المجتمع الجزائري، و أن دستوريتها حملة إعلامية لتبرير التنكيل القانوني و الإداري والميداني بالعربية.

و الأبعد من ذلك أن السياسة اللغوي للجمعية كانت أكثر التزاما بمعايير رسم السياسات اللغوية -التي تقرها اللسانيات الاجتماعية- من غريمتها فرنسا. لأن الذي يحدد لغة التعليم هو القرار المشترك الذي يصدر عن رجال الأسرة التعليمية و يزكيه السّاسة. وهو ما حدث حقيقة للجمعية؛ فأولًا: قرار تعليمية العربية و الاستعانة بالفرنسية كان صادرا عن علماء تجاوزوا علم اللسانيات الاجتماعية بإبداعاتهم. و ثانيا: هذا القرار زكته السلطات الفرنسية بمصادقتها على القانون الأساسي للجمعية. على خلاف قرار تعليمية الفرنسية فقد كان قرارا سياسيا أكثر منه قرارا لسانيا اجتماعيا. و هو ما يجعل حظوظ نجاحه أدنى بكثير من حظوظ نجاح السياسة اللغوية للجمعية.

وهنا نقيصة أخرى تبشر الجمعية بقرب أجل السياسة اللغوية الفرنسية؛ وهي أن الفرنسيين غير متفقين حول تعليم الجزائريين حتى الفرنسية، و إن كانوا متفقين باطنا على إبقاء الجزائري دون مستوى الفرنسي. لأن كل شذاذ الآفاق كانت لهم ضغوط لاختيار اللغة التعليم.

إن الجمعية تدرك أن المعمرين لا يريدون تعليم الجزائيين لا الفرنسية و لا العربية. ولذلك يقول ابن باديس في 1926م:"توجد في هذه البلاد لغتان شقيقتان على شاكلة الأخوة

والوحدة الضرورية لأولئك الذين ينطقون بها «...»إنهما العربية و الفرنسية. و نأمل بأن تتعاون السلطات المسؤولة و الشخصيات التي تتمتع بالوسائل المادية حتى تحقق تعليما مزدوجا عربيا و فرنسيا يستفيد الجميع من ثمراته"[1].

فالجمعية ليست ضد تعليم الفرنسية، و لا تريد أن تفوت على المجتمع فرصة تعلم اللغات الأجنبية كما جاء في المباحث السابقة. على الأقل لدواع أمنية لأن التحكم في لغة المستعمر يعني استشعار طريقة تفكيره و بالتالي التحسب من خطره، وهو ما دعت له **جميع فصائل الحركة الوطنية بما فيها جمعية علماء المسلمين الجزائريين**[2].

إن العلماء " لم يكونوا يرون آنذاك داعيا لمطالبة الدولة بأن تتكفل هي نفسها بتنظيم تعليم العربية في الجزائر، على نفس السلم الذي كان عليه تنظيم التعليم العام الفرنسي"[3]، على الأقل حتى لا تُسلب الجمعية إرادتها في تعليم الفصحى بدل العامية المشوهة التي درّستها فرنسا.

إن اختيار الجمعية للعربية أداة للتعليم، يتوافق مع الأهداف التي تقرها السياسات اللغوية. يقول 'كوبر' - فيما مر سابقا-:" فاللغات تدرس لتحقيق عدد من الأهداف على سبيل المثال«..» لتمييز طبقة الصفوة عن العامة. و يبدو أن الهدف الأخير هو الدافع وراء تقليد تزيد ممارسته على قرون"[4]. وهو ما تريد الجمعية تحقيقه، قال ابن باديس عن الصفوة المحافظة التي يريد إنشاءها:" بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم و شخصيتهم و من الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي و تعليمهم الصنائع"[5].

إن الجمعية في سياستها اللغوية لم تهمل تقديم الحوافز لتشجيع تعلم و تعليم العربية. ولكنها كانت واقعية في حوافزها؛ فلم تَعِد بما لا تستطيع الوفاء به. لذلك كانت تركز على الحوافز المعنوية لإغراء المتعلمين لقلة الحوافز المادية، مقارنة بما تغريهم به فرنسا من

---

[1] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد،ص 424. نقلا عن الشهاب،17 أوت1926.(الافتتاحية).

[2] – ينظر الجزائريون و المسألة اللغوية:خولة الإبراهيمي،ص30.

[3] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 502.

[4] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص207-208.

[5] – ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص269.

التجنيس و مناصب العمل. فالجمعية أهْدَت لكل من تعلم العربية هويةً جزائرية أصيلة، و قومية عربية عريقة، مع تلك الشهادة العلمية التي تسلمها له. فيجد التلميذ نفسه قد انفكت عنه صورة الطفل المشرد الأمي المنحرف عديم الفائدة، و أصبح يشار إليه بالبنان لأن اسمه كتب في قوائم الناجحين على صفحات جرائد الجمعية و ظفر بصورة تذكارية مع معلميها وعلمائها.. و يا فرحة من كان في البعثة الطلابية للجمعية إلى الدول العربية لاستكمال دراساته العليا.

9- استعمال اللغة لأغراض أدبية:

يقول 'كوبر':"تطوير اللغة لهذه الأغراض[الأدبية] يؤدي إلى إيقاظ الضمير و الحس القومي لدى المثقفين. و يعتقد بعض القوميين أيضا أن التطوير الأدبي للغة القومية يعزز و يدعم شرعية الدعوة إلى الحكم الذاتي القومي"[1]. لذا قررت الجمعية – في دستورها- أن اللغة العربية هي لغة الآداب و التراث القومي. لتستفيد من توظيف اللغة في الأغراض الأدبية، فقد كانت من المساهمين في تطوير المقال السياسي و الاجتماعي، ومن النافثين روح الوطنية من خلال فنون الشعر المختلفة؛ أليس ابن باديس هو واضع نشيد شعب الجزائر مسلم؟ هذا النشيد الذي دوت به حناجر المجاهدين في الثورة و تردد صداه في كل ربوع الجزائر.

10- وظيفة استعمال اللغة لأغراض دينية:

لقد اتضح سابقا أن وظيفة الاستعمال الديني للغة تشمل استعمال اللغة للطقوس الدينية. وكذا التثقيف الديني. وهذا ما أقرته الجمعية في سياستها اللغوية حول وظيفة اللغة في الأغراض الدينية. فقد ورد على لسان الجمعية في جريدة 'الصراط السوي':"بما أن تعليم العربية من فروع التعليم الديني، و لا يمكن المسلم أن يتعلم علوم دينه بدونها، و بما أن الحكومة ليس في وسعها أن تقوم بالمدارس الفرنسوية و المدارس العربية في آن واحد. و أن الأمة الجزائرية تكتفي من الحكومة بأقل ما يمكن من الإعانة والمؤازرة و التشجيع، و بما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أسمى غاياتها نشر التعليم بكافة أنواعه و السعي في تعميمه بجميع الوسائل والطرق. فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب من الحكومة ترك الحرية التام

---

[1] – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر ،ص211.

للمسلمين الجزائريين في فتح الكتاتيب القرآنية و المكاتب العربية الحرة و أن تقف إزاء القائمين بهذه المشاريع موقف المؤيد المساعد"[1].

فهذا النص يؤكد أن ما أقرته الجمعية في تشريعاتها التنظيمية، من أن اللغة العربية هي لغة الطقوس الدينية الإسلامية، كان تدعيما للوظيفة الدينية للغة العربية. بل استباقا لأي محاولة لعزل اللغة عن مجالها الديني الحيوي، بعد أن تم عزلها عن المجال الإداري و السياسي والاقتصادي. كما يعتبر التأكيد على هذه الوظيفة الدينية للغة العربية الفصحى، إبطال مباشر للوظيفة الدينية التي تريدها فرنسا للعربية العامية، التي تحشد قواها لترقيتها إلى لغة للتعليم ثم لغة للدين. جاء في المادة 66 من القانون الداخلي للجمعية:"الأمة الجزائرية أمة إسلامية عريقة في إسلامها، فالإسلام هو دينها الذي تفاخر به و ميراثها الخالد، و العربية كتابها و مستودع آدابها و حكمتها، فالجمعية تريد أن ترجع بهذه الأمة- من طريق الإرشاد- إلى هداية الكتاب والسنة و سيرة السلف الصالح لتكون ماشية في رقيها على شعاع تلك الهداية"[2].

إن الجمعية لما رأت فرنسا مازالت تسعى لإزالة مظاهر القداسة عن العربية؛ قامت في سياستها اللغوية بهذه الحركة الاستباقية، عندما أكدت أن العربية لغة للدين و تعليم علومه. وهي بهذا ردت محاولات ترجمة القرآن و الكتب الدينية للعامية بالرسم اللاتيني، لأن فرنسا حاولت فرنسة لغة الدين و علومه وكسر تلازمية الإسلام و العربية، وإبطال عقيدة لا يجوز التعبد إلا باللفظ العربي.

لم يغب عن الجمعية أن التنصير يساعد على الفرنسة كما أن الفرنسة تسهل التنصير كما قال البحاثة 'ساطع الحصري' سابقا. لهذا كان من أهدافها محاربة التنصير و قد وردت آنفا فتوى الشيخ ابن باديس في التجنيس. بقي نقل الحسرة التي يتكلم بها الإبراهيمي عن التنصير: "لقد كان من المعقول أن يثمر التبشير في القطر الجزائري و يأتي بنتائج أكثر مما يأتي به في الأقطار الأخرى لعدة اعتبارات، أولا: تقادم عهده، و ثانيا:صولة الاستعمار الذي يحميه، وثالثا: فشوّ الجهل و الأمية و الفقر في الأمة التي هي فريسة التبشير، رابعا: انتشار الطرقية التي هي ظئر التبشير و كافلته و الممهدة له حسا و معنى، و إن جهل هذا قوم فعدوا من محاسنها مقاومة

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص196-197.
[2]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص84.

التبشير، و خامسا قعود علماء الدين عن المقاومة و سكوتهم عن المعارضة قبل جمعية العلماء. و لكن الواقع أن التبشير مع طول المدة و استكمال العدة لم يلق النجاح«..»و هذا كله قبل وجود جمعية العلماء، فأما بعد وجودها- و ما وجودها ببعيد العهد- فإن من برامجها مقاومة التبشير بقدر المستطاع، و إلى الآن لم تتوفر لدينا الوسائل الكافية لتنظيم مقاومة منتجة، و أهم عنصر في هذا الباب هو المال«..»و لعمري كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال، مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان و الراهبات و الأطباء والممرضات.."[1].

[1] - المرجع السابق، ج1،ص196-197.

4- كيف رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟

لابد لرسم سياسة لغوية من تحديد الوضعية اللغوية بوصفها، ثم تحديد الأهداف و اختيار الاستراتيجيات المناسبة. فهل سارت الجمعية وفق هذه المنهجية العلمية التي تقرها اللسانيات الاجتماعية؟

إن الجمعية تعي جيدا هذه الآليات(وصف- أهداف- استراتيجيات)، ودليل ذلك ما جاء في قانونها الداخلي الذي يلزم الأعضاء التحرك وفقها. جاء في المادة69 منه:" تدرس الجمعية أحوال المجتمع الجزائري من جميع جهاته الدينية و الأخلاقية و الاجتماعية و الاقتصادية، وتعهد إلى من فيه كفاءة من أعضائها- واحدا أو أكثر- بوضع برنامج واسع مفصّل وافٍ ببيان أصول العلل و كيفية معالجتها على وجه تألفه نفس الجزائري، فلا ينفع الدواء إلا إذا عرف الداء، و لا تُعرف حقيقة الداء إلا بمعرفة أسبابه و مناشئه، و الحكيم من عالج المرض بإزالة أسبابه، ومن واجبات الواعظ أن يعظ الناس على قدر استعدادهم، و معرفة ذلك الاستعداد متوقف على تفهّم نفسية الأمة، فإذا فهم العالم نفسية الأمة عرف كيف يقودها إلى الخير و عرف أي طريق تؤخذ منه"[1]. و لعل هذا المنهج منهج قرآني؛ فطريقة التشخيص و طرقة العلاج استقاهما ابن باديس من النبع القرآني[2].

1- الوَصْف:

بدأ ابن باديس و الإبراهيمي التقييم الوضعية الجزائرية، في أسمارهما بالمدينة المنورة سنة 1913م. و كما يبدو فإن هذا كان في وقت مبكر جدا عن تاريخ ظهور الجمعية. ويصف الإبراهيمي اللقاءات المتواصلة مع بن باديس قائلا:" ..كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، و نخرج إلى منزلي، فنسمر مع الشيخ ابن باديس، منفردين إلى آخر الليل، حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها الشيخ في المدينة المنورة. كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا

[1]- المرجع السابق، ج1،ص86.

[2]- "حاجة المسلم اليوم إلى المنهج الباديسي":عبد الرزاق قسوم،مجلة الوعي، العدد1،جويلية2010،ص33.

للوسائل التي تنهض بها الجزائر، و وضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة، التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا، و صحبها من حسن النية، و توفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشر سنة، و أشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة1931"[1].

و يقول أيضا عن نتائج هذه المدارسات:" و كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني و بين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة، أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه، و بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه و يتعرقان لحمه و يفسدان دينه و دنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي «..»و استعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق«..»و قد طال أمد هذا الاستعمار الأخير و ثقلت وطأته على الشعب«..»فكان من سدادا الرأي و إحكام التدبير بيني و بين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون و كذلك فعلنا.."[2].

كما كان ابن باديس يستشهد و يستعين حتى بوصف عمه 'حميدة بن باديس' للوضع الجزائري، و الذي حرره في 10 أفريل 1891م، و يعيد ابن باديس نشره على صفحات جرائد الشهاب في أفريل 1937م[3].

يقول 'عبد القادر فضيل' مبرزا دور الوصف و وضع الأهداف و الاستراتيجيات في مشروع ابن باديس النهضوي:" في هذا الوضع الصعب ظهرت حركة ابن باديس التي كان فيها وفيا لاتجاهاته و أفكاره، **و ظهر له أن الأمر يحتاج إلى خطة للمواجهة**، خطة محكمة البناء، متعددة الأوجه، **و إلى وسائل مادية و تنظيمية و بشرية، فصمم على الشروع في العمل و لو بمفرده في البداية، ثم بمعية صفوة من خلصائه**. كان يرى رأي العين أن شعبه بدأ بفقد الأمل

[1]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج5،ص 278.
[2]- المرجع نفسه ،ج5،ص282.
[3]- ينظر ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص22-32.

في الخلاص من الأوضاع المتردية:«..»خنوع للاستعمار، شباب ضائع محروم «..» أكلته الحانات و المقاهي «..»أفقده الاستعمار لغته.."[1].

يقول ابن باديس مقيما الوضعية الجزائرية عامة آنذاك:" اجتمعت في الجزائر كل أنواع الاستعمار، من استعمار اقتصادي و ثقافي و سياسي، فقد وضعت فرنسا يدها على اقتصاديات البلاد كلها و حاصلاتها، و سنت لحمايتها القوانين السياسية الجائرة استثنائية، و طبقتها كلما دعت مصلحتها إلى تطبيقها، و زادت فمكنت للغتها في البلاد، فلا لغة إلا لغتها و لا ثقافة إلا ثقافتها، حتى الدين امتدت إليه يدها، فبسطت نفوذها عليه لتستغله عند الحاجة، كما تستغل المناجم، أما الإدارة و أجهزتها، فكلها في قبضتها، و إذا وجد فيها جزائري فليكون من أعوانها، على إخوانه، فأي احتلال و استعمار أبشع من هذا الذي نعيشه في الجزائر"[2].

و يلوم الحكومة الفرنسية على إصرارها الظالم، فيقول لها:" و هذه حكومتنا أكبرت علينا **بضع مدارس لا يأوي مجموعها ألف ولد، من أمة تعد ستة ملايين نسمة** و لا يُعلَّم بها أكثر من الحروف الأبجدية، ومبادئ الدين، و لغة أولية"[3]. ويقول في موضع آخر أيضا:"هذا القطر قريبا من الفناء ليست له مدارس تعلمه و ليس له رجال يدافعون عنه و يمتون عليه، بل كان في اضطراب دائم مستمر «..».كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلا إلى المدارس الأجنبية التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاسف حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم و لغتهم و قوميتهم، و قد ينكرونها"[4].

وصف الإبراهيمي ضياع وظيفة اللغة الرمزية و العملية والدينية و التعليمية والقومية، فقال:"وكلكم يعلم أن هذا اللسان ضاع من بيننا فأضعنا بضياعه كل ذلك التراث الغالي النفيس

---

[1]- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص9.

[2]- "الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس (أصالة فكر سياسي ثوري)":عبد العزيز فيلالي،الوعي،العدد1،جويلية 2010،ص38.نقلا عن من مذكراتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي:باعزيز بن عمر،الجزائر،2008،ص26-27.

[3] -التعليم القومي:رابح تركي،ص168-169.نقلا عن البصائر،العدد90،السنة10،3ديسمبر1937، ص8.

[4]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م1،ص266.نقلا عن البصائر،السنة4، العدد171، 22جوان1939.

من دين و تاريخ، و أن اللغة هي المقوِّم الأكبر من مقوِّمات الاجتماع البشري، وما من أمة أضاعت لغتها إلا أضاعت وجودها، و استتبع ضياع اللغة ضياع المقوِّمات الأخرى"[1].

2- الأهداف:

بداية تجدر الإشارة إلى أن **الجمعية لم تصرح بكل أهدافها الإصلاحية، خاصة ما تعلق منها بتعليم اللغة العربية لأن تعليم العربية كان ممنوعا.** و ما سوف نورده من أهداف ما هو إلا استنتاجات لباحثين منهم المتخصصين في الشأن التربوي خاصة، و منهم الباحثين في الشأن الإصلاحي عامة.

لذلك حتما ستكون الأهداف اللغوية المسكوت عنها للسياسة اللغوية للجمعية، متضمنة ضمن هذه الأهداف العامة. مع ملاحظة أن الأهداف الخاصة باللغة العربية لا تقتصر على تعليميتها فقط. لأن **السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية لم تكن سياسة تعليمية فقط؛** بل رسمت هذه السياسة الأهداف و الاستراتيجيات لوظائف السوق اللغوي الجزائري، كما لم تهمل معالجة قضايا الثنائية اللغوية، و مظاهر الاحتكاك اللغوي.

و هناك حقيقة يجب التنبيه لها؛ و هي أن أهداف السياسة اللغوية للجمعية صيغت وفقا لهدف عام هو' الإصلاح'•. فما هو الإصلاح من خلال القانون الأساسي للجمعية؟ وما تقييم المفكرين له؟ و أين أهداف السياسة اللغوية فيه؟

لقد حدد القانون الأساسي- المذكور سابقا- الهدف العام للجمعية في الفصل الرابع:"القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة والجهل و كل ما يحرمه صريح الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين الجاري بها العمل".

---

[1]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص134.

• "الإصلاح تغيير هادئ ليس بنهضة تجمعت فيها أفكار مجردة، و لا بثورة تتدفق كالسيل العارم. فهو بين هذين التيارين يحاول إزالة البالي دون أن يهدد البنية الاجتماعية. يلبي رغبة المجتمع في التجديد و يدفعه بلطف إلى سلوك مغاير للعادات و التقاليد البالية التي تعترض طريقه و تميت حيويته". ينظر"مشكلة الإصلاح في المجتمع الجزائري":محفوظ سماتي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 311.

ونجد نفس الأهداف في القانون الداخلي للجمعية و مبادئها الإصلاحية لكن بنوع من التفصيل، كما جاء في الفصل الثالث الخاص بمقاصد الجمعية و غاياتها و أعمالها[1]:

"المادة 64: تجري الجمعية في جميع أعمالها الآتية على أربع قواعد:- تقديم الأهم على المهم- ما لا يدرك كله لا يترك كله- درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة- قليل العمل خير من كثير القول..

المادة 65: أول مقاصد الجمعية طائفة العلماء و الطلبة باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلق بالأخلاق الإسلامية..

المادة 66: الأمة الجزائرية أمة إسلامية عريقة في إسلامها، فالإسلام هو دينها الذي تفاخر به وميراثها الخالد، و العربية لغة كتابتها و مستودع آدابها و حكمتها، فالجمعية تريد أن ترجع بهذه الأمة –من طريق الإرشاد- إلى هداية الكتاب و السنة و السلف الصالح لتكون ماشية في رقيّها الروحي على شعاع تلك الهادية.

المادة 67: تتذرع الجمعية بكل الذرائع لإحياء فريضتي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على وجههما الديني..

المادة 68: بهذه الوسائل نفسها[المادة 67] تتوسل الجمعية لإماتة البدع و الخرافات المخالفة للدين و لإحياء السنن الصحيحة الثابتة، و لمقاومة المحرمات الضارة كالخمر و الميسر و الزنا و السرقة.."

إن القانون الأساسي للجمعية مستوحى من القانون الأساسي لجمعية التربية و التعليم التي أنشأها ابن باديس على إثر عودته من تونس. وقد سبق ذكر النص الذي يحدد الأهداف و الذي جاء فيه:"بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية: على تربية أبناء المسلمين و بناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم (أي تحقيق كينونة الفرد و كينونة الجماعة). و من الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم (المعرفة) باللسانين: العربي والفرنسي (أي إكسابهم الجوانب المعرفية النظرية)، (و من الوجهة العلمية التطبيقية) تعليمهم (الحِرَف) الصنائع (أي إكسابهم القدرة على توظيف المعارف المكتسبة و تطبيق النظريات، وتدريبهم على المهارات اليدوية)، و من الوجهة المالية: تعويد الأمة على التبرع المنظم، في

[1]– آثار محمد البشير الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1، ص84-85.

المشاريع التي تعود عليها و على أبنائها بالنفع العام، و يقصد هنا: (الوجهة السلوكية، و الخلقية والاجتماعية) أي تربية الناس على البذل و العطاء، و التكافل الاجتماعي...إلخ"[1].

فالغاية غاية إصلاحية وطنية؛ إذْ دينيًا هدفها تطهير الدين الإسلامي من البدع والخرافات، و تربويًا غايتها تنشئة جيل جزائري جديد، متسلح بالثقافة الوطنية و الفكر العربي، ليتمكن مستقبلا من تحقيق أمنية الاستقلال، و لغويا إعادة ترقية اللغة العربية و آدابها. فالغاية بعبارة أخرى؛ هو الدفاع عن الهوية الجزائرية: من دين و لغة و انتماء حضاري.

يقول الشيخ ابن باديس عن الإصلاح:" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم...و لن يصلح العلماء حتى يصلح تعليمهم «..»و لن يصلح هذا التعليم إلى إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته و صورته «..»فقد صح عنه عليه الصلاة و السلام، فيما رواه مسلم أنه قال«إنما بعثت معلما»"[2].

هذه الأهداف لم تتغير بل تدعَّمت بعد تصفية أنصار الإدارة الحكومية، و أعوان الطرقية من المجلس الإداري للجمعية، في الانتخاب الثاني الذي باشرته الهيئة العامة للجمعية عام 1932م. و أصبحت الأهداف عبارة عن مبدأ وشعار يعلمه العلماء لطلابهم و أتباعهم هو "الجزائر وطني، والإسلام ديني، والعربية لغتي".

إن أهداف الجمعية إجمالا تجتمع في الهدف التربوي. فأهداف المشروع الباديسي حسب رأي 'عمار طالبي' تعود إلى" **هدف واحد أساسي وهو النهضة التي تؤدي إلى الحضارة،** وأول خطوة في طريق الحضارة إنما هي تكوين الإنسان و ربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات الاجتماعية لتحقيق هدف مشترك«..» هو المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية بكل مقوماتها"[3].

---

[1] – إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 182. العبارات المحصورة بين قوسين من إضافة المؤلفين لتوضيح المقصد. و ينظر النص الأصلي ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص269.

[2] – أثار ابن باديس حياته و آثاره: عمار طالبي، ج1،م2، ص217.

[3] – ينظر المرجع نفسه ،ج1،م1، ص106-107.

هذه أهداف الجمعية إجمالا، أما تفصيلا فالهدف هدفان[1]:

1- كمال الحياة الفردية و الاجتماعية: **وهل تكمل الحياة الفردية الاجتماعية دون تحقيق الكفاية اللغوية الفردية و الاجتماعية** كما جاء في السياسة اللغوية للجمعية؟ يقول 'مصطفى صادق الرافعي':"و أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها و معانيها و حقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه؛ فهي قومية الفكر، تتحد بها الأمة في صور التفكير«..»فليس كاللغة نسب للعاطفة و الفكر؛ حتى إن أبناء الأب الواحد و لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئٌ على لغة، و نشأ الثاني على أخرى، و الثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء"[2].

2- خدمة الوطن ثم الوطن المغربي ثم العربي الإسلامي ثم وطن الإنسانية العام. و أي خدمة لا تكون إلا عن طريق اللغة لأنها هي أداة التواصل و الثقافة و السياسة و الاقتصاد..

أما طبيعة الأهداف التربوية التي تسعى إليها الجمعية فهي أربعة[3]:

1- هدف تربوي تكويني.
2- هدف تعليمي تثقيفي.
3- هدف عملي مهاري.
4-هدف سلوكي. وقد سبق ذكرها.

من الثابت أن الأهداف اللغوية هي جزء من الأهداف التربية التي تنوى الجمعية تحقيقها. فما بنك الأهداف اللغوية التي تريد السياسة اللغوية للجمعية تحقيقها؟ وهل فعلا كلها أهداف لتعليمية اللغة؟

يمكن أن نجمل الأهداف اللغوية للجمعية في سياستها اللغوية فيما يلي:

الهدف الأول: إخراج الجهود اللغوية من الطابع الفردي إلى الطابع الجماعي:

---

[1] - المرجع السابق ، ج1، م1، ص104- 106.

[2]- من وحي القلم:مصطفى صادق الرافعي،ج3، ص21-22.

[3]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس :عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 269.

إن الجهود اللغوية الفردية قبل الجمعية كان تأثيرها محدودا، لأن نشاط العلماء اتسم بالفردية، كما أن بعضهم كان مُدرسا في المدارس الحكومية مما أجبرهم على مراعاة جانبها، فاندفع بعضهم إلى التخفيف من نشاطه. و بقيت فكرة الجمعية الشغل الشاغل لبعض العلماء طيلة الفترة ما بين 1925 و 1930. رغم أن الفكرة كانت ناضجة إلا أن ميلاد جمعية للعلماء كان سيبقى حلما لولا قيادة ابن باديس الحيوية و الديناميكية والرشيدة كما يؤكد 'أبو القاسم سعد الله'[1]. "فالأفكار الجادة عند المفكرين العظام لا تأتي من فراغ، و لا تؤتي أكلها إلا إذا كانت وليدة تفاعل المفكر أو المصلح مع أحداث عصره و ظروفه، فيتأثر بها و يؤثر فيها. ولقد كان ابن باديس مفكرا من هذا الطراز"[2].

لقد تأكد أن ابن باديس في سياسته الإصلاحية- خاصةً ما تعلق منها برسم السياسة اللغوية- كان "يؤمن بالعمل الجماعي القائم على التنظيم و التخطيط و البرمجة و الدراسة"[3]. حيث كان يقول:" إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله و رسوله، إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر، و تدبر، و تتشاور، و تتآزر، و تنهض لجلب المصلحة و لدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر و عزيمة"[4].

إن ابن باديس يريد أن **يخرج من الجهود الفردية المبعثرة إلى الجهود الجماعية المتحدة**. فهو يريد أن يكرس تقليد العمل الجماعي. إذْ "ظل التعليم الإصلاحي إلى غاية نشوب الحرب العالمية الثانية، صنيع جمعيات ثقافية إسلامية صغيرة كما كان من قبيل المبادرات الفردية أكثر منه من قبيل التنظيم البيداغوجي الخاضع للتشاور"[5].

إن **ابن باديس يريد إقامة جهاز تنظيمي مسؤول، و تحت غطاء شرعي**؛ تحكمه قوانين و تسيره إدارة. و يتحمل منتسبوه مسؤولياتهم المادية و القانونية و الجزائية أما قانون الإدارة

---

[1]- ينظر الحركة الوطنية 1930-1962:أبو القاسم سعد الله، ج3،ص83.

[2] – الإمام المجدد ابن باديس و التصوف: أحمد محمود الجزار،ط1،منشأة المعارف،مصر،1999،ص30.

[3]- "الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس (أصالة فكر سياسي ثوري)":عبد العزيز فيلالي،الوعي ،العدد1، جويلية 2010،ص40.

[4]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م1،ص370.

[5]- الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 419.

الفرنسية و أمام قانوني الجمعية الأساسي و الداخلي. و في القانون الداخلي للجمعية مواد كثيرة تشدد على الانضباط، كالمادة(13- 26-28-29)[1].

فابن باديس لم يخف نية **التأسيس لعمل إداري مركزي مُعرَّب، يرسخ مبادئ إدارية للعمل الجماعي استعدادا لاستقلال الجزائر**. "و يبدو أن من بين ما كان الإمام يقصده في إعداد الأمة و تهيئتها للمطالبة بالاستقلال توعيتها توعية سياسية بالرغم من أن السَّمْت العام لخطته كان هو الإعداد التربوي التهذيبي، وهو ما بدا جليا في انشغاله الدائم بالهم السياسي الداخلي والخارجي"[2]. و وفقا لرأي كاتب فرنسي فإن العلماء لهم "هدفان هامان؛ أحدهما فوري، والثاني طويل المدى ، فالأول كان يتمثل في تجميع كل القوى المثقفة، بما في ذلك المحافظون مثل:ابن عليوة• تحت راية الإصلاح الاجتماعي، أما الثاني فقد كان يتمثل في فصل الجزائر عن فرنسا تحت علم الوطنية"[3].

يقول ابن باديس: "الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا. و قد استقلت أمم كانت دوننا في القوة و العلم و المنعة و الحضارة، و لسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله و يقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد. فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ. فليس من العسير بل من الممكن أن «..» تصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر"[4].

1- ينظر آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص77-79.

2 -"ملامح من الإستراتيجية السياسية للإمام عبد الحميد ابن باديس":عبد المجيد النجار،مجلة الوعي،العدد1،جويلية 2010،ص84.

• ولد ابن عليوة في مدينة مستغانم. كان ابن عليوة متهما من قبل العلماء المعاصرين له بأن يؤمن بمذهب الحلول و يدعو إلى التقارب المسيحي – الإسلامي ، و أن ذلك هو الذي جعل بعض غير المسلمين ينضمون إلى فكرته ، كما إتهموا أتباعه بمحاولة إغتيال الشيخ ابن باديس في قصة معروفة. ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 394،و ص 396. (الهامش).

3 – المرجع نفسه،ج2،ص 397.

4- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص320-321.نقلا عن الشهاب،ج3،م12،جوان1937، ص141-147.

إن العمل الجماعي الذي يخطط له ابن باديس لا ينفع فيه الغثاء و إن كثر، لذا حدد الشيخ ملامح العضوية في العمل الجماعي للجمعية بما يلي[1]:

أ- الكفاءة العلمية: جاء في القانون الداخلي للجمعية[2]:"المادة 44:« يترقى الأعضاء العاملون من الدرجة الثالثة إلى الدرجة الثانية بالتقدم في العلم و زيادة التحصيل و بالاجتهاد والمثابرة، و يترقى أعضاء الدرجة الثانية إلى الأولى بظهور أثر كتاب نافع أو القيام بمحاضرة نافعة أو تعليم منتج أو بالتحصيل على شهادة رسمية من أحد المعاهد الإسلامية. و حق الترقية من خصائص المجلس الإداري وهو يستمد معلوماته في هذا الشأن من تقارير رؤساء الشُّعَب» كما جاء أيضا في المادة 64:«..و تجري في توزيع الأعمال و الوظائف على اعتبار الكفاءة والأهلية. وتجري في وزن الرجال و أقدارهم على اعتبار أعمالهم لا على قدر تقدم أعمارهم»".

إن ابن باديس بنظراته الاستشرافية للمستقبل؛ يريد أن يتحسب له، بإعداد المؤسسات الإدارية المؤهلة علميا و قانونيا و إداريا. وللشيخ لفتة طيبة في شرحه لحديث 'زيد بن ثابت' حول تعلم اللغات المحتاج إليها•.فيقول:" نحن اليوم و قد ربطت بيننا و بين أمم أخرى مصالح علينا أن نعرف لغتهم و خطهم كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا و خطنا«..»هذه السُّنة [الحديث النبوي حول تعلم اللغات المذكور في الهامش] أصل في اتخاذ الكَتَبة و التراجمة في الدولة و ما يشترط فيهم من العلم و الأمانة«..»هذه السنة أصل في ضبط أمور الدولة بالكتابة فيما يصدر عنها و فيما يوجه إليها. و مثلها ضبط كل المعلومات، فهي أصل في التسجيل على العموم"[3]. وهذا فيه أيضا تعزيز للوظيفة الرسمية العملية للغة العربية في الجزائر و للغات الأجنبية كمقررات دراسية.

---

[1]- ينظر "حاجة المجتمع اليوم إلى المنهج الباديسي":عبد الرزاق قسوم، مجلة الوعي،العدد1،جويلية 2010،ص34.

[2] – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص81-84.

• زيد بن ثابت قال:أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب اليهود، قال:"إني و الله ما آمن يهود على كتاب، قال:فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته. قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، و إذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم"رواه الترميذي و حسنه و رواه غيره. ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج2،م1،ص231.

[3]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي:ج2،م2،ص232.نقلا عن الشهاب ج2،م11،ماي1935 ،ص77-78.

لكن من الملاحظ أن الكفاءات العلمية الجزائرية، لم تكن كلها تساير الجمعية في خطها الإصلاحي "و لئن شكلت كفاءة إبن باديس و مهارته و وجاهة مبادرته حقا عناصر نجاح بالنسبة لمهمته الإصلاحية، فمن الْبَيِّن أنه لم يكن ليقدر وحده على التكفل بالأعباء الثقيلة لدعاية فعالة عبر البلاد كافة. فمن الضروري إذن معرفة الإسهام الذي لا يستهان به الذي قدمه الدعاة الإصلاحيون الآخرون"[1].

إن إيمان ابن باديس أن الجزائر لكل الجزائريين دون إقصاء. جعل جمعيته لا تُقْص أحدا من تشكيلتها في بدايتها، فقبل نشأتها " و في تونس كان أول لقاء يجمع بين ابن باديس وأبناء وادي ميزاب في دار بعثتهم التي كان يترأسها كل من 'أبي اليقضان'، و 'أطفيش إبراهيم'، و'محمد الثميني'، و كان ذلك سنة 1921"[2]. و جاء في تقرير الكابتن 'فيقوروس' الحاكم العسكري بغرداية متوجها به إلى الحاكم العسكري بالأغواط، و ذلك بتاريخ أول أكتوبر1934 ما يلي:"يسعدني أن أعلمكم بأنه انتهى إلى علمي بأن المسمى 'بيوض الحاج إبراهيم بن عمر'، مفتي مسجد القرارة، يقوم بنشاط ملحوظ لتحقيق الوحدة بين إباضية ميزاب وجمعية العلماء المسلمين.."[3]. بل إن 'إبراهيم بيوض' عين نائبا لأمين المال 'مبارك الميلي' في المجلس الإداري المنتخب عند التأسيس الجمعية.

إن هذا الانفتاح من الجمعية كاد أن يورطها في عامها الثاني- لولا حفظ الله لها- عند ثاني استحقاقات رئاسية و إدارية التي أجرتها الهيئة العامة للجمعية. يقول ابن بادس:" كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية رغم تفاؤلنا، ما ستلقاه مثل كل مشروع عظيم من صعوبات و عقبات، ولكننا ما كنا نحسب أن حظنا من ذلك يكون إلا من خارجها و لكن الواقع جاء بخلاف ذلك وكانت مصاعب الجمعية و متاعبها من داخلها.."[4]. فتم تصفية أنصار الإدارة الفرنسية، و أتباع الطرقية.

---

[1] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 100.

[2]– " الشيخ عبد الحميد بن باديس و علاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب":محمد الصالح ناصر،الوعي:العدد1،جويلية 2010،ص23.

[3]– المرجع نفسه ،ص25.

[4]– ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1، م2،ص18.

بـ- الصدق و الإخلاص للقضية الوطنية الإسلامية: قال ابن باديس لإخوانه العلماء الرُّواد:" أكفوني الأمور الإدارية أما الاستعمار فأنا أتكفل به وحدي«..»أجاب العلماء الرواد الشيخ الإمام نحن مستعدون للتضحية في سبيل ديننا ووطننا و الله معنا. فقال لهم الشيخ الإمام: حياكم الله و أيدكم بنصره"[1].

و لعل قلة الوعي بالقضية الوطنية من أسباب تأخر ظهور الجمعية من 1924 إلى 1931م كما يوضح الشيخ ’أحمد حماني‘؛ فهو يُعْزيه إلى عدم تجاوب علماء قسنطينة وعمالتها، إذ كان أغلبهم من موظفي الإدارة الحكومية[2].

ج- اعتماد مبدأ الشورى في التنظيم: إن مبدأ الشورى و حرية الرأي، كفله القانون الداخلي للجمعية، و نظَّم حتى طريقة طلب المداخلة؛ برفع السبابة اليمنى(المادة 14). و بعد موافقة الرئيس له الحق في عشر دقائق، دون مس بالدين أو بالجمعية أو شرف الشخص (المادة12و13)، كما تدوَّن الاقتراحات في ديوان الاقتراحات و تحفظ(المادة19)، و ينظم القانون الداخلي طريقة التصويت، و الحل عند تساوي أصوات الطرفين(المادة22). كما كفل القانون حق الأعضاء الإداريين في رفع التقارير عن الخلل أو التقصير أو النتائج السيئة لعقد اجتماعات استثنائية(المادة32)[3].

د- الصلابة في المواقف و لا سيما في مواجهة التحديات: يقول ابن باديس:" لو اتحد العلماء على حقهم كما اتحد غيرهم على باطلهم لسعدت الأمة و نجت من بلاء كثير"[4]. و لاحظ ’جوزاف ديبارمي‘أن كلمة السر لدى العلماء هي "تعلموا...توحدوا"[5] وقد أورد ’رابح تركي‘ الدستور الأخلاقي لأعضاء البعثات العلمية لجمعية العلماء وهو مكون من عشرة التزامات

---

[1]- "الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس (أصالة فكر سياسي ثوري):عبد العزيز فيلالي،الوعي ،العدد1، جويلية 2010،ص40.

[2]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 97.

[3]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج1،ص77-80.

[4]- المنتقد، العدد14، 1 أكتوبر 1925،ص256.

[5] – ينظر الحركة الوطنية: أبو القاسم سعد الله، ج3،ص84.

مهمة جدا.أهمها:"أن أعتبر نفسي جنديا مخلصا تحت رايتها أكافح لتهيئة نفسي علما و عملا وتربية صالحة لحمل الأمانة المقدسة كما حملوها و أحسن مما حملوها بمعونة الله"[1].

<u>الهدف الثاني</u>: إعادة ترتيب وظائف اللغات في الجزائر:

لقد سبقت معرفة موقف الجمعية من توزيع الوظائف اللغوية في الجزائر، و كيف كانت تريد ترتيبه. و لكن رغم ذلك تجدر الإشارة هنا إلى الوظائف اللغوية التي ركزت عليها انطلاقا من قاعدة تقديم الأهم على المهم.

إن فطنة ابن باديس جعلته يوسع دائرة الصراع اللغوي ضد الفرنسية حتى يشتت جهود فرنسا أمام الجهود الموحدة و المنظمة و المنسقة لجمعية العلماء. فالقانون الأساسي للجمعية يقصر جهودها على الوعظ و الإرشاد كما تَوَهم الاستعمار. لكن ابن باديس ما فتئ يوسع ويجدد أهداف الجمعية، بما فيها أهداف السياسة اللغوية. إذ لم يحصر الأهداف في إطار تعليمية اللغة العربية فقط؛ بل تعداها إلى إدارة الثنائية اللغوية و إلى إعادة فرز الوظائف اللغوية للغات بالجزائر. ففتح بهذا على الاستعمار عدة جبهات لم يكن يتوقع صدورها عن علماء ينظر إليهم بسذاجة.

إن الجمعية كما يبدو لم تكن تعاني على مستواها التنظيمي و لا القاعدي من تحديد اللغة الرسمية القانونية و لا الرمزية و لا العملية لإدارتها و نشاطاتها. لأن مشكل اللغة الرمزية والعملية لم يكن مطروحا، فالجمعية فصلت فيه في قانونها الأساسي.

إن اللغة الرمزية لدولة الاحتلال هي الفرنسية، أما اللغة الرمزية للمجتمع الجزائري فهي العربية. و"عندما يكون استخدام الحكومة للغة واضحا و ملحوظا و يحدث في سياقات رمزية هامة، فإن عدم الاتساق بين القيمة الرمزية للغة و القيمة الرمزية للسياق الذي تستخدم فيه يؤدي إلى إحداث ضغوط من أجل تغيير اللغة"[2] يقول 'كوبر'. كما يرى أيضا أن اللغة الرسمية

---

[1] - ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص219- 220. نقلا عن البصائر ،العدد283، السنة7، "سبتمبر 1954،ص6.

[2] - التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: كوبر،ص190-191.

الرمزية ليست موضوعا للسياسات اللغوية خلافا للدستورية و العملية[1]. إلا أن جمعية ع م ج عملت على الاحتفال بالوظيفة الرمزية في سياستها اللغوية؛ حيث سعت إلى تكريس مبدأ الاختلاف بين اللغة الرسمية الرمزية لدولة الفرنسية في الجزائر، و التي تعكس تقاليدها و قيمها و هويتها التي تسعى لتوطينها في الجزائر من خلال اللغة الفرنسية، و بين اللغة الرسمية الرمزية للمجتمع الجزائري و التي تعكس أيضا تقاليد هذا المجتمع و قيمه و هويته من خلال لغته العربية. و هذا من التناقض البيِّن الذي تعكسه سياسة فرنسا اللغوية، أمام التناسق البيِّن في السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. لذا استغلت الجمعية حتى الوظيفة الرسمية العملية لإعادة تعريب المحيط الاجتماعي كما سبق بيانه.

لقد خطط ابن باديس ليعيد للعربية وظيفتها القومية، حتى عند الأمازيغ، فقال:".. من تكلم بلسان العرب فهو عربي و إن لم يتحدر من سلالة العرب«..» و قال النبيﷺ:«..ليست العربية بأحدكم من أب و لا أم و إنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي» «..»تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد و تكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكوِّن الأمة ويربط أجزاءها يوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، و إنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد"[2].

أما الوظيفة الإقليمية للغة العربية ووظيفة الاستعمال على نطاق واسع؛ فالقانون الداخلي للجمعية يتحدث عن ذلك صراحة في المادة67 تحت رقم8:" ومن أهم وسائل الجمعية لنيل غاياتها تسمية مَن فيه الكفاءة من أعضائها وُعّاظًا مرشدين لترسلهم على نفقتها إلى نواحي القطر، و تنظم لذلك رحلات تراعي فيها عدّة اعتبارات:أن **تلقى المحاضرات بلغة عامية أو قريبة من العامية**"[3].

أما الوظيفة الرسمية الدستورية لم تكن من أولويات المرحلة كما مر سابقا. لذا ركزت الجمعية على وظيفة اللغة التعليمية و الدينية و الأدبية كما سيأتي في أهداف تعليمية العربية.

---

1 – ينظر المرجع السابق ،ص 191.

2– ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج2،م2،ص19-20.الحديث رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد بسنده عن مالك الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

3– آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص85.

الهدف الثالث: تفعيل دور اللغة في إحياء الدين و الوطنية و القومية:

يقول ابن باديس:" إذا كنا نصرف أكثر جهدنا للتعليم العربي فذلك لأن اللغة العربية هي لغة الدين الذي هو أساس حياتنا و منبع سعادتنا، لأنها هي التي نحسن تعليمها، و لأنها «..»هي اللغة المهملة بين أبنائها، المحرومة من ميزانية بلدها، المطاردة في عقر دارها، المغلقة مدارسها، المحارب القائمون على نشرها من أبنائها"[1]. و يشرح 'علي مراد' علاقة السياسة اللغوية للجمعية بمعتقد السلفي للجمعية فيقول:"..استبطان الإصلاح و استيعابه الواعي من قبل كل مسلم لا يمكن بلوغهما دون استعداد الفرد نفسه للإحاطة بالمعطى الديني، كما يعبر عنه باللغة العربية النص المقدس و سنة رسول الله. هذه **العودة إلى المصادر الغالية على دعاة السلفية تتطلب إذن تكوينا لغويا مناسبا.** فدون الفهم الشخصي للنصوص التي تؤسس الدين والحياة الأخلاقية، سيجد المؤمن نفسه دائما تابعا إن قليلا أو كثيرا للوسطاء الروحيين (المفسرون، المرابطون،إلخ) و دون شك مجبرا على تحمل رهبانية منافية لروح الإسلام. وهكذا يجب على النشاط البيداغوجي لصالح اللغة العربية، في المنظور الإصلاحي، أن يفضي إلى انتصار السُّنة النهائي"[2]. أي أن **" دعاة الإصلاح الديني يربطون ربطا محكما بين مطلب الإصلاح على النهج السلفي و إتقان اللغة العربية"**[3].

لهذا السبب ركزت الجمعية في سياسيتها اللغوية على تعليمية اللغة العربية باعتبارها حاملة و حامية للدين و الثقافة و الوطنية. يقول 'عبد القادر فضيل':" و كانت اللغة العربية هي المادة الأساسية التي ركزت عليها مدارس الجمعية باعتبارها المدخل الذي لا بد منه لتربية الأجيال وتعريفها بتاريخها ودينها و ترثها و بناء وجدانها، لذلك لم يكن الهدف من تعليم اللغة العربية هو تمكين الأجيال الصاعدة من معرفة لغتها و امتلاك القدرة على استخدام هذه اللغة فقط ولكن كانت إلى جانب ذلك أهداف تربوية أخرى لم ينص عليها برنامج الجمعية حرفيا"[4]. فما هي الأهداف التي لم ينص عليها برنامج الجمعية ؟

---

[1] – ابن باديس حياته و آثاره: عمار طالبي،ج1،م2. نقلا عن البصائر، السنة3، العدد 136، أكتوبر 1938.

[2] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 409.

[3] – " وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز،ص 68.

[4] – إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس: عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 97.

يجيب 'محمد الميلي' فيقول:" بما إن إقامة المدارس العربية الحرة تعتمد على تمويل الشعب فقط. و تتطلب إشرافا و تسييرا يتولاه الجزائريون، فإن ذلك يشكل تجربة ثرية. و بذلك يكون رجال الإصلاح الديني بدفعهم للجزائريين في اتجاه إنجازات تخدم المجموعة الجزائرية، و تكتسي طابعا وطنيا سواء في أساسها أو في توجهاتها، قد ساعدوا على إحداث تغيير فكري في أوساط الشعب: فقد **حاولوا تغيير الجزائريين من مجرد رعايا غير مسؤولين، إلى رجال يتخذون القرار** و يملكون حس المبادرة، أي أنهم **عملوا على إيقاظ الخصال الاجتماعية في الجزائريين، الخصال التي تصنع الرجال الأحرار**. ومن هذه الزاوية **يمكن اعتبار التعليم العربي مدرسة لتكوين الحسّ المدني و أداة ثقافة** في الوقت نفسه"[1].

إنّه البعد الوطني السياسي الخفي إذًا في السياسة اللغوية للجمعية. وهو ما يصرح به ابن باديس خارج الوطن في تونس فيقول:"لا ينهض العلم و الدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد"[2]. و قد سبق و أن أكد أن نهوض الدين و العلم متوقف على اللغة العربية.

يقول 'الرافعي' عن خطر إهمال تعليم اللغة على الدين و التاريخ وضرورة عدم الفصل بينها في العملية التربوية:" و الذين يتعلقون اللغات الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق، إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمةً من قبل الدين أو القومية"[3].

فالقومية من أهداف السياسة اللغوية للجمعية، لأن" العروبة بالسلالة للحصان، والعروبة بالرسالة و اللسان للإنسان" كما يقول 'أحمد بن نعمان'[4]. **فلا محالة أن "اللغة هي الهوية واللغة هي الجنسية**، كما تعتبر اللغة أيضا من أهم مظاهر السيادة في كل دولة عصرية"[5].

إن تأكيد الجمعية في سياستها اللغوية على هدف حفظ الهوية عن طريق اللغة؛ هو هدف مشروع و ضرورة حضارية، "فاللغة هي الذات و هي الهوية «..»و ثقافة كل أمة كامنة في لغتها «..»وما من حضارة إنسانية إلا و صاحَبتها نهضة لغوية، و ما من صراع بشري إلا

---

[1] -" وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 69.

[2] - ابن باديس حياته و آثاره :تصنيف عمار طالبي، ج2،م2،ص331.

[3] - من وحي القلم:مصطفى صادق الرافعي، ج3، ص22.

[4] - "ابن باديس و المغالطة العرقية في القومية":أحمد بن نعمان،مجلة الوعي،العدد1،جويلية2010،ص58.

[5] -" وضع اللغة العربية في عهد الاحتلال":أحمد بن نعمان،اللغة العربية،ص226،نقلا عن ساطع الحصري:ماهي القومية،ص73.

ويُبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية"[1].

الهدف الرابع: ترقية تعليمية اللغة العربية عن طريق مشروع سياسة لغوية تعليمية متكامل:

يلخص 'عبد القادر فضيل' أهم ملامح مشروع الجمعية التربوي- بمنطقاته و أهدافه واستراتيجياته- فيما يلي[2]:

1) المبادئ و الاتجاهات:- التعليم حق إنساني.

- التربية قبل التعليم.
- العصرنة.
- الاهتمام بالجانب التطبيقي.

2) الأغراض:- العناية ببناء الوجدان.

- تحقيق الكمال الإنساني.
- تثقيف العقول وتحريرها من الجمود.

3) النتائج (الغايات و المرامي):- تكوين جيل مشع بالفكر الإصلاحي.

- المحافظة على الشخصية الجزائري.
- تحقيق النهضة الفكرية في الجزائر.

4) المضامين التعليمية (المحتوى/المعارف العلمية) و الطرائق التعليمية (الأساليب التربوية). و هما موضوع بحث مفصل لاحق في استراتيجيات الجمعية.

---

[1] - الثقافة العربية و عصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي:نبيل علي،د ط ،سلسلة عالم المعرفة،، عدد 276 إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت، 2001،ص232.

[2]- ينظر "الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب":عبد القادر فضيل، مجلة الوعي، العدد1، جويلية 2010، ص65-69.

قد حصر 'عمار طالبي' أغراض التربية الباديسية في" المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية بكل مقوماتها"[1]. أما 'عبد القادر فضيل' فيزيد هذا الإجمال تفصيلا، تتضح معه أكثر **السياسة اللغوية التعليمية للجمعية في أهدافها العامة.** وهي[2]:

أ- **<u>تكوين جيل مشع بالفكر الإصلاحي:</u>** جاء في القانون الداخلي للجمعية:

"المادة65: أول مقاصد الجمعية طائفة العلماء و الطلبة باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلّق بالأخلاق الإسلامية، و تذكيرهم بما غفلوا عنه و أهملوه من الأخوة الدينية و الأخوة العلمية وما تقتضيانه من واجبات و حقوق، و حملهم على الاتحاد و التعاضد و نبذ الشقاق والتقطع حتى يكونوا مظهرًا للفضائل الإسلامية، عاملين بالحق هُداة به دُعاة إليه، فهم من الأمة بمنزلة القلب من الجسد:تصلح إذا صلحوا و تفسد إذا فسدوا «..»[أما عن تكوين جيل يمتاز بالقدرة على القيادة. فجاء في] المادة 76: سينفتح أما الجمعية- في زمن قريب أو بعيد- أبواب من العمل لم تكن لها في حساب، فمن الحكمة و الحزم أن تحتاط للأمر قبل وقوعه، و ما ذلك إلا بإعداد طائفة من الناشئة و تلقينهم أساليب الإدارة نظرا و عملا لتجدهم في يوم من الأيام عونا لها في إدارة المؤسسات من مكاتب و ملاجئ و محميات، ومن المسلّم أن هذا النوع من النظم الاجتماعية وهو الإدارة ينقصنا جدا، و إذا سهل على الجمعية أن تجد معلّمين نظاميّين لمكاتبها القرآنية فإنه لا يسهل عليها أن تجد مديرا لمكتب جامع للشروط. و تحقيقا لهذه الغاية فالجمعية تستدعي الشبان النابهين الذين يرون في أنفسهم حافزا للقيام بالأعمال الاجتماعية أن يحضروا في جميع جلساتها و يشاهدوا أساليب العمل. و تعدّ ذلك خطوة أولى تخطوها لتحقيق هذا الغرض"[3].

إن ابن باديس " كان يستبصر المآل الذي سيكون عليه الوضع السياسي للشعب بعد التحرر؛ و لذلك فقد وضع له خطة سياسية لما ينبغي أن يكون عليه هذا الوضع، و تتمثل تلك

---

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م1، ص107.

[2]- ينظر "الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب":عبد القادر فضيل،مجلة الوعي1،ص67.

[3]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص84-88.

الخطة في المبادئ السياسية الكبرى التي تضبط شؤون الحكم، و كأنه كان ينظر من وراء الغيب لما سيحدث عند ذلك الموعد من مشاكل في خصوص هذا الشأن"[1]، و خاصة المشكل اللغوي.

ب- **المحافظة على الشخصية الجزائرية:** إن "سيادة اللغة دليل سيادة الإنسان"[2]، لذا " العلماء أعلنوا جزأرة الشعب بخلق أو بعث تاريخ الجزائر الوطني و أدبها، و تعليمها واتجاهها"[3]. حتى الطبقة البرجوازية كان لها نصيبها من مشروع ابن باديس؛ فقد " قرر في نفسه اختيار الطريق الشاق في سبيل إعادة تشكيل البرجوازية الوطنية التي ينتمي إليها و التي نسيت واجباتها الاجتماعية و الدينية و السياسية"[4]. و حتى اللغوية التي هي مدخل كل هذه المآسي.

ج- **تحقيق النهضة الفكرية في الجزائر:** و قد أكدت المادة67 تحت رقم8؛ على أنها تَعتبِر رحلات و خرجات الاتصال بالشعب من أهم وسائل الجمعية لنيل غاياتها. و تقول المادة71:" تضع الجمعية خريطة للقطر الجزائري تبين فيها مناطق العمل، و تُتبعها بفهارس تبين فيها خصائص كل منطقة وما يغلب عليها من أخلاق صالحة أو فاسدة، و درجة استعدادهم للخير و الشر و أسباب ذلك، وما يكثر في كل منطقة من البدع و التقاليد الموروثة، و أثر تلك التقاليد في مجتمعهم الخاص. فإذا أنجزت الجمعية هذا العمل تكون قد مهّدت الطرق لنفسها وأنارت السبيل، و ربحت من الوقت في المستقبل أضعاف ما تضيعه في وضع هذه الخريطة وملحقاتها، و أمنت على أعمالها أن تسير على غير منهاج و على أوقاتها أن تضيع عبثا و على أموالها أن تنفق في غير مفيد"[5].

إن النهضة التي تنشدها الجمعية لا تتحقق إلا من خلال " تكوين رجال يكونون بناة نهضة، و دعاة إسلام، و جهاد و نضال، و وقوف بالمرصاد للاستعمار الذي أقام سياسته على

1-"ملامح من الاستراتيجية السياسية للإمام عبد الحميد ابن باديس":عبد المجيد النجار،مجلة الوعي1،ص85.

2- "قراءة في معالم فكر الإمام عبد الحميد بن باديس":مصطفى باجو،مجلة الوعي،العدد1،جويلية 2010،ص49.

3 - الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ،ج2،ص 406.

4- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 147.نقلا عن ابن باديس مفسر القرآن:علي مراد، ص30.

Ibn Badis,cimmentateur du Coran :Mérad Ali،Imp،Bentems،SNED،Alger،1971 .

5- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص86.

أساسا محاربة مقوماتنا الروحية، و الثقافية، حتى يسهل عليه أن يبتلعنا و يقضي على شخصيتنا قضاء مبرما"[1].

إن أمنية ابن باديس كانت أن يحاكي الشعب الجزائري في تقدمه شعوب العالم الراقية. فقد كان هم الجمعية ترقية المجتمع الجزائري في"جميع نواحي الحياة إلى أقصى ما تترقى إليه الأمم، ليكونوا محترمين من أنفسهم و من غيرهم يفيدون و يستفيدون و يعرفون كيف يوسوسون و كيف يساسون فتربح بهم الإنسانية عضوا من خير من عرفت من أعضائها"[2].

هذه هي الأهداف العامة للسياسة اللغوية التعليمة. أما **الأهداف الخاصة لتعليم اللغة العربية في السياسة اللغوية للجمعية؛** فهي أهداف لم ينص عليها برنامج الجمعية صراحة، ولكن يستوحيها ،عبد القادر فضيل، من توجيهات الإمام ابن باديس في مختلف المناسبات والمقالات. و هي[3] :

أ- تمكين المتعلمين من الاطلاع على تاريخهم و تراثهم و فهم دينهم و قرآنهم. فوظيفة ربط الأجيال بالتراث العربي الإسلامي يسميه بعض العلماء بوظيفة(نقل التراث) أو (إحياء التراث)[4].

ب- غرس حب اللغة العربية في نفوس المتعلمين، و جعلهم يحسون بأنها جزء من كيانهم، و رمز معبر عن شخصيتهم.

ج- اعتماد النصوص اللغوية(النثرية و الشعرية) مصدرا حيا لتربية أفكارهم وتهذيب أذواقهم، و بناء وجدانهم، و بث الروح الوطنية في نفوسهم..

د- ترقية أساليب تعليم اللغة و تطوير مضامينها بتخليصها من المناهج المحتجزة والطرائق العقيمة التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت.

---

[1]-التعليم القومي:تركي رابح،ص265.نقلا عن"ابن باديس المربي الكبير":باعزيز بن عمر،مجلة لمحات،العدد3،الجزائر،1969،ص18.

[2]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص547.نقلا عن الشهاب،ج8،م12،نوفمبر1936،ص325-358.

[3]- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس: عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص98- 99.

[4]- ينظر عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية:مصطفى محمد حميداتو،ط1،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية،قطر،1997، ص 185.

إن بعضا من هذه الأهداف يحتاج إلى وقفة للتأمل اللساني الاجتماعي. يمكن إيجازها في مايلي:

- **إن إدراك المتعلمين حقيقة اللغة العربية، يعني إزالة عقدة النقص تجاه اللغة العربية وحملتها**، و تخليص متعلميها من الشعور بالمنبوذية، لما تُوفرُه لهم نماذج العلماء من قدوة، ولما يوفره لهم الامتداد المشرقي للعربية من اعتزاز قومي، يضعف الشعور بالقابلية للاستعمار، ويعزز إرادة التمايز عن الآخر الذي ما فتئ يمارس قهره اللغوي و الثقافي.

- **تعلق الطفل بالعربية يزيل عنه تلك الصورة النمطية**، التي تُشهِّر به متشردا كسولا، فاتر الهمَّة، طفوليَّ التفكير، طفيْليَّ المطامع..فقد كان مجرد إتقان الطفل القراءة و الكتابة يعني حضوة أسرية بالدرجة الأولى، و منزلة اجتماعية بالدرجة الثانية، فتقام له حفلة ختم حفظ ولو بعض الأحزاب من القرآن، و يُوزع فيها الطعام. و كم كان ينتشي الصبي الجزائري و هو يقرأ لهَرِمٍ بريقة أو يكتب لعجوز رسالة أو يناقش حكمة الكبار بعلم و حماس الصغار، لعلهم ينادونه يوما بلفظ الإجلال « سِيدِي» كما ينادون المثقفين. خاصة إذا حضي برعاية شيخ ذي تجربة وثقافة.

- إتقان المتعلم للعربية و فنونها يفتح أمامه فرصة مزاولة الدراسة في 'الزيتونة' بتونس أو 'الأزهر الشريف' بمصر. و هي فرص يَغْبِط فيها الشباب بعضهم بعضا. بل منهم من يستقر بالمشرق يخدم الدين و العلم.

- **ابن باديس كان يعيب على التعليم العربي تقليديته، و يطمح إلى تجديده و عصرنته.** ولعل فرصة إنشاء الجمعية ستزيد من نشر أفكاره التربوية التحديثية التي يريد أن يكتب لها الذيوع، فترتقي بالمردود الأكاديمي العربي. لأن ابن باديس لم يجدد في طرائق التدريس الدينية فقط؛ بل حتى في تعليمية اللغة العربية، كما أكد المهتمون بالجهود التربوية لابن باديس.

- **لقد أحيت الجمعية في سياستها اللغوية الوظيفة التثقيفية للغة العربية**، حيث جعلت منها وعاء للعلم و المعرفة الدينية و التاريخية و الثقافية بصفة عامة. و هذا لا ينافي وظيفة اللغات حاملة للثقافة؛ لأن اللغة ترجمان لثقافتها.

- لقد أكدت أهداف تعليم العربية على ضرورة تعميق رمزية اللغة العربية عند التلميذ مهما كان انتماؤه العرقي. ما دام عربيا باللسان.

3- الاستراتيجيات•:

إن استراتيجيات الجمعية قد حددتها قوانينها. و لكن كثير من تفاصيلها لا نجدها إلا عندما نتقصى مرحلة تنفيذ مشروع السياسة اللغوية للجمعية. وهي مرحلة خارج الإطار النظري والزمني لهذا البحث. لكن ذلك ضروري لمعرفة كل ما استغلته الجمعية مما كان متاح بين يديها من إمكانيات. لذا قد يجد القارئ معطيات و معلومات أخذت من مرحلة ما بعد السياسة اللغوية وهي مرحلة التنفيذ.

إن الجمعية لم تهمل الاستراتيجيات، كما لم يهمل ابن باديس ذلك حين حدد استراتيجيات جمعية التربية و التعليم - التي سوف تستلم جمعية العلماء المسلمين مدارسها و فروعها التعليمية- فقال في المادة3:" تسعى الجمعية لمقصدها هذا، أولا- بتأسيس مكتب للتعليم، ثانيا- بتأسيس ملجأ للأيتام، ثالثا- بتأسيس ناد للمحاضرات، رابعا- بتأسيس معمل للصنائع، خامسا- بإرسال التلاميذ على نفقتها إلى الكليات و المعامل الكبرى"[1].

لذا أملى الشيخ ابن باديس على العلماء خطة عمل طويلة المدى من عدة نقاط جاء فيها[2]:

1- الشروع في إنشاء المدارس الحرة.

2- الالتزام بإلقاء الدروس و الوعظ في المساجد الحرة في أنحاء الوطن.

3- الكتابة في الصحف و المجلات لتوعية طبقات المجتمع.

4- إنشاء النوادي العربية.

5- إنشاء الفرق الكشفية للشباب في كافة البلاد.

• مر سابقا أنها وضع الخطط العامة المدروسة بعناية و المصممة بشكل متلاحق و متفاعل و منسق لاستخدام الموارد المتاحة المختلف الأشكال من الثروة و القوة لتحقيق الأهداف الكبرى. ينظر عن موسوعة السياسة:عبد الوهاب الكيالي،ج1،ص169.

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2، ص185. نقلا عن الشهاب،ج2،م7،مارس 1931،ص115-117.

[2]- "الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس (أصالة فكر سياسي ثوري):عبد العزيز فيلالي،الوعي1،ص38. نقلا عن الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس:ابن خليفة مالك،ص85-86.

6- العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية و الحكم الأجنبي.

كما حدد الإبراهيمي أيضا طرق نشاط الجمعية فجمعها في أصول عامة أهمها[1]:

1- تنظيم حملات جارفة على البدع و الخرافات و الضلال في الدين، بواسطة الخطب والمحاضرات و دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد و الأندية و الأماكن العامة و الخاصة، حتى الأسواق و المقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية.

2-الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار في ما تصل إليه أيدينا من الأماكن، و في بيوت الآباء، ربحا للوقت قبل بناء المدارس.

3- تجنيد المئات من تلاميذنا المتخرجين، و دعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

4- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

5- مطالبة الحكومة برفع يدها عن مساجدنا و معاهدنا التي استولت عليها، لنستخدمها في تعليم الأمة دينها، و تعليم أبنائها لغتهم.

6- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزّعتها على معمّريها، لتصرف في مصارفها التي وقفت عليها(و كانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة).

من كل هذه الاستراتيجيات، يمكن أن نستخلص التي ستسخرها الجمعية لصالح سياستها اللغوية. و لكن مع ملاحظة أن كل الموارد المتاحة للجمعية تخدم مختلف الأهداف و لا تختص بهدف بعينه. فلا يمكن أن نوزع الموارد المتاحة على الأهداف بشكل يرسم حدودا جامدة بينها.

يمكن أن نجمل الاستراتيجيات في ما يلي:

---

[1]-آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج5-ص282.

I. إنشاء إطار تنظيمي يوحد الجهود اللغوية للعلماء: و ذلك وفق ما تقتضيه تقاليد إنشاء الجمعيات من:

- قانون أساسي مصادق عليه من طرق الإدارة الوصية يجعل من التَّنظيم شخصا معنويا مظهره المجلس الإداري .
- يحدد القانون الأساس مبادئ و منطلقات التنظيم وغاياته وسائله و مناطق نشاطه- يختار التنظيم اسما في الغالب يعبر عن إيديولوجيته
- يوضع له قانون داخلي ينظم و يعين: ناطق الرسمي للتنظيم. مجلس الإدارة و المالية. دواويين التنظيم. قوانين العضوية و العلاقات بين المنتسبين...

إن سعي ابن باديس لتأسيس جمعية بهذا المفهوم هو عمل ريادي في نظر 'علي مِراد'، و 'مالك بن بني' وغيرهما، بل تفوق فيه حتى على 'الأفغاني' و 'محمد عبده'؛ لأنهما لم يتفقا على إقامة جمعية منظمة تنهض للدعوة، و اكْتفيَا بتأسيس جمعية 'العروة الوثقى' السياسية السرية، بينما نجحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تكوين متخصصين بارعين[1]. هذا الناجح من الوجهة اللسانية الاجتماعية هو كسب سياسي أيضا. يقول 'كلود حجاج' 'Claude Hagège': " رجل الدولة إذا نجح في التحكم على مسار اللغة في إحدى مراحلها الحاسمة، أضاف إلى سلطته سلطة أخرى، سلطة مجهولة فاعلة"[2].

II. توفير الغلاف المالي (تمويل السياسة اللغوية عامة): لقد حددت الجمعية مصادر تمويل مشروعها الطَموح، و كيفية تسيير ميزانيته و الجهات التي تصرف فيها. فجاء في قسم الرابع من القانون الأساسي بعنوان: مالية الجمعية. و هو مقسم إلى ستة فصول أهمها[3]:

الفصل الرابع عشر: مالية الجمعية تتركب على مجموعة اشتراكات الأعضاء العاملين والمؤيدين و الشرفيين .

الفصل الخامس عشر: للجمعية الحق في طلب و قبول إعانات مالية من السلطات الحقوقية.

---

[1]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 130.

[2] - La Guerre des Langues:Calvet,p281.

[3] الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ، ج2،ص 433.و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 265-269.نقلا عن القانون الأساسي للجمعية. المطبعة الجزائرية الإسلامية،قسنطينة،1937م. قد جرى تعديله القانون في أكتوبر 1951م.

الفصل السادس عشر: الاشتراكات و الإعانات المالية تدفع إلى أمين مال الجمعية مقابل وصل بإمضائه.

الفصل السابع عشر: مالية الجمعية توضع باسمها في مصرف محلي و لا يجوز لأمين المال أن يبقي تحت تصرفه أكثر من خمسمائة فرنك.

الفصل الثامن عشر: لا يجوز إخراج شيء من المال للإنفاق إلا بإذن كتابي من الرئيس والكاتب العام و أمين المال طبقا لقرار المجلس الإداري.

الفصل التاسع عشر: يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها و يوجبه الوصول إلى غايتها المبينة بالفصل الرابع من هذا القانون الأساسي.

موارد و مصارف ميزانية الجمعية. جاءت فيها أمثلة كثيرة أبرزها ما جاء في شهر فبراير 1931 على صفحات الشهاب من دعوة ابن باديس إلى إنشاء جمعية العلماء، وعرض جائزة ألف فرنك لمن يوفق في إنشائها، كما تبرع أيضا بألف فرنك أخرى لصندوقها إذا أُنشئت، و قد مر ذكر ذلك سابقا.

لكن الملفت للانتباه هو اندفاع الناس لإغراق الجمعية بتبرعاتهم لما اقتنعوا بأهدافها ولمسوا فعالية نشاطاتها، و لا نستثني من ذلك أحدا. فبعد أن كانت الجمعية تسعى لجمع الاشتراكات و التبرعات و الزكاة..أصبح الجزائري هو من يسعى إليها.

تروى نكتة طريفة حدثت لـ'أحمد رضا حوحو' ذات يوم لما دخلت عليه مشرفة على واحدة من دور الدعارة بمدينة قسنطينة، باعتباره أمين عام معهد ابن باديس و قدمت له مبلغا معتبرا مساهمة في جمع التبرعات لبناء دار الطلبة التابعة للمعهد. وكان 'حوحو' وشيك العودة من دار الغربة في المدينة. إذ لم يكن يعرف تلك السيدة المعروفة عند سكان الحي. فقال لها 'حوحو' بعد أن استلم المبلغ و قدم لها الوصل: كثر الله أمثالك. فضحك الحاضرون. و لما تعجب، أخبروه[1]. إنه الحس الوطني عندما أيقضته نهضة الجمعية، و الذي دفع الناس إلى وقف الأراضي والمحلات لخدمة مشروع الجمعية، و كانوا يتكفلون ببناء المدارس و أحيانا على النفقة الخاصة لأثرياء البلد.

[1]– ينظر " وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 79.

بقي التأكيد على شيء في غاية الأهمية ورد في كلام الإبراهيمي السابق حول ما يدعم الغلاف المالي للجمعية هو نيتها مطالبة الحكومة باسترجاع الأوقاف.

إن قانون الجمعية يُلزمها بالتكفل بهذا الزخم المادي الذي يريد تمويل المشاريع التعليمية للجمعية، حتى تضمن لنفسها تمويلا ذاتيا يؤمنه الأهالي و لا يستجدي الإدارة الفرنسية.

لقد تركزت الموارد المالية للجمعية في المصادر الرئيسية التالية[1]:

1- التجار:منهم من يكفل للطلبة المأوى و الغذاء، و هم أصحاب الأملاك و أصحاب المطاعم و المخابز، و قد غطت مساهماتهم حوالي 17 % من إجمالي دخل صندوق الطلبة .

2- الفلاحون:الذين يساهمون بكميات من محاصيل غاباتهم و حقولهم مثل التمور وغيرها، و قد مثَّل مساهماتهم حوالي 11 % من دخل صندوق الطلبة.

3-عامة الأهالي:يساهم الميسورون منهم حسب ما تسمح به ظروفهم المادية..و يمثل ما يقدمه الأهالي لتمويل التعليم حوالي 61 % من إجمالي المساهمات.

4-مشروع سبل الخيرات:الذي أسس سنة 1590 م، و هو من قبيل المشاريع الخيرية العامة، كإصلاح الطرقات، و تشييد المساجد و المعاهد، و شراء الكتب لإيقافها على الطلبة.

و قد أشار التقرير الأدبي و المالي للدروس العلمية لجامع الأخضر بقسنطينة إلى المتبرعين من الأطباء لصالح الطلبة. وجاء اسم: الدكتور 'ابن جلول'، و الدكتور 'ابن الموفق'، والطبيب 'زرقين' طبيب أسنان[2]. كما "يمول صندوق الجمعيات المحلية من الاشتراكات المنظمة لأعضاء الجمعية و أنصار الإصلاح، و من مستحقات التعليم الزهيدة التي تجنى من

---

[1]-عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية:مصطفى محمد حميداتو،ص157-158. و ينظر ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2، ص206-211.

[2]- ينظر ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، ج1،م2، ص206.

التلاميذ القادرين، و من التبرعات العينية و النقدية التي يقدمها المحسنون، و كذلك من مداخيل الحفلات الموسمية أو السنوية التي تقيمها المدارس"[1].

ومن استراتيجيات السياسة التربوية عامة و اللغوية خاصة؛ التكفل بنفقات تنقل نشطاء الجمعية تقول المادة(67 تحت رقم 8) من قانون الداخلي:".. ومن أهم وسائل الجمعية لنيل غاياتها تسمية مَن فيه الكفاءة من أعضائها وُعّاظًا مرشدين لترسلهم **على نفقتها** إلى نواحي القطر.."[2]. كما كان ضمن استراتيجية الجمعية دعم مجانية التعليم لمن لا يستطيع دفع الرسوم المدرسية و هذه إستراتيجية تحسب للجمعية و تجلب لها المحامد. و مثلها أيضا التكفل بالإيواء والإطعام للمقيمين..وإعفاء البنات من الرسوم المدرسية كما سيأتي لاحقا. بل كان في إستراتيجية الجمعية الاستفادة من تسهيلات أصدقاء الجزائر العرب، كتسهيل مواصلة التعليم للذين كانوا يرغبون في متابعة تعليمهم في تونس و المغرب أو في المشرق العربي حتى للبنات، فابن باديس راسل أحد المعاهد الخاصة في دمشق بالمشرق العربي و كانت مديرة له السيدة 'عادلة بيهم الجزائري' حرم النجل الأكبر للأمير 'عبد القادر الجزائري'،الأمير 'محمد'، طالبا منها قبول بعثة من بنات مدرسة التربية و التعليم لاستكمال تعليمهن الثانوي لكن الأجل حال دون ذلك. و كان ابن باديس قد قال مرة:"و للجمعية نيات أخرى تنوي أن تقوم بها في المستقبل إن شاء الله. تنوي أن تبعث البعثات العلمية إلى الخارج.."[3].

جانب آخر مهم في المشروع التربوي للجمعية وهو صيانة المؤسسات التربوية وميزانيته و هذا قد لا يشكل كبير عبء لأن المواطنين تكفلوا به تقول 'زهور ونيسي' عن والدها:" ثم لا ينسى والدي أيام العطل ليتردد على المدرسة متطوعا يرقع ما تلف من فصولها وجدرانها و هو البناء الماهر"[4].

---

[1]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 199.

[2]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص85.

[3] - ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص267.نقلا عن البصائر،السنة4،عدد22، 171جوان1939،ص5.

[4] -" فخر المدارس الحرة: التربية و التعليم بقسنطينة": زهور ونيسي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 104.

III. استراتيجيات إعادة ترتيب الوظائف اللغوية. و أهمها:

- إعادة تعريب المحيط الاجتماعي(أسماء الشوارع- الأحياء الشعبية- المدارس- الساحات العامة- المدن- الجسور- الأودية- التلال- الهضاب- أسماء الأشخاص..) و الإداري بدء بإدارة الجمعية و جميع المؤسسات التابعة لها(دواوين- وصل الاستلام و التسليم- الرسائل- العقود- اللوائح..) و التعليمي(الكتب- النشاطات المدرسية..) و الترفيهي(العمل الكشفي- الأناشيد الوطنية- الشعر الملحون..) و الملاجئ...

و مما يرويه الإبراهيمي قصة طريفة وقعت له عند تلاوة لائحة القانون الداخلي الذي كُلف بوضعه فقال:" فجاءت[اللائحة] في مائة و سبع وأربعين مادة، و تلوتها على المجلس لمناقشتها في ثماني جلسات من أربعة أيام، و كان يحضر الجلسات طائفة كبيرة من المحامين والصحافيين العرب المثقفين بالفرنسية، فأعلنوا في نهاية عرض اللائحة إيمانهم بأن العربية أوسع اللغات، و أنها أصلح لغة لصوغ القوانين و مرافعات المحامين، و كأنما دخلوا في الإسلام من ذلك اليوم"[1].

- جعل قدسية اللغة العربية و ترقيتها محور نشاطات الجمعية (محاضرات- أمسيات شعرية- رحلات- جلسات الصلح- الفتوى- مسابقات- زيارة الملاجئ ..).

- الرفع من شأن حملة و حُماة اللغة العربية غير البارزين بالسماح للفرد منهم بكثرة الظهور في النشاطات[2]؛ فله أن يُحاضر، يلقي مداخلات، يقرض الشعر، يرافق العلماء في تنقلاتهم، يشرف على عمل خيري، يؤطر عمل تربوي، يحظر الاجتماعات..

- تشجيع ذوي الأصول الأمازيغية على إجلال اللغة العربية.

[1] - آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج5،ص281.

[2]- ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص260.

IV. استراتيجيات ترشيد ظاهرة الثنائية اللغوية. أهمها:

- تدعيم الأمر بالمعروف و النهي عن منكرِ الصراع اللغوي الجزَائري الجزائريِّ بكل الطرق(المحاضرات - الشعر الملحون- تنظيم زيارات دورية للمناطق ذات الحساسيات اللغوية - المجلات و الصحف حتى العامية...).
- استعمال الأمازيغية و العاميات بمنطق الثراء الوطني لا التمايز الثقافي.
- التركيز على تفسير كتاب الله و سنة نبيهﷺ بما يُرَشِّد ظاهرة الثنائية.

V. استراتيجية العمل الصحفي:

جاء في القانون الداخلي:" المادة 79:من الحاجيات للجمعية أن تكون لها مجلة تنشر محاضراتها و مقالاتها العلمية و حيث أنها في طور التأسيس فهي تعدّ مجلة ‹الشهاب› مجلتها، و عليه فهي تعهد إلى طائفة من كتابها أن يكتب كل واحد في الفرع الذي يتقنه من فروع العلم النافعة على طريقة البحث العلمي «..»المادة84:بعد التأسيسات الأولية يجب أن يكون للجمعية جريدة تنطق باسمها و تعبّر عن قراراتها و مناشيرها"[1]. كما قررت الاستعانة بالصحافة العامية فقد "أصدرت صحفا تستعمل اللهجة العامية كما كان لها شعراء الملحنون الذين يبشرون بدعوتها عن طريق الشعر الشعبي باللهجات المحلية"[2].

VI. استراتيجيات العملية التعليمية:

إن استراتيجيات العملية التعليمية قد حددها القانون الداخلي للجمعية في المادة77: "تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرج في أهم مراكز القطر، و يحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي و النحو و الصرف و حفظ القرآن مع تفهيم مفرداته وضروريات الدين و الأخلاق الإسلامية، و تختار من كتب التعليم أقربها للإفادة و تأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدقة"[3].

---

[1]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص88-90.

[2]-" وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 70.

[3]- آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص88.

فالجمعية بهذا قدمت مشروعا متكاملا لمنظومة تربوية تعليمية. وهذه آليات عملها الميدانية:

أ. ***تحديد أنواع التعليم*** في أربعة أنواع[1]:

-التعليم المسجدي (و كانت تستغله الجمعية في الدروس العامة و الخاصة و تعليم القرآن)
- التعليم المكتبي (الابتدائي)
- تعليم الطلبة (يتولاه ابن باديس شخصيا و منه تخرج نخبة من المشايخ)
- تعليم الكبار(محو الأمية).

ب. *إنشاء المؤسسات التربوية:* وعلى رأسها المدارس و الشُعب و النوادي و غيرها وجاء سابقا في الفصل السادس من قانون الجمعية:" للجمعية أن تؤسس شعبا في القطر و أن تفتح نوادي و مكاتب حرة للتعليم الإبتدائي"، كما أن للجمعية إستراتيجية الاستفادة من كل ما هو متاح من أماكن:- مساجد - زوايا -منازل خاصة - المطالبة باسترجاع الأوقاف - مدارس الجمعيات التقليدية كجمعية التربية و التعليم..

بل كان ابن باديس يطمح إلى ما سماه أعظم عمل عِلمي ديني؛ و هو إنشاء كلية دينية. جاء في المادة81: "من غايات الجمعية النبيلة تأسيس كلية دينية عربية بمدينة الجزائر، تدرّس فيها علوم الدين من وسائل ومقاصد، و الغايات الكبرى من هذه الكلية هي تقريب العلوم التي يهاجر إليها أبناء الوطن لتحصيلها في الأقطار الأخرى.."[2] و يقول أيضا:" لا بد للجزائر من كلية دينية يتخرج منها رجال فقهاء بالدين يعلّمون الأمة أمر دينها و أستطيع أن أقول أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على جامع الأخضر بقسنطينة من العمالات الثلاث فلو الجمعية سعت لتوسيعها بترسيم معلمين و رعاية مدد المتعلمين ووضع خطة التعليم لقامت بأعظم عمل علمي ديني للأمة في حاضرها و مستقبلها"[3].

---

[1]- المدرسة الجزائرية إلى أين؟: مصطفى عشوي،د ط، دار الأمة،الجزائر،د ت،ص19-22. و هذا تقسيم لا يراعي مكان التعليم بل نوعه. فباعتبار مكان التعليم فهو إما مسجدي أو مدرسي.

[2] - آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1،ص88.

[3]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،م1،ج2،ص228. نقلا عن سجل مؤتمر ج ع م ج سنة1354هـ،ص95-98.

إن المدارس في البداية كانت لجمعية التربية و التعليم و تتكون من غرفة واحدة وبعضها الآخر يتكون من غرفتين أو أكثر، و يدير هذه المدارس معلم واحد، أو عدة معلمين على رأسهم مدير"[1]. أما المعمار الجديد الذي تصبوا إليه الجمعية فهو بهياكل حديثة و طراز جديد. فمن الناحية المعمارية كان هناك طرازان من المدارس:" الطراز الأول: و ينم عن إمكانية مادية محدودة للجمعيات المحلية التي تشرف على هذا النوع من المدارس، و هو يتكون من بيت عادي استأجرته الجمعية و اشترته، و أجرت عليه إصلاحات ملائمة ليصبح صالحا للتعليم. أما الطراز الثاني : فهو أكثر تقدما و حداثة من الطراز الأول، إذ كانت الجمعيات المحلية تشيده وفق مواصفات فنية تضعها إدارة جمعية العلماء، و تراعي فيها ضرورة الجمع بين روعة الفن المعماري الإسلامي من ناحية و بين ذوق العصر و متطلبات الصحة العامة للمتعلمين من ناحية أخرى"[2]. و " قد كان هدف الجمعية من توحيد الفن المعماري لمدرسها هو تكوين أجيال منسجمة في أذواقها و تفكيرها و اتجاها الوطني و القومي أي كل الجيل الجزائري «نتاج فكرة واحدة»"[3]. يتحدث الإبراهيمي عن طراز المدارس فيقول:"و مما يسترعي الانتباه أن هذه المدارس شيدت كلها على طراز متقارب الهندسة و المظهر، وهو شيء مقصود أشرنا به ونفذناه، و أبعدنا النجعة في تطلب سره، وهو أن تفهم الأجيال الآتية أن هذا الجيل الذي بنى وشيد، كان جيلا منسجم الذوق، موحد اللمحات الذهنية، متقارب النظرات الفنية، وانتقل من ذلك إلى أنه جيل ينظر إلى الحياة نظرة واحدة.."[4].

ج. تأسيس هيئات لإدارة التربية و التعليم(الطاقم الإداري و الطاقم البيداغوجي):

*1- تأسيس إدارة عامة للتعليم: وكانت تتقاسم عملية إدارة التعليم للجمعية جهتان:

الجهة الأولى هي الجمعيات المحلية التي توجد في كل بلدة و قرية بها مدرسة تابعة للجمعية، لتؤمن كل هذه المتطلبات؛ فتؤمن للمدارس المفروشات اللازمة، و **تتكفل بدفع رواتب**

---

[1]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 199.

[2]- المرجع نفسه، ص 211.

[3]- التعليم القومي:رابح تركي،ص211.

[4] – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج2،ص432.

المعلمين و تأمين المسكن لهم، وفي عديد من مدن يتطوع أعضاء الجمعية و أنصارها لإطعام المعلمين البعيدين وذلك باستضافتهم دوريا[1].

أما الجهة الثانية فهي جمعية العلماء التي تقوم بالإشراف الفني على هذه المدارس. وقد أسست لذلك لجنة تحت اسم 'لجنة التعليم العليا' سنة1946م. و كانت تشرف على شؤون التعليم في الجمعية وتحاول حل المشاكل التربوية **كتعيين المعلمين و المفتشين** وترقياتهم وتنقلاتهم و**اختيار البرامج التعليمية، و تأمين الكتب** للتلاميذ و **المناهج و الامتحانات**، و تنظيم **ملتقيات** و ندوات لترقية أداء المعلمين و نشر دروس نموذجية خاصة بالمعلمين،و تحديد أيام **العطل** الأسبوعية السنوية[2]..

2- إقامة جهاز التفتيش: لتعيين مفتشين و تحديد صلاحياتهم و دورهم في ترقية أداء المعلمين[3].

3- توفير المعلمين: قررت الجمعية في بداية مشوارها التعليمي أن تختار معلميها من بين الطلبة الحاصلين على دراسات كافية تؤهلهم لمهنة التعليم دون اشتراط الشهادات، و لكنها في نفس الوقت تشدد على ضرورة تمتع المعلمين بقوة شخصية المعلم و حسن أخلاقه و كفاءته العلمية[4].

4- تنظيم شؤون التلاميذ و طلبة العلم من الجنسين: جاء في إعلان عبد الحميد بن باديس عن افتتاح الدروس العلمية بقسنطينة قوله:"..**يجعل على كل جماعة من الطلبة عريف** يضبط أمورهم و يراقب سيرتهم. يشترط في كل تلميذ أن يكون **حافظا للقرآن** العظيم أو لبعضه كربعه على الأقل، و أن لا يتجاوز سنه- إذا كان مبتدئا لم تتقدم له القراءة- **خمسا و عشرين سنة** و أن يأتي- إذا كان جديدا- **بكتاب** من كبير بيته أو عشيرته للتعريف به. و ينبغي للطالب أن يأتي معه **بفرشه و غطائه**. فندعو من فيهم استعداد و عندهم رغبة إلى الإقبال على العلم والرحلة في سبيله و الله نسأل لنا و لهم التيسير و التوفيق و عمل الخير لوجه الله و السلام عليكم و رحمة الله

---

[1]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص 198- 199.

[2]- ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص212،و ص299.نقلا عن البصائر ،عدد11، السنة الأولى، 20 أكتوبر1947،ص8.
وينظر إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 255.

[3]- ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص295-296.

[4]- ينظر المرجع نفسه،ص212.

و بركاته"[1]. فمن خلال هذا الإعلان يظهر النظام الداخلي للتعليم المسجدي. كما يبدو أن ابن باديس يبدي نوعا من التساهل في شرط العمر من خلال دعوته حتى من عندَه رغبة في العلم[2].

د. ضبط الدوام الدراسي و مواد التدريس و الكتب المدرسية:

إن النظام الدراسي للتعليم المسجدي هو نظام الطبقات و ليس نظام الحلقات الذي تتداخل فيه المستويات، و عددها أربع الطبقات. ولكل طبقة مواد دراسية مضبوطة وتوقيت أسبوعي بدوامين غالبا فترة صباحية و أخرى مسائية، و بعد العشاء يلقي ابن باديس درس في التفسير الذي اشتهر به. أما دروس النساء ففي يوم الجمعة بعد العصر في جامع الأخضر.

أما التعليم المدرسي فسارت فيه الجمعية بنظام المدارس الفرنسية في مدة الدراسة (ست سنوات) و في عدد الصفوف(وزعت المواد على ستة صفوف).أما نظام الدوام فيختلف؛ فهناك نظام النهاريين(المتفرغين للتعليم) وهو مقسم إلى دوامين صباحي و مسائي، أما دوام المنتسبين للمدارس الفرنسية فهو منظم حسب أوقات فراغهم. و سن القبول غير محدد و شروط الالتحاق مفتوحة..[3].

فمن خلال إستراتيجية التسهيلات هذه؛ كأن **الجمعية كانت تنوي القضاء على الأمية اللغوية و المعرفية في أسرع وقت ممكن و لدي أوسع فئة ممكنة.**

لقد وجدنا ابن باديس يفرد يوم الجمعة بعد العصر لنساء الجمعية، لأنه كان يقول: "النساء شقائق الرجال في التكليف، فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن وقد علمهن ﷺ و أقرهن على طلب التعلم، واعتنى بهن و تفقدهن «..»إن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء، وأن على أوليائهن المسؤولين عنهن إثما كبيرا مما هن فيه، و أن أهل العلم و الإرث النبوي مسؤولون عن الأمة، رجالها و نسائها، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حق النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال، و في يوم خاص بهن إقتداء بالمعلم الأعظم:عليه و على آله

---

[1]- ابن باديس حياته و آثاره :تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص195.

[2]- ينظر إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس: عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 256.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص 257- 272.

الصلاة و السلام"[1] و قال أيضا في موضع آخر:" علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا و بناتنا في رجالنا و نسائنا على أساس ديننا و قوميتنا"[2].

قد يفهم البعض دعوة ابن باديس لتعليم المرأة على أنها تحرر زائد و انفتاح بدون قيود. لذا قال ابن باديس في الرد على دعاة تحرير المرأة مبينا دورها في النهضة المنشودة :" و إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فان حجاب الجهل هو الذي أخرها، و أما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات بغداد و بنات قرطبة و بنات بجاية مكانة عالية في العلم و هن متحجبات"[3].

إن ابن باديس حاول قبل تحديد مضامين تعليم المرأة، أن يحدد ملامح هذه الفتاة المسلمة الجزائرية المتعلمة، و هو بذلك يبرمج مقررا دراسيا بما فيه الملمح اللغوي:" المرأة خلقت لحفظ النسل «..» فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، و نربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة مرأةً لا نصف رجل و نصف امرأة. فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها «..»الجزائرية بدينها و لغتها و قوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا و لنا «..»الطريق الموصل إلى هذا هو التعليم. تعليم البنات تعليما يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن.."[4].

كما يحدد الشيخ في 'الشهاب' المجالات التي ينبغي أن تستمد منها المواد و مضمونها المعرفي التعليمي الخاص بالبنات. و هذه المجالات هي:"1- الديانة: الدين الإسلامي بما يتضمنه من عقائد وأخلاق و أحكام.

2- اللغة: أي اللغة العربية بجميع فنونها (نحو، صرف، محفوظات، الإنشاء..).

3- القراءة و الكتابة: و نص هنا على القراءة و الكتابة مع أنهما داخلتان في تعليم اللغة نظرا لمعارضة الفقهاء الجامدين تعليم البنت القراءة و الكتابة.

---

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي:م 1،ج2،ص199-200.نقلا عن الشهاب،ج2،م15،مارس1939، ص63-66.

[2]- المرجع نفسه،ج2،ص203،نقلا عن الشهاب ج3،م15،أفريل 1939،ص110-112.

[3]- المرجع نفسه ،ج1،م2 ص 464-465،نقلا عن الشهاب ،ج10 ،م5،نوفمبر 1929،ص9-14.

[4]- المرجع نفسه،ج1،م2،ص469.نقال عن الشهاب ،ج10،م5، نوفمبر 1929،ص9-14.

4- إتقان حرفة يدوية (أي تعليمها المهارات اليدوية).

5- مبادئ تربية الأولاد و رعاية الطفولة.

6- الشؤون المنزلية (أي التدبير المنزلي).

7- الجغرافيا و التاريخ .

8- الحساب"[1].

إن تدريس المرأة يعني طرح قضية الاختلاط، هذه القضية القديمة الجديدة التي يفصل فيها ابن باديس كما فصل فيها النبي ﷺ؛ فقال ابن باديس:" لا يجوز اختلاط النساء بالرجال في التعليم، فأما أن يفردن بيوم «..»و إما أن يتأخرن عن صفوف الرجال"[2]. إلا أن ’زهور ونيسي‘ تقول:" كنا نجلس نحن البنات جنبا إلى جنب مع الأولاد دون أية عقدة أو فكر مسبق، أو سوء ظن، كانت القيم تحكم الجميع، و تسيرهم و توجههم و ليس القهر أو طقوس التحريم"[3]. و لا أعلم كيف أوفِّق بين قول ابن باديس و بين مزاعم ’زهور ونيسي‘، إلا بما ذهب إليه ’مصطفى عشوي‘ حين قال:" إن مدارس جمعية التربية و التعليم كان يؤمها فعلا الذكور و الإناث ممن هم دون مستوى التعليم المسجدي[الصغار] الموجه للطلبة. و الذي كان الإمام ابن باديس يشرف عليه شخصيا مع أقرب مساعديه. ثانيا كان التلاميذ و التلميذات يحضرون الدروس في قسم واحد ولكن طريقة الجلوس تكون إما بطريقة التوازي حيث يجلس الذكور في جانب(صف) والإناث في جانب(صف)آخر، و إما أن يجلس الذكور في الأمام و الإناث في الوراء"[4].

لقد تأكد أن من إستراتيجية الجمعية الاهتمام بالموهوبين من الطلبة؛ فلقد كان ابن باديس يراعي الفروق الفردية للمتعلمين. لذا **خص النبهاء الأذكياء بحصص إضافية**. يقول ابن باديس:" رأيت أن لهم الحق أن يأخذوا حضهم من التربية و التعليم على وجه يناسبهم، فأسستُ لهم درسا يوم الأحد من كل أسبوع، يلقى على جماعة منهم في الساعة العاشرة نهارا، و على

---

[1]- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس :عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص 275

[2]- المرجع نفسه،ج2،ص199.نقلا عن الشهاب ج2،م15،مارس 1939،ص63-66.

[3]-" فخر المدارس الحرة: التربية و التعليم بقسنطينة": زهور ونيسي، اللغة العربية، عدد ممتاز، ص 105.

[4]- المدرسة الجزائرية إلى أين؟:مصطفى عشوي،ص33.

جماعة أخرى في الساعة الثامنة ليلا، حتى يعم من يتفرغون له بالليل و من يتفرغون له بالنهار"[1].

لقد تطلعت الجمعية بإمكانياتها المتواضعة إلى تعليم الجالية الجزائرية في فرنسا إن وجدت إلى ذلك سبيلا. و هذا قد يحقق الكثير من أهداف سياستها اللغوية؛ خاصة أهداف ترقية وظائف اللغة العربية و إعادة الاعتبار لوظيفتها العملية و الرمزية، فضلا على تجديد الولاء للوطن عند الجالية الجزائرية. يقول الإبراهيمي:" في فرنسا جالية عظيمة من المسلمين الجزائريين تبلغ مئات الآلاف «..» و قد بلغ عدد أطفالهم في باريس و ضواحيها نحوا من عشرين ألف طفل «..»كانت الجمعية قد فكرت في هذه القضية الخطيرة و تدبرت عواقبها قبل أن يبلغ العدد إلى هذا الحد، فرأت من الواجب عليها، ومن الأشبه بها، و من جنس عملها، أن تلتفت إلى هذه الطائفة و تهتم بها، و تتخذ الوسائل لإنقاذها من الكفر و الذوبان و الانسلاخ عن العروبة و الإسلام"[2].

هذا عن ضبط الدوام الدراسي؛ أما عن ضبط المواد التدريس و محتواها المعرفي وكتبها فإن جمعية العلماء لم تحدد برنامجا تعليميا مفصلا، يحدد المقررات الدراسية لكل صف[3]. لذا اعتمدت على نمط ابن باديس في التدريس المسجدي[4].

و قد كتب ابن باديس بيانا عن الحركة العلمية بـ'الجامع الأخضر'، يكشف عن المواد الدراسية المقررة و الكتب المختارة لذلك. و هذا ما سنعتمد عليه لبيان المواد و الكتب المدرسية التي اعتمدتها الجمعية في تعليمية اللغة العربية في كل أنواع التعليم. فالمواد المقررة للدراسة على نوعين[5]:

---

[1]- ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،ج1،م2،ص269.

[2]- آثار الإمام البشير الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج2،ص 442.نقلا عن البصائر،العدد172-173، 15 أكتوبر 1951.

[3]- ينظر إمام الجزائر:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان،ص272.

[4]- ينظر آثار الإمام البشير الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج5،ص 282.

[5]- ينظر ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،م2،ج1،ص229.و ينظر إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس: عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 260-261.

- مواد للغة **العربية كمقرر دراسي**:- اللغة العربية و فنونها(النحو، الصرف، البلاغة، الأدب، مطالعات، العروض، الإنشاء..)

- **مواد تتخذ اللغة العربية لغة للتدريس** وهي: باقي المواد التعليمية:

- دراسات دينية (القرآن و الحديث و العقائد و علوم الدين..)

- علوم اجتماعية (الأخلاق التاريخ..)

- وعلوم العقل و الاستدلال (الحساب المنطق و علوم الفلك و الطبيعة..)

إن تعليمية اللغة في التعليم المسجدي، كانت قد انتخبت مجموعة من الكتب حسب الطبقات[1]: الأجرومية في القواعد.- القطر لإبن هشام(في القواعد).- متن الكافي(العروض والقوافي).- ألفية ابن مالك(في القواعد).- الجوهر المكنون في الثلاثة فنون(البلاغة).- متن الخرزجية(في العروض).- لامية الأفعال(في الصرف).- سعد الدين التفتزاني(في البلاغة)- شرح كتاب تلخيص المفتاح للقزويني الذي هو ملخص كتاب المفتاح للسكاكي.- الأمالي لأبي علي القالي و ديوان الحماسة(في الأدب).

أما في التعليم المدرسي فقد نجد " بعض المعلمين يتقاسمون المواد المقررة للقسم الواحد بحيث يتولى كل واحد ما يقدر عليه، و يميل إليه «..»أما الكتب التي كانت معتمدة فهي كتب غير جزائرية في معظمها(كتب مصرية في غالب الأحيان)، و لكن التفكير كان قائما من أجل تأليف كتب جزائرية تلائم وضعية التلاميذ الجزائريين، و لكن الظروف التي كانت تمر بها الحركة الإصلاحية لم تسمح بذلك في حياة ابن باديس. و قد فكر الشيخ ابن باديس في أكثر من البرنامج و الكتاب.."[2] لتعليم الذكور و لتعليم الإناث.

لكن ما موقف السياسة اللغوية للجمعية من تعليم الفرنسية ؟ و ما مدى مساهمة الفرنسية في ترقية الفكر الجزائري؟

إن الجمعية لم تكن تنوي محو أمية الشعب في اللغة العربية فقط، بل تطلعت حتى للغات الأجنبية وعلى رأسها الفرنسية. فالبرامج التعليمية التي وضعتها جمعية العلماء، تنص على تعلم

---

[1]- ينظر المرجع السابق،م2،ج1،ص229.

[2]- إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس:عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 276.

الفرنسية. لكن ضعف مواردها المالية حال دون تحقيق ذلك[1]. لذا كانت إسهامات العلماء في خدمة اللغة العربية أوفر حظا." إنهم كافحوا ضد الأمية و أعطوا كثيرا من وقتهم و طاقتهم لتحقيق برنامج من التعليم الوطني، الذي أساء الفرنسيون معاملته"[2].

إلا أن **الخصومة بين التعليم الفرنسي و العربي** ظلت قائمة رغم محاولات ابن باديس الصلح بينهما. يصف ابن باديس هذا التنافر بحصرة فيقول:" العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها، منها علوم تؤخذ باللسان العربي و هي علوم الدين و اللسان، و منها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي و هي علوم الأكوان و العمران. وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه و ضلال. فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا «..» وأولئك يعتبرون هؤلاء كفارا.."[3].

و أكد على نفس الفكرة سنة 1930 قائلا : "يعلم قراؤنا بأننا لم نكف عن الإعلان في كل مناسبة بأن التعليم العربي و الفرنسي ضرورة حيوية بالنسبة إلى الجزائريين. و لهذا سندعم دوما كل جهد و مبادرة لصالح هذا التعليم لمصلحة الجاليتين"[4]. "فنحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية«الحرية و المساواة والإخوة» من رفع مستوانا العلمي و الأدبي بتعميم التعليم كما عممت الجندية.."[5].

لكن تعليمية اللغة الفرنسية كما يؤكد الاصطلاحيون تكون للغة و العلم لا للثقافة. أي كما يقول ابن باديس- فما ورد سابقا حول تعلم اللغات الأجنبية-:"نحن اليوم و قد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح علينا أن نعرف لغتهم و خطهم كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا و خطنا«..» وفي اتخاذ الكَتبة و التراجمة في الدولة و ما يشترط فيهم من العلم و الأمانة"[6].

---

[1] – ينظر "وضعية العربية خلال العهد الاستعماري":محمد الميلي، اللغة العربية،عدد ممتاز، ص 70.

[2] – الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ، ج2،ص 405.

[3]– ابن باديس حياته و آثاره حياته و آثاره: عمار طالبي، ج2،م2، ص332.

[4] – الحركة الإصلاحية في الجزائر:علي مراد، ص 424. نقلا عن الشهاب،أفريل1930، ص152-153.

[5]– " المنتقد، العدد2،1 جويلية1925،ص6. المقال بعنوان "خطتنا مبادينا و غايتنا و شعارنا".

[6]– ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي: ج2،م1، ص232.نقلا عن الشهاب ج2،م11،ماي1935 ،ص77-78.

ه. ***طرائق التدريس و الأساليب التربوية:*** إن "ابن باديس لم يحدد في كتاباته عن التربية تصورا شاملا و دقيقا لمشكلات التعلم المدرسي و أنواع الطرائق"[1]. لذا لم تحدد الجمعية برنامجا تعليميا مفصلا. يتضمن المقررات الدراسية لكل صف من صفوف المدرسة، كما لم تحدد الكتب و الطرق التدريس فضلا عن توحيد التعليم في كل المرافق التعليمية للجمعية[2]. ولكن تم تدارك الأمر في سنوات لاحقة[3]، و أصبح التعليم يضاهي في تنظيمه التنظيم المدرسي المعاصر من حيث البرامج و المواد و المؤطرين و التفتيش و الامتحانات و الشهادات..

لذا تركت الجمعية اختيار طرق التدريس لخبرة و ابداعات المعلمين الموهوبين الذين يدركون مستوى التلاميذ و الهدف من الدرس. لكن مع هذا شدد ابن باديس على ضرورة تجنب تقاليد تعليمية بالية، نجملها في يلي[4]:

1- أساليب التلقين و التحفيظ و اجترار المتون و الحواشي و الشكليات و المماحكات اللفظية والجدل النحوي العقيم..

2- الاعتماد الكلي على الكتب و أقوال المؤلفين دون مناقشتها..

3- عدم استخدام الفكر فيما يعرض من مسائل و معلومات حتى لا يكون الدرس حشوا..

4- ضعف العلاقة التي تربط المعلم بالمتعلم..

5- العدول عن النظر و الاستدلال المأمور بهما كتابا و سنة..

6-عدم توجيه التلاميذ إلى استخدام عقولهم فيما يقرأون..و عدم تعويد الطلبة على الاعتماد على أنفسهم في تحصيل العلم و المعرفة بتدريبهم على أساليب التعلم الذاتي.

لقد كان على العلماء أن يبحثوا عن طرق خاصة لإصلاح التعليم في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة. فقد كانوا ينتقدون بشدة الطرق التعليمية التقليدية لأنها غير عملية. لذلك اتبعوا في تعليمهم المسجدي طريقة السلف الصالح لتعليم القرآن و السنة، فكانوا يفسرونهما بنمط عملي و متحرر. أما في المدارس فاعتمدوا طرقا سهلة و حديثة في تعليم العربية، إذ

---

[1] -"الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب":عبد القادر فضيل، مجلة الوعي1،ص 68.

[2] - ينظر إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس :عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان ،ص 272.

[3] - ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص263.

[4] - ينظر "الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب":عبد القادر فضيل، مجلة الوعي1، ص 68-69.

طهروا اللغة من الدخيل و الاستعمالات الهجينة[1]. مع حيوية و فعالية تعتمد على كون المتعلم هو محور العملية التعليمية لا مجرد متلقي، و ذلك من خلال طريقة الحوار والسؤال و الجواب بينه وبين المعلم[2]. يقول الإبراهيمي:"كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا و إبن باديس في اجتماعنا في المدينة المنورة في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم و إنما نربيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"[3].

لقد كان ابن باديس يتبرم حقيقة من الأساليب العقيمة في تدريس العربية سواء في جامع الزيتونة أو في المؤسسات الحكومية. و يقول 'عمار طالبي' عن مناهج التعليم و طريقة تدريس اللغة العربية التي يقترحها ابن باديس:"1- اللغة و النحو و الصرف و البيان و يشترط في تدريسها تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح، لتحصيل الملكة و يعتبر دراستها بلا تطبيق كما هو معتاد في ذلك العهد تضييعا للوقت، وتعطيلا، و قلة تحصيل. 2- تاريخ الأدب العربي والإنشاء.3- حسن الأداء في القراءة و الإلقاء.."[4].

لقد "لاحظ المعاصرون الفرنسيون أن العلماء قد أدخلوا 'بيداغوجية وطنية' جديدة في حملتهم التعليمية. و بناء على رأي 'ديبارمي'، فإن ابن باديس قد استعمل هذه الطريقة الجديدة في محاضراته في 'الجامع الأخضر'، لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية. فقد علمهم ابن باديس المحفوظات العربية والأناشيد الوطنية..و يؤكد 'ديبارمي' أن هذه الطريقة لم تكن معروفة في الجزائر قبل الحرب"[5]. و هذا لأن "التعليم مسجديا أو مدرسيا عاما أو خاصا، فهو عملية تربوية هادفة ذات مضمون اجتماعي و أخلاقي و سياسي و ثقافي"[6]. حتى لو كانت **مدة الحصة في التعليم المسجدي عشرون دقيقة لكل فوج من أفواج الطلبة**[7].. لهذا بدأ يسري شعور

---

1 – ينظر الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ، ج2،ص 400.

2– ينظر تعليم القومي:تركي رابح، ص 294-295.

3 – آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج5،ص208.

4 – ينظر ابن باديس حياته و آثاره: تصنيف عمار طالبي، م1،ج1،ص111.

5 – الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ، ج2،ص 400.

6 – إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس :عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، ص 187.

7– ينظر المدرسة الجزائرية إلى أين؟:مصطفى عشوي،ص29.

عام في الوطن أن عهد التعليم القرآني على طريقة القرون الوسطى؛ طريقة اللوحة و مداد «السمق» بدأ يتقلص و ينزوي و يصبح ذكرى من ذكريات صمود هذا الشعب الأبيِّ[1].

و. ***الامتحانات و الشهادات:*** لم تهمل الجمعية هذه القضية الخطيرة التي هي بمثابة المحفز على التعلم. فالامتحانات النهائية خاصة و ما يتبعها من تتويج بشهادة معترف بها تقليد كل المؤسسات التربوية العريقة. لكن بحكم عدم جدوى الشهادة التي تمنحها الجمعية أجَّلتْ تقديمها• و تنظيم امتحاناتها الوطنية. لأن عدم اعتراف الإدارة الفرنسية بها، يجعل من الشهادة عديمة الفائدة في الحياة العملية فلا يمكن الحصول بها على وظيفة[2]. و ركزت الجمعية في المقابل على أن يفوز المتعلم بمستوى علمي يؤهله لاستكمال دراساته العليا في كبرى المعاهد العربية. و قد سعت الجمعية مرات لإرسال بعثات طلابية للبنين و البنات و قد راسل ابن باديس جمعية 'دوحة الأدب' التي تشرف عليها سيدة من حفيدات الأمير 'عبد القادر' كما ورد سابقا.

ز. ***النشاطات اللّاصفِّية***: و مظاهرها كثيرة أهمها النشاطات الكشفية و الرياضية النوادي و التكوين المهني و المسرح..

كما حثت الجمعية على المطالعة، و كان توجه الطلبة إلى الكتب النافعة التي تزيد من معارفهم و تزكي نفوسهم، و قد كانت جرائد الجمعية تعج بمنجزات تلاميذها خارج فصول الدراسة خاصة عند الحديث عن الحفلات التخرج وما سادها من الأناشيد و المسرحيات والقصائد..

لقد كانت الجمعية ترى في النوادي واسطة خير بينها و بين الشباب، خاصة و أنها لا تكلفها إلا العبء الفني و هو عبء التوجيه، لأن "وضعية النوادي تعتمد على دخل مالي خاص من المشروبات المباحة التي تباع فيها.."[3]. و يقول الإبراهيمي: "جمعية العلماء ترى أن النوادي التي أسستها أو تؤسسها هي في حكم مدارس التعليم و مكملة لوظائفها. لأن طبقات الأمة ثلاث:

---

[1]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :أحمد الخطيب، ص63.

• أول شهادة قدمت كانت سنة 1952. ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص214.نقلا عن البصائر، العدد244،السنة6،23 أكتوبر1953،ص1.

[2]- ينظر التعليم القومي:رابح تركي،ص214.

[3]- آثار الإبراهيمي: جمع أحمد طالب الإبراهيمي ،ج3،ص51.نقلا عن البصائر،العدد1، 25جويلية1947.

صغار تضمهم المدارس الابتدائية، و كبار تجمعهم المساجد، و شبان تتخطفهم الأزقة و أماكن الخمور و الفجور، فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم في المساجد و لا في المدارس، فمن واجب الجمعية أن تنشط النوادي لتقوم بمهمتها التهذيبية فيها"[1]. يقول 'أبو القاسم سعد الله':"و أما التعليم في النوادي الثقافية فقد كان العلماء يهدفون منه إلى التربية على الشجاعة، و الخطابة، و النظرة العلمية. و كانت كتبهم المقررة تختار لفائدتها، و سهولتها، وحداثتها. و كان الطلاب يعلمون أفضل الطرق في البحث، و قراءة التاريخ، و الأدب، و علم الاجتماع، و تراجم أولئك الذين ساهموا في التراث الإنساني"[2]. فمن الوظائف التي أوكلت للنوادي لخدمة العربية: المطالعة، المباريات الشعرية، الخطابة الارتجالية، البحث، وصف الرحلات..

كما اهتمت الجمعية بترقية العربية في التكوين المهني. جاء في القانون الأساسي لجمعية التربية و التعليم الذي أشرنا إليه سابقا في المادة3: " تسعى الجمعية لمقصدها هذا«..»رابعا- بتأسيس معمل للصنائع، خامسا- بإرسال التلاميذ على نفقتها إلى الكليات و المعامل الكبرى"[3].

لقد تنبه ابن باديس إلى أن القضاء على الأمية اللغوية و المعرفية و الحِرَفية في مشروعه النهضوي لا بد له من تعليم الصنائع لأبناء المسلمين و بناتهم بإنشاء المصانع و مراكز التكوين المهني التي يتمرس فيها الصغار و الكبار على المهارات اليدوية.

[1] - المرجع السابق، ج2،ص146.

[2] - الحركة الوطنية:أبو القاسم سعد الله ، ج2،ص 401.

[3] - ابن باديس حياته و آثاره: تصنيف عمار طالبي،م2،ج1،ص185. نقلا عن الشهاب،ج2،م7،مارس 1931،ص115-117.

المطلب الثاني: تقييم جمعية العلماء لسياستها اللغوية.

I.تقييم جمعية العلماء لوصفها اللغوي الاجتماعي في سياستها اللغوية:

إذا أخذنا برأي 'روبيير' فإن مستوى تقييم الوضعية ما هو إلا وصف الوضعية اللغوية[1]. وهو الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين قبل تحديد أهدافها. و لكن رغم ذلك يمكن رصد جملة من المراجعات التي قامت بها الجمعية لتقييم وضعية الانطلاق تبعا للمستجدات. فما جديد الأوضاع الذي أحسنت الجمعية استغلاله؟ من ذلك ما يلي:

1. استغلال ابن باديس فرصة احتفالات فرنسا بمرور قرن من الاحتلال الجزائر: وذلك أولا للضغينة التي خلفتها الاحتفالات فعبأ بها الهمم للنهضة. و ثانيا للمناخ العام للجزائر والموسوم بالانفراج كالتخفيف من أثر التململ الشعبي بعد الاحتفالات. فجاء الترخيص لجمعية العلماء كخطوة معتدلة من جانب الإدارة[2].
2. استغلال ابن باديس فرصة وجود 'جان ميرانت' 'J.Mirante' على رأس مديرية الشؤون الإسلامية: و هو شخصية فرنسية معتدلة، و عرف عنه تسامحه تجاه الحركة الإصلاحية و معاداته السرية للطرقية، و كان ماسونيا قال عنه ابن باديس أنه صاحب:" الأخلاق العالية و الآداب اللطيفة «..» ذلك الرجل الإداري العظيم الذي يعرف أن المسلمين الذين برهنوا على حسن سلوكهم دائما في جميع المواطن يجب أن يعاملوا اليوم بغير ما كانوا يعاملون به أمس، و ذلك المستشرق العالم بالعربية إنه لا شك أن ذلك يجعل له عطفا خاصا على أبنائها"[3].
3. استغلال استهانة فرنسا برجال الدين الإسلامي في الجزائر – بوجه عام –: قبل تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كانت تعتبرهم أناسا غير ناضجين سياسيا وتنقصهم الثقافة الحية[4]. و لذا وضع ابن باديس مشروعه على أساس مبتكر تماما، وهو أن

---

[1] – ينظر محاضرات مقياس التهيئة اللغوية :عبد الحميد دباش. نقلا عن روبيار.

[2] – ينظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر:علي مراد، ص155.

[3] – ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي، م2،ج1،ص 517.

[4] – ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956):تركي رابح،ص 78.

يحاصر فرنسا في رفق و عزم صارم في الوقت الذي تظن أنها تحاصر الجزائر، و لم تتفطن فرنسا إلى هذه المهارة القيادية إلا لما وجدت نفسها محاصرة بأعوانها، الذين استمالهم ابن باديس طائفة بعد أخرى. فالانقلاب الجذري كان بإعداد جيل صالح[1]، لا يزول بزوال الرجال.

لذا حتى مع وفاة ابن باديس لم يستطع الاحتلال النيل من الجمعية و حركتها الإصلاحية، لأن وفاة الزعيم الروحي ابن باديس حرر نهائيا الفكرة الإصلاحية التي كانت «فكرة مجسدة» في صاحبها، فأصبحت بموته - رحمه الله- فكرة مجردة لا يجد الاستعمار إليها سبيلا، فبقيت الحركة الإصلاحية وفية لفكر زعيمها الأول و منهج عمله، لأنها" بقيت في صورة جديدة بوصفها(فكرة مجردة) استقرت في ضمير الشعب"[2].

4. <u>تقييم انفتاح الجمعية على كافة الأطياف النشطة في الجزائر بما فيها الجمعيات المندسة</u>: فالجمعية في هيئتها العامة و الإدارية، شملت كافة الاتجاهات الدينية المتواجدة على الساحة الجزائرية حتى المتواطئين مع فرنسا. و قد تكرس هذا التحاف التكتيكي المرحلي عام 1931م[3]، عشية تأسيس الجمعية، ولكنه لم يعد قادرا على الصمود بتركيبته هذه دون إعادة تقييمه بميزان الاتجاه الفكري سنة 1932م، فحدث تصحيح على مستوى تركيبة الجمعية، وهذا فوَّت فرصة حصر الجمعية في الإطار الديني الباهت الذي حاول الطرقيون و المرابطون وأتباع الإدارة الفرنسية تجميدها فيه.

من أهم مظاهر إعادة تقييم الوضعية قبل الانطلاق تلك اللقاءات التي كانت بين ابن باديس و الإبراهيمي و التي يقول عنها الإبراهيمي:" في هذه الفترة ما بين سنتي 1920 و1930 كانت الصلة بيني و ابن باديس قوية و كنا نلتقي في كل أسبوعين أو كل شهر على الأكثر، يزورني في بلدي(سطيف) أو أزوره في قسنطينة، فنزن أعمالنا بالقسط و نزن آثارها في الشعب بالعدل، و نبني على ذلك أمرنا، و نضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبدا، و كنا نقرأ للحوادث و المفاجآت حسابها، فكانت هذه السنوات العشر كلها إرهاصات

---

[1]- ينظر "الإمام عبد الحميد بن باديس و أزمة التخلف الحضاري في الجزائر":محمد الأمين بلغيث، مجلة الموافقات، العدد6،السنة6، 1997،ص 405.

[2]- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:مالك بن نبي،ط3،دار الفكر، لبنان،1988،ص15.

[3]- ينظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر:علي مراد،ص145.

لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين"[1]. أما خلال عام 1924 فيؤكد البشير الإبراهيمي أن ابن باديس زاره في مدينة سطيف، و تدارس معه أسس الانطلاق في العمل، و كان الإبراهيمي يرى الوقت غير مناسب لإنشاء الجمعية التي كان يريد الإمام ابن باديس تأسيسها "لأن استعدادانا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد"[2] كما يقول الإبراهيمي. و لكن رغم ذلك كلف ابن باديس الإبراهيمي بوضع قانونها الأساسي فوضعه.

II.- تقييم جمعية العلماء لأهداف سياستها اللغوية:

من المؤكد أن بعضا من الأهداف التي حددها ابن باديس مع الإبراهيمي في مكة سنة1913م ، ستعدل نسبيا بسبب الطول المدة، و لذلك نجد العلماء لا ينفكون يراجعون أهدافهم و استراتيجياتهم، فأصعب الأمور بدايتها. إلا أن الملفت للانتباه تركيزهم على هدف العمل الجماعي.

فابن باديس لا يتردد في كل مرة أن يُقيِّم مدى استعداد الجزائريين للعمل الجماعي، خاصة في جريدة ' الشهاب' التي أعقبت ' المنتقد'؛ فقد كان يطالب من كل مثقف و كل مناصر للإصلاح يوافق على فكرة إنشاء عمل جماعي أن يراسل الجريدة بموافقته. ولعل تأخر الظهور الجمعية حتى 1931م. يعود إلى عدم تجاوب كثير من العلماء. فعلماء قسنطينة وعمالتها، أغلبهم من موظفي الإدارة الحكومية لذا لم يستجيبوا لفكرة إنشاء 'جمعية الإخاء العلمي' الذي كان ينادي لها ابن باديس كما يقول الشيخ 'أحمد حماني' فيما ورد سابقا[3].

III.- تقييم جمعية العلماء استراتيجيات سياستها اللغوية:

الاستراتيجيات المحكمة هي التي تجعل العلماء مؤثرين، و "المؤثرون كما يعرفهم 'لاسويل''Lasswell' « هم أولئك الذين يستغلون كل ما يمكن استغلاله استغلالا تاما» والذين

---

[1] - آثار الإبراهيمي:جمع أحمد طالب الإبراهيمي،ج5،ص280.

[2]- المرجع نفسه،ج1،ص185.

[3]- ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب،ص 96-97.

يقومون بذلك هم النخبة أو الصفوة، أما البقية فهم العامة «المحكومين»"[1]. ومن هذه الاستراتيجيات التي أعادت العلماء تقييمها ما يلي:

أ) تقييم إستراتيجية تكوين تنظيم للعمل الجماعي بمقاربة 'جمعية علمية' أم 'حزب ديني': فابن باديس في زيارته للإبراهيمي بسطيف سنة 1924م كان بنية تأسيس 'جمعية الإخاء العلمي' وحالت الظروف دون ذلك فتحولت الشهاب للدعوة إلى 'الحزب الديني الإصلاحي' وتطلب موافقة العلماء. حتى إذا كان عدد الموافقين كافي يباشر بتأسيس الحزب. و سرعان ما تكاثرت موافقات العلماء المصلحين، و مما جاء في رسالة للشيخ العربي التبسي: "أزفت ساعة الجماعة و تصرم عصر الفرد"، و يبدو أن ما حال دون تكون جمعية الإخاء هو الذي حال دون تكون الحزب الديني[2] .

ب) التخفيف من اللغة النَّارية لـ 'المنتقد' و' الشهاب ' عند صياغة القانون الأساس: يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن صياغة ابن باديس للقانون الأساس بدقة:" إنه هو الذي وضع القانون الأساسي على قواعد من العلم و الدين لا تثير شكا و لا تخيف، و كانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقف تستهين بأعمال العالم المسلم، و تعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة، فخيبنا ظنها و الحمد لله"[3].

ت) الاستفادة من تعاطف بعض المنصفين من الفرنسيين مثل تسهيلات 'جان ميرانت' 'J.Mirante' الذي كان على رأس مديرية الشؤون الإسلامية و المتعاطف مع العلماء، و الاستفادة كذلك من الراغبين في الشهرة و المال و الحضوة؛ فجريدة 'الشهاب' في 1931 خصصت جائزة ألف فرنك لمن ينجز مشروع تأسيس الجمعية كما مر سابقا.

ث) تقييم إستراتيجية مقاربة التربية و التعليم أولا أم مواجهة الطرقية و البدع : يقول الإمام البشير الإبراهيمي:" فكانت الأوساط الإصلاحية في ذلك العهد• يتجاذبها رأيان يلتقيان في المقصد و يختلفان في المظهر العملي للإصلاح و كيف يكون؟ أحدهما، صرف القوة كلها وتوجيه جهود متضافرة إلى التعليم المثمر و تكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة

---

1 – التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي:كوبر،ص152.

2– ينظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:أحمد الخطيب، ص 98.

3– "الإمام عبد الحميد بن باديس و أزمة التخلف الحضاري في الجزائر":محمد الأمين بلغيث،الموافقات6،ص 406.

• حوالي 1922. ينظر ما قاله عمار طالبي في ابن باديس حياته و آثاره:تصنيف عمار طالبي،م1،ج1،ص81.

بالطابع الإصلاحي علما و عملا «..»و كاتب هذه السطور [الإبراهيمي] من أصحاب هذه الفكرة في ذلك الوقت. و الرأي الثاني أخذ المبطلين مغافصة «..»و يرتكز هذا الرأي على أن هذه البدع و المنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حربا عليها هي أمور طال عليها الأمد «..»و قد رجح الرأي الثاني [لابن باديس] لمقتضيات الله من ورائها حكمة، فأنشئت جريدة 'المنتقد' بقسنطينة لهذا الغرض، و كان اسمها نذيرا بالشر لأهل الضلال .."[1].

[1] - آثار الإبراهيمي: تصنيف عمار طالبي، ج1،ص183-184.

في خاتمة الفصل الثالث يمكن إيجاز أهم نتائجه التي تخص أساسا مواصفات السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، وهي:

1) الطابع الرسمي للجمعية و الكفاءة العلمية لأعضائها يؤهلانها لتقديم مسودة سياسة لغوية ناجحة. و فعلا قدموا مشروعا رائدا. تفشل فيه كثير من الحكومات.

2) الجمعية التزمت بكل عناصر رسم السياسات اللغوية، فالعلماء هم من رسم السياسة اللغوية و باسم جمعية معترف بها. و قد رُسمت لتمس كل فرد جزائري داخل الوطن أو خارجه. و الهدف هو حل مشكلة الهوية التي مدخلها الهوية اللغوية. أما كيفية إعداد مسودة هذا المشروع اللغوي المتكامل؛ فكانت بمنهجية علمية هي منهجية رسم السياسات اللغوية، فأولها مرحلة كفاية الوصف و ثانيها تحدد الأهداف، و ثالثها ضبط الاستراتيجيات.

3) تعليمية اللغة العربية في السياسة اللغوية لجمعية العلماء خرجت عن الإطار التقليدي إلى إطار حديث. فالمشروع التعليمي يقدم لنا صورة عن هيكل تعليمي يضاهي وزارات التربية و التعليم الحديثة.

4) اهتمت السياسة اللغوية لجمعية العلماء بمجموعة من الظواهر اللسانية الاجتماعية، مثل الاحتكاك اللغوي و مظاهره، الثنائية اللغوية، و أهمها الوظائف اللغوية.

الخَاتِمَةُ

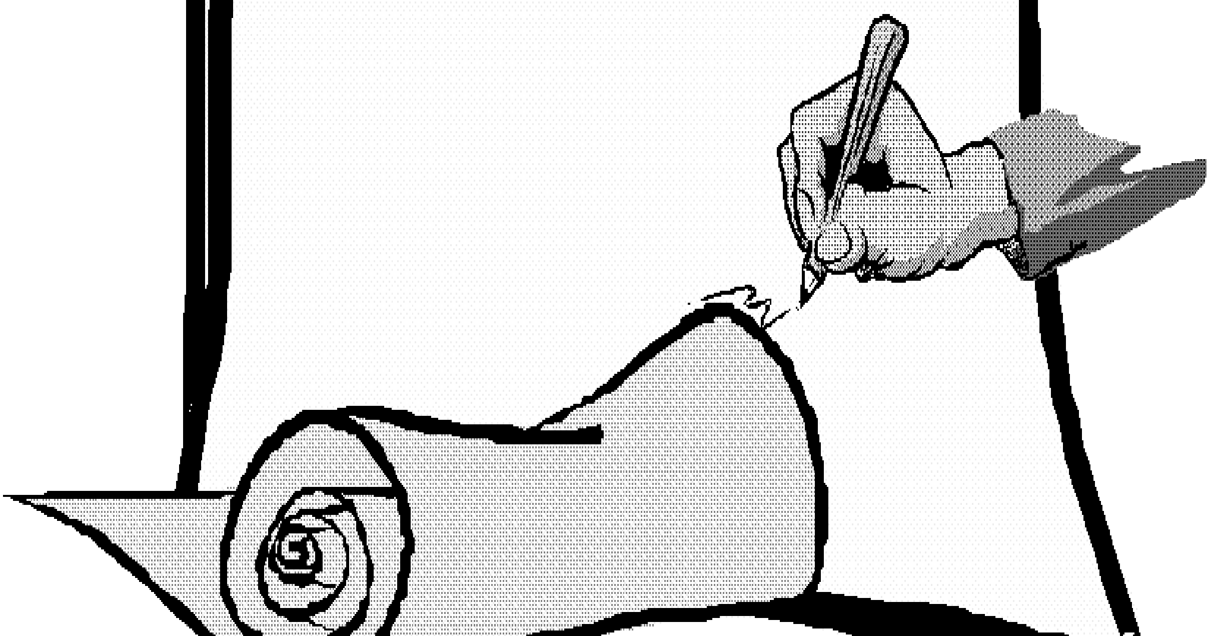

بعد أن تقصى هذا البحث السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ها هو يرسو على جملة من النتائج. يجملها في النقاط التالية:

1- السياسات اللغوية هدفها إجمالا هو مزيد من التحكُّم في تفاعل البني اللغوية مع البنى الاجتماعية، بهدف مزيد من السيطرة على حركتهما. إلا أن تدخل الأطماع السياسية في السياسات اللغوية يبعدها عن طابع العلمية لتغرق في وحل الصراعات السياسية. وتتحول السياسة اللغوية إلى وجه خفي مقنع للصراع السياسي. كما هو حال السياسة اللغوية للاحتلال الفرنسي في الجزائر.

2- **أصل المشكلة اللغوية في الجزائر حدث سياسي** هو الاستعمار. و هذه **المشكلة اللغوية وُلدت و نمت** و أصبحت من أعقد المشكلات؛ لأن العدوان كان عسكريا و لغويا وثقافيا.

3- **فرنسا رسمت للغة العربية سياسة لغوية عدوانية تقْوِيضية**؛ إذ ظهرت على شكل ضربات موجعة موجهة للغة العربية، باعتبارها المدخل لتقويض الدين الإسلامي و النسيج الاجتماعي و حتى البنية النفسية للجزائري.

4- في المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، كان للسياسة اللغوية الحظ الأوفر منه. فمن وجهة نظر علماء الجمعية أن أي إصلاح ديني خاصة في محاربة البدع و الخرافات يقتضي بالضرورة إصلاحا لغويا لضمان فهم النصوص الشرعية فهما سليما.

5- السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية لم تكن سياسة لغوية تعليمية فقط؛ بل قررت الجمعية في سياستها اللغوية إعادة ترتيب وظائف اللغات التي عبث بها الاحتلال. كما اهتمت في سياستها اللغوية بمظاهر الاحتكاك اللغوي و الثنائية اللغوية، لأن فرنسا حاولت تكريسهما في الجزائر. فإجمالا السياسة اللغوية للجمعية استهدفت حل كل مشكلات اللغة في كل مظاهرها الاجتماعية، أي اللغة أينما وجدت في المجتمع (البيت، المسجد، المدرسة، الإدارة، المصنع، الشارع، السوق، الجرائد..)

6- السياسة اللغوية التي رسمتها الجمعية تتناغم كلية مع منهجية رسم السياسات اللغوية. فقد وصفت الوضعية اللغوية الاجتماعية آنذاك، ثم حددت أهدافها العامة و الخاصة والقريبة و البعيدة، ثم أحكمت وضع الاستراتيجيات بما لا يفوت أي إمكانية متاحة لتنفيذ

سياستها اللغوية. و الملفت للانتباه التفات الجمعية إلى تقييم هذه السياسة بشكل دوري، مما يضمن للمشروع نقدا ذاتيا، و هي ظاهرة صحية تضمن النجاح للسياسات اللغوية.

7- إن التجربة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين التاريخية تجربة ثرية، و تحتاج إلى كثير من البحث و التنقيب، لأن فيها من الزخم النظري و التطبيقي ما ينفع اللسانيات الاجتماعية عامة و السياسات اللغوية خاصة. فهي تشكل ميدان بحث أصيل لكثير من المشكلات اللغوية الاجتماعية الخاصة بالجزائر.

الملحق:

ملحق المصلحات:

- الاحتكاك اللغوي	Contact des langues
- الاختلاط اللغوي	Le Mélange linguistique
- الازدواجية اللغوية	Bilinguistique
- الاشتغال على اللغة	L’action sur la langue
- الاقتراض اللغوي	Emprunt linguistique
- التحوير	remaniement
- التخطيط اللغوي	Planification Linguistique
- التداخل اللغوي	Interférence linguistique
- التطور اللغوي أو التنمية اللغوية	Développement Linguistique
- التعاقب اللغوي	code switching
- التعدد اللغوي	Multilingue
- التقييس	Normalisation
- التنظيم اللغوي	Organisation Linguistuque
- تنوع رفيع	variété haute
- تنوع وضيع	variété basse
- التهيئة اللغوية	Aménagement Linguistique
- الثلاثية اللغوية	triglossie
- الثنائية اللغوية	Diglossie
- الحرب في البيئة المصطنعة (المختبر)	Guerre des langues in vitro
- الحرب في الجسم الحي (الميدان)	Guerre des langues in vivo
- السمة	Trait
- السياسة اللغوية	Politique linguistique
- الشتات	diaspora
- علم اللغة التطبيقي	Linguistique Appliquée

- الفرانكفونية	francophonie
- لغة نشر(لغة ناشرة)	Langue véhiculaire
- لغة حصر(لغة حاصرة/ لغة القطيع)	Langue grégaire
- اللغويات الاجتماعية	la SocioLinguistique
- لهجة« باتوا»	Patois
- ماندينجو	Mandingo
- مزج اللغات	code mixing
- مزدوج اللغة	Bilingue
- المنزلة	statut
- النسخ اللغوي	Le Calque linguistique
- الهندسة اللغوية	L’ingénierie Linguistique
- الوظيفة الهويتية	La fonction identitaire

قائمة المصادر

و

المراجع

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي:جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1997.
2. ابن باديس حياته و آثاره: إعداد و تصنيف عمار طالبي ، د ط ، دار الأمة ، الجزائر ، 2009 .
3. تاج العروس :الزبيدي ، ط1 ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1306هـ .
4. الخصائص: ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، د ط ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، 1957 .
5. القاموس المحيط: الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 2005.
6. لسان العرب: ابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
7. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون ، د ط ، دار الجيل ، بيروت ، د ت.

المراجع:

8. أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر: أبو القاسم سعد الله ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، القسم الأول ، 1981.
9. أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر: أبو القاسم سعد الله ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الجزء الثاني ، 1986.
10. الأمازيغية و السياسة اللغوية و الثقافية بالمغرب: أحمد بوكوس ، ط1 ، مركز طارق بن زياد ، الرباط ، 2003.
11. إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس: عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان ، ط1، دار الأمة ، الجزائر ، 2007.
12. الإمام المجدد ابن باديس و التصوف: أحمد محمود الجزار، ط1 ، منشأة المعارف ، مصر ، 1999.

13. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي ، ط3 ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، د ت ، 1980.
14. بين التيه و الرشاد: مالك بن نبي ، د ط ، دار الفكر ، دمشق ، 1985.
15. تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري ، ط 10، المكتبة البوليسية ، بيروت لبنان ، 1980.
16. التعدد اللغوي و انعكاساته على النسيج الاجتماعي: محمد الأوراغي ، ط1 ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة الناجح الجديدة ، 2002.
17. التعريب بين النظرية و التطبيق : أحمد بن نعمان ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1998.
18. التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية: عثمان سعدي ، د ط ، دار الأمة ، الجزائر ، د ت.
19. التعليم القومي و الشخصية الجزائرية: تركي رابح ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.
20. الثقافة العربية و عصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي:نبيل علي، د ط ،سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت، 2001 ، عدد 276.
21. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931-1956): تركي رابح عمامرة ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2004.
22. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر: أحمد الخطيب ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985.
23. الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل1920-1945: يسلي مقران ، د ط ، دار الأمل ، الجزائر ، 2007 .
24. الحركة الوطنية 1830-1900: أبو القاسم سعد الله ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ج1.
25. الحركة الوطنية 1900- 1930: أبو القاسم سعد الله ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ج2.

26. الحركة الوطنية 1930-1945: أبو القاسم سعد الله ، ط3 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ج3.
27. دروس في اللسانيات التطبيقية: صالح لعيد ، ط3 ، دار هومه ، الجزائر ، د ت .
28. دعاة البربرية في مواجهة السلطة: رابح لونيسي، د ط، دار المعرفة، الجزائر، د ت.
29. دولة الشريعة - قراءة في جدلية الدين و السياسة عند ابن سينا- : علي عباس مراد ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1999.
30. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر: تركي رابح ،ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981.
31. الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954: محمد بن صالح ناصر، ط2 ، نشر ألفا ديزاين Alpha، الجزائر ، 2006.
32. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: مالك بن نبي ، ط3 ، دار الفكر ، لبنان ، 1988.
33. عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية: مصطفى محمد حميداتو ، ط1 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، قطر، 1997.
34. علم الاجتماع اللغوي: عبد الفتاح عفيفي ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر، 1995.
35. علم اللغة الاجتماعي عند العرب: هادي نهر ، ط1 ، طبعة الجامعة المستنصرية ، 1988.
36. علم اللغة التطبيقي و تعليم العربية: عبده الراجحي ، د ط ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر ، 1995.
37. فرنسا و الأطروحة البربرية: الدكتور أحمد بن نعمان ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1997.
38. فقه اللغة : علي عبد الواحد وافي ، ط7 ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، مصر ، د ت.
39. الفكر العربي الحديث و المعاصر: عبد الكريم بوصفصاف ، د ط ، دار الهدى ، الجزائر، 2005.

40. في علم اللغة التطبيقي: محمد فتيح ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1989 .
41. في اللغة: أحمد شامية ، ط 1 ، دار البلاغ للنشر ، الجزائر ، 2002.
42. في المواطنة اللغوية و أشياء أخرى...:صالح لبعيد ، د ط ، دار هومه ، الجزائر، 2008.
43. في الهوية الوطنية: صالح بلعيد ، د ط ، دار الأمل ، الجزائر ، 2007.
44. قضايا ألسنية تطبيقية: ميشال زكريا ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1993.
45. الكتابة في المتوسط: عبد الرزاق بنور ، د ط ، منشورات زرياب ، الطباعة العصرية، الجزائر ، 2004.
46. اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة: نعمان بوقرة ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2009 .
47. اللغة الباسلة: فتحي جمعة ، ط5 ، دار النصر للتوزيع و النشر ، 2000.
48. اللغة و المجتمع : محمود السعران ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1963.
49. محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال): أبو القاسم سعد الله ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.
50. المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب ، ط3 ، مكتبة الخانجى ، مصر ، 1997.
51. المدرسة الجزائرية إلى أين؟: مصطفى عشوي ، د ط ، دار الأمة ، الجزائر ، د ت.
52. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ، د ط ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ، مصر ، 1983.
53. من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، ط8 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2003.
54. من وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي ، د ط ، 2005 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005.
55. الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي ، تحقيق عبد الله دراز ، د ط ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، د ت.

56. موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي ، د ط ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، دار الهدى ، بيروت ، د ت .
57. نظام الإسلام في العقيدة و الأخلاق و التشريع: مصطفى ديب البغا،ط2،دار الفكر،بيروت ،لبنان،1998

الكتب المترجمة.

58. أسس علم اللغة : ماريو باي ، ترجمة أحمد مختار عمر، ط8 ، علم الكتب ، مصر ، 1998.
59. التخطيط اللغوي و التغيير الاجتماعي: روبرت ل كوبر ، ترجمة خليفة أبو بكر الأسود ، د ط ، إصدار مجلس الثقافة العام ، ليبيا ، 2006.
60. الجزائريون و المسألة اللغوية: خولة طالب الإبراهيمي ، ترجمة محمد يحياتن ، د ط ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007.
61. الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: علي مراد ، ترجمة محمد يحياتن ، د ط ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007.
62. دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاستعمار: جمع و ترجمة محمد يحياتن ، منشورات المجلس العلى للغة العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 2005.
63. السياسات اللغوية: لويس جان كالفي ، ترجمة محمد يحياتن ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2009.
64. السياسة اللغوية خلفياتها و مقاصدها: جيمس و. طوليفصون ، ترجمة محمد الخطابي ، ط1 ، مؤسسة العنى ، الرباط ، المغرب ، 2007 .
65. علم الاجتماع اللغوي: لويس جان كالفي ، ترجمة محمد يحياتن ، د ط ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ،
66. علم اللغة الاجتماعي : هدسون ، ترجمة محمود عياد ، ط2 ، عالم الكتب ، مصر ، 1990.
67. ليل الاستعمار: فرحات عباس، ترجمة أبو بكر رحال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006.

68. من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972 : أحمد طالب الإبراهيمي ، ترجمة حنفي بن عيسى ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ت.

الكتب الأجنبية:

69. cours de linguistique generale:Ferdinand De Saussure , edition , Talantikit Bijaïa , 2002 .

70. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage : Jean Dubois et autres , edition2, Larousse , Paris, 1999.

71. La Guerre des Langues et les politiques linguistiques :Louis-Jean Calvet , Hachette Littératures , France , 1999.

الرسائل الأكاديمية:

72. نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين: سلطان ناصر المجيول ، "رسالة ماجستير" ، معهد اللغة العربية ، الجامعة الملك سعود ، إشراف محي الدين عثمان محسب ، نوقشت سنة1427هـ ، عدد الصفحات392 ، نشرت سنة 2006 .

أعمال الندوات:

73. الجزائر في أبعادها الروحية و الحضارية: صالح بن قبي ، دفاتر المجلس الأعلى للغة العربية ، 35 ، الجزائر، 2009.

74. الفصحى و عامياتها لغة التخاطب بين التقريب و التهذيب : المجلس الأعلى للغة العربية ، أعمال الندوة الدولية2007 ، ط1 ، منشورات المجلس ، دار الخلدونية ، الجزائر، 2008.

75. مجلة الرائد ، وقائع ندوة التعارف و الحوار الثانية ، العدد 222 ، أكتوبر2009.

الدوريات و المجلات:

76. البصائر،ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، م1 ، السنة الأولى ، 1984.

77. الشروق اليومية ،الجزائر، العدد 5924 ،03 مارس2010.

78. مجلة الأثر، العدد 3، ماي 2004 ، مجلة كلية الآداب و اللغات ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ورقلة ، الجزائر.

79. مجلة احترام المجلة السودانية لثقافة حقوق الإنسان و قضايا التعدد الثقافي ، عدد 10 ، مارس 2009.

80. مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، عدد6 ، 2006 .

81. مجلة الفكر السياسي ، العدد 31 ، السنة العاشرة صيف 2007 ، اتحاد الكتاب العرب دمشق.

82. مجلة اللسان العربي ،المغرب ، العدد49 ،السنة 2000.

83. مجلة المعلم ، العدد 3 ، أوت سبتمبر2000.

84. مجلة اللغة العربية (العربية من المحنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية)، عدد ممتاز ، 2005 ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.

85. مجلة الوعي ، العدد الأول ، جويلية 2010. العدد الثاني ، نوفمبر2010.

86. مجلة الموافقات ، العدد6 ، السنة6 ، 1997.

87. المنتقد: د ط ، دار الهدى ، الجزائر ، 2005 ، العدد14 ، 1 أكتوبر 1925.

محاضرات

88. محاضرات في مقياس التهيئة اللغوية : دباش عبد الحميد، ألقاها - مشافهة- على طلبة السنة الأولى ماجستير تخصص لسانيات تطبيقية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، السنة الجامعية 2009/2008.

89. محاضرات في مقياس اللسانيات الاجتماعية:دباش عبد الحميد، ألقاها – مشافهة- على طلبة السنة الأولى ماجستير تخصص لسانيات تطبيقية،كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2009/2008.

المواقع الألكترونية:

90. موسوعة ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org/wiki

الفهرس

فهرس المحتويات

مقدمة...أ-هـ
الفصل الأول: السِّياسة اللُّغويَّة:- التعريف و النشأة و الموضوع و عناصر رسمها-..........6
المبحث الأول: تعريف السياسة اللغوية...7
المطلب الأول : التعريف اللغوي لمادتي :'السياسة' و 'اللغة'..8
المطلب الثاني: تعريفها في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية...9
المبحث الثاني:نشأة السياسة اللغوية...16
المطلب الأول : نشأة مصطلح السياسة اللغوية...17
المطلب الثاني: علاقة السياسة اللغوية بعلم اللسانيات الاجتماعية...............................17
المبحث الثالث:موضوع السياسة اللغوية...20
المطلب الأول: المشكلات اللغوية الاجتماعية التي هي موضوع السياسة اللغوية..........21
المطلب الثاني:التعريف ببعض المشكلات اللغوية الاجتماعية...22
أولا : الثنائية اللغوية..22
ثانيا: الاحتكاك اللغوي و مظاهره...24
1- الاقتراض اللغوي...24
2- النسخ اللغوي...25
3- التداخل اللغوي 26
4- الاختلاط اللغوي 27
ثالثا:الوظائف اللغوية..29
المبحث الرابع:عناصر رسم السياسة اللغوية...33
المطلب الأول : من يرسم السياسة اللغوية؟...34
المطلب الثاني: لمن ترسم السياسة اللغوية؟...36
المطلب الثالث: لماذا ترسم السياسة اللغوية؟...36
المطلب الرابع: كيف ترسم السياسة اللغوية؟ 38
الفصل الثاني:الوضعية اللغوية الاجتماعية في الجزائرقبل جمعية ع م ج التاريخية:-الوصف التاريخي و التحليل اللساني الاجتماعي-..42
المبحث الأول:الوضعية اللغوية من الناحية التاريخية 43
المطلب الأول : فضاء اللغة العربية...45
اللغة العربية منذ ما قبل فتح المغرب العربي إلى 1830..................45
العربية من 1830 إلى1931 (مسيرة قرن من مصارعة الاحتلال)......46
المطلب الثاني: فضاء اللغة الأمازيغية...56
المطلب الثالث: فضاء اللغات الأجنبية..61
التركية. الإسبانية. الإيطالية. العبرية...61
الفرنسية...62
أولا:تقييم فرنسا الوضعية اللغوية الجزائرية قبل و أثناء الاحتلال.........................62

ثانيا:أهداف فرنسا اللغوية في الجزائر...63
ثالثا:استراتيجيات فرنسا لخدمة لغتها..66
رابعا:بداية فرنسا تنفيذ مخططها اللغوي...68
خامسا:تقييم جهود فرنسا لنشر اللغة الفرنسية..73
المبحث الثاني:الوضعية اللغوية من الناحية اللسانية الاجتماعية.........................75
المطلب الأول: الثنائية اللغوية بين مقاربتي 'فرجسون' و 'فيشمان'.........................77
المطلب الثاني: مظاهر الاحتكاك اللغوي..83
المطلب الثالث: الوظائف اللغوية لمختلف اللغات...91
الفصل الثالث:التعريف بجمعية العلماء م ج التاريخية و سياستها اللغويــة..................116
المبحث الأول:التعريف بجمعية العلماء المسلمين التاريخية -التأسيس و أبرز علمائها-...117
المطلب الأول: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية.......................119
المطلب الثاني: التعريف بأبرز علماء الجمعية..123
المبحث الثاني:السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية...........127
المطلب الأول : عناصر رسم السياسة اللغوية عند جمعية العلماء...........................128
1- من رسم السياسة اللغوية لجمعية العلماء؟...128
2- لمن رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟ 137
3- لماذا رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟ 138
أولا: التأثير على اللغة أم التأثير على اللغات؟...139
ثانيا: حل بعض المشكلات اللغوية الاجتماعية:..140
I - الثنائية اللغوية في السياسة اللغوية للجمعية..140
II - الاحتكاك اللغوي و مظاهره..151
III - الوظائف اللغوية 156
4- كيف رسمت الجمعية سياستها اللغوية ؟...175
1- الوَصْف..175
2- الأهداف..178
3- الاستراتيجيات...196
المطلب الثاني: تقييم جمعية العلماء لسياستها اللغوية....................................217
تقييم جمعية العلماء لوصفها اللغوي الاجتماعي في سياستها اللغوية.........................217
تقييم جمعية العلماء لأهداف سياستها اللغوية..219
تقييم جمعية العلماء استراتيجيات سياستها اللغوية...219
الخاتمة..223
الملحق..226
المصادر...229
الفهرس..237